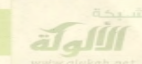




راجعه وقدم له فضيلة الشيخ
محمد حسان
(أبو أحمد)
حفظه الله

قام بإعداده
د/ محمد بن عبد السلام معاطي
(أبو أحمد)



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٢٥٤ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولي: ٩-٠٤٢-٤٢٩-٩٧٧

توزيع مركز الدكتور عبد الوارث الحداد

(ميـــراث)

ت.: ٠٠٢٠١١٢٨٧٧٩٩٩

www.el-hadad.net

ت.: ٢٦٢٤٣١٣٢ - ٢٦٢٤٣١٣٨

ت.: ٢٢٧٥٤٠٨٨

مركز فجر للطباعة

ت، فاكس: ٢٢٤٠٤٢٠١



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة
فضيلة الشيخ / محمد حسان حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، حمدًا ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، إذ لا يَبلُغُ وصفَ جلالِه الواصفون، ولا يُدرك كُنْهَ عظمتِه المتفكرون، ويُقرُّ بالعجز عن مَبْلَغِ قدرته المعتبرون، وصَفَهُ أعرَفُ الخلقِ به سيدنا محمد ﷺ، فقال: **«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بَصَرُهُ من خلقه»** (1).

أَحْمَدُهُ حمدًا كثيرًا طاهرًا طيبًا مباركًا فيه، عَدَدَ خَلْقِهِ وكلماتِه، ومِلْءَ أرضِهِ وسماواته، وزِنَةَ عرشه، ورضاء نفسه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الرَّحمةِ والطَّوْل، وذو القوة والحوْلِ، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، له الملك وله الحمدِ، ليس له نِدٌّ ولا ضدٌّ، جَلَّ عن الشبيهِ والنظير، لا إله إلا هو إليه المصير.

بَيَّن وأنار واصطفى واختار، خَلَقَ الخَلْقَ، واصطفى من الخَلْقِ الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسلَ، واصطفى من الرسل أُولي العَزم الخمسة؛ نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا - صلوات الله عليهم أجمعين- واصطفى من أُولي العزم الخليلين إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم-، واصطفى نبينا محمدًا ﷺ وفضَّله على جميع العالمين، ولكرامته جعل أمته سيدة الأمم والماضين، وشرَّفها بالدعوة وظيفة الأنبياء والمرسلين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسوله، وصَفِيُّه وخليله، أدَّى الأمانة، وبلغ

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام» (179).



الرسالة، ونصح للأمة، وعبدَ ربَّه حتى لبَّى داعيَه، وجاهدَ في سبيله حتى أجاب مناديه، وعاش طوال أيامه ولياليه يمشي على شوك الأسى، ويخطو على جمر الكيد والعنت، يلتمس الطريق لهداية الضالين، وإرشاد الحائرين، حتى علَّم الجاهل، وقوَّم المُعوجَّ وأمَّن الخائف، وطمأنَ القَلِقَ ونشر أضواءَ الحقِ والخير والإيمان، كما تنشر الشمسُ ضياءَها في رابعة النهار:

البدرُ جَبِينُه إذا سُرَّ استنار والبَّمُ يَمينُه فإذا سئل أعطى

عطاء من لا يخشى الإقتار والحنيفيةُ دينُه القيِّمُ المُختار

البشير النذير، السراج المزهرُ المنير، خيرُ الأنبياء مقامًا، وأحسنُ الأنبياء كلامًا، لبنةُ تمامهم، ومِسْكُ ختامهم، رافعُ الإصْرِ والأغلال، الدَّاعي إلى خير الأقوال، وأفضل الأعمال، وأصدق الأحوال.

أرسله الله جلَّ وعلا بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فختم به الرسالة، وعلَّم به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وفتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا.

أرسله الله جل وعلا على حين فترة من الرسل، فأقام به الملَّة العوجاء، وأوضح به الحجة البيضاء، فأشرقت الأرض بدعوته بعد ظلامها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها.

أرسله الله جل وعلا والناس صنفان: مغضوب عليهم جُفاة، وضالون غُلاة.

فجاء بالدين الوسط، وحَذَّر من الزيغ والشطط، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصلِ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين وعلى كل من اهتدى بهديه، واستنَّ بسُنَّته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الحق معنا، وإن الباطل مع غيرنا، ولكننا لا نُحسن أن نشهد لهذا الحق شهادة عملية على أرض الواقع، ولا نُحسن أن نُبَلِّغ هذا الحق لأهل الأرض بحق.



وإن الباطلَ مع غيرنا، لكنه يُحسن أن يُلبِسَ الباطلَ ثوبَ الحقِّ! ويُحسن أن يصلَ بالباطل إلى حيث ينبغي أن يصلَ الحق!!

وحينئذ ينزوي حَقُنا ويضعفُ كأنه مغلوب، وينتفخ الباطلُ وينتفشُ كأنه غالب.

وهنا نتألمُ لِحَقِّنَا الذي ضَعُفَ وانزوى، وللباطل الذي انتفخ وانتفش، ونُعَبِّرُ عن ألمَنا هذا بصورة من صورتين لا ثالث لهما، فإما أن نعبر عن ألمنا هذا بصورة مكبُوتَة سَلْبيَّة، فنزداد هزيمةً نفسية على هزيمتنا وانعزالاً عن المجتمع والعالم، وإمَّا أنْ نُعَبِّرَ بصورة متشنجة منفعلة وأحيانًا دموية، فنخسرَ الحق مرة أخرى، لأن أهل الأرض حينئذ سيزدادون بُغضًا للحق الذي معنا وخوفًا منه وإصراراً على الباطل الذي معهم، ونصراً له!!

فمن اليسير جداً أن نقدم منهجًا نظريًا في الدعوة إلى الله عز وجل، ولكن هذا المنهج سيظل حِبراً على الورق، وسيبقى مجرد كلمات جميلة نُرددها ما لم يتحول هذا المنهج في حياة المسلمين ابتداءً إلى واقع عملي ومنهج حياة، يتألقُ في دنيا الناس علمًا وفهمًا وعملاً، عقيدةً وعبادةً وخُلقًا وما لم يتحرك به بعد ذلك أصحابه ليبلغوه لأهل الأرض بحق.

وهنا تتجلى عظمة سيدنا رسول الله ﷺ الذي استطاع أن يُقيم للإسلام دولة من فُتات متناثرٍ وسط صحراء تموج بالجهل والشرك مَوْجًا، فإذا هي بناءٌ شامخٌ لا يطاوله بناء فى وقت لا يساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق، وذلك يوم قام النبي ﷺ بطباعة عشرات الآلاف من النسخ من المنهج الدعوي الربَّاني والنَّبوي. ولكنه - بأبي وأمي وروحي - لم يطْبَعْها بالحبْرِ على صحائف الأوراق، وإنما طبعها على صحائف قلوب أصحابه بمدادٍ من التُقى والهدى والنور.

فشهدوا للحق بالعلم والعمل، والدعوة والبلاغ.

ولقد آن الآوان، أن تعود البشرية عامة والأمة المحمدية خاصة إلى هذا المنهج الدعوى المحمدي، لتستمد منه نوراً يضيُء لها الطريق، وشعلة منيرة توقد لها من جديد شموس الحياة، ودماءً طاهرةً تتدفق في عروق المستقبل والأجيال.

فلا حياة إلا بمنهج مَنْ بعثه الله حياةً للحياة !!!





تلك حقيقةٌ تتألقُ في سماء الصدق لا تَحْجُبُها الغُيوم، وشمسٌ مشرقة في وضح النهار لا يُطفئها الظلام.

لأن الحياةَ المقطوعة الصلة بالله ورسوله، مهما يكن فيها من متاع ورخاء، فهي ضلال وضنك وشقاء.

قال الله عز وجل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(١).

والبشرية كلها تحتاج في كل وقت لهذا المنهج الدعوي، ولكنَّ حاجتها إليه في هذا العصر أشدُّ. فهي تتخبط كالذي يَتخبطه الشيطان من المسِّ، تَئِنُّ من الألم، وتضحك كالمجنون، وتهذي كالسكران، وتجري كالمطارد تبحث عن أي شيء، وهي في الحقيقة تملك كل شيء، ولكنها حين أعرضت عن منهج المصطفى ﷺ فقدت كلَّ شيء!!

أمَّا أُمَّةُ البلاغ والدعوة، فهي في أمس الحاجة إلى هذا المنهج الدعوي النبوي، فلا يخفى على أحد ما تعانيه ساحة الدعوة من بُعد مُؤلم عن أصول المنهج الدعوي النبوي الحكيم الرحيم، ومن خَلل في التصور والمعالجة، وجُرأة شديدةٍ من بعض الدعاة، وانحراف عن المنهج في الدعوة والبلاغ من ناحية، وتقصير البعض في حمل هذه الأمانة بأمانة من ناحية أخرى.

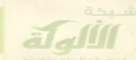
وذلك بلا ريب قد أثر تأثيرًا سلبيًا بالغًا، وسبَّب إرباكًا شديدًا للعمل الإسلامي المعاصر، بل وأحدث تراجعات حقيقية، ونكسات متتابعة. في ميدان الدعوة، وأصبح- بالفعل- بعض من يتحركون إلى الدعوة حَجَر عثرةٍ في طريق انتشار الدعوة ووصلوها إلى قلوب وأسماع المدعوين، لأنهم بالفعل حين انحرفوا عن المنهج الدعوى النبوي، ابتعدوا يقينًا عن مفاتيح النفس البشرية وغاب عنهم أنهم لا يتعاملون مع ملائكة بررة، ولا مع شياطين مَرَدَة، ولا مع أحجار صَلْدة، بل يتعاملون مع نفوس بشرية فيها الإقبال والإحجام، والخير والشر، والطاعة والمعصية؛ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٢).

---

(١) طه: (١٢٣، ١٢٤).

(٢) الشمس: (٧ - ١٠).





ومن ثَمَّ تبرز الحاجة الملحة لهذا الموضوع الجليل؛ في دراسة شخصية، وسيرة، ومنهج نبينا وحبيبنا وقدوتنا وأسوتنا محمد ﷺ الذي ملأ الدنيا بنور العلم والهدى والإيمان، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(١).

إنه النموذج الأسمى، والأسوة العظيمة، والمثل الأعلى.

فما أحوج البشرية أن تتعرف عليه. وما أحوج الأمة أن تجدد معرفتها به وتحييها من جديد، لتتحول بهذه الأسوة في حياتها إلى واقع ومنهج يتألق في دنيا الناس سموًّا ورفعة وعظمة وبناءً وجمالاً قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾(٢).

وها هو أخي الدكتور محمد بن عبد السلام، يلمس معنا حاجة البشرية إلى هذا الفيض والنور والعطاء من عطاءات الحبيب النبي ﷺ، فيُهدي لنا هذه الباقة العطرة الموجزة المركزة من دراسة حول شخصية وسيرة ودعوة سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، في زمن جفت فيه ينابيع المعرفة، والحديث عن رسول الله ﷺ يطول، وحسبنا هذه الكلمات في هذه المحاولة التي أتحفنا بها فضيلة أخي الدكتور محمد حفظه الله، وأسأل الله أن يزيده فضلاً وعلمًا، وأن يلحقنا بنبينا ﷺ في أعلى جنة الخلد، وأن لا يحرمنا من لذة النظر إلى وجهه الكريم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وصلى الله وسلم وبارك على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو أحمد

محمد حسان

٦ شعبان ١٤٢٨هـ / ١٩ أغسطس ٢٠٠٧م

---

(١) الشورى: (٥٢).

(٢) الأحزاب: (٢١).





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، ومالك يوم الدين الذي لا فوز إلا في طاعته ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رضاه ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلاح للقلب ولا فلاح إلا في الإخلاص له وتوحيد حبه، وهو الذي إذا أُطيع شكر وإذا عُصي تاب وغفر، وإذا دُعيَ أجاب وإذا عُومل أثاب، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترضَ على العباد طاعتَه وتعزيرَه وتوقيره ومحبته والقيام بحقوقه وسد دون جنته الطرق فلن تُفتحَ لأحد إلا من طريقه، فشرحَ له صدرهَ ورفعَ له ذكره ووضع عنه وزره وجعلَ الذلةَ والصغارَ على من خالف أمرَه، والعزةَ والتمكين لأهل طاعته ومتابعته قال الله سبحانه: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٢)]، وقال تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [(٣)].

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولاً عن منهجه ورسالته، واحشرنا في زمرته، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [(٤)].

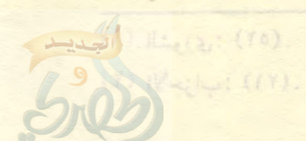
---

(١) آل عمران: (١٣٩).

(٢) المنافقون: (٨).

(٣) محمد: (٣٥).

(٤) آل عمران: (١٠٢).





﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٢).

أما بعد: فإن هذا الكتاب محاولة نسأل الله أن تكون خالصة له وموفقة للتعريف بخير خلق الله وخاتم رسله وإمامهم، بمن أرسله الله رحمة للعالمين، بهدية الله للبشر كافة لينير به الظلمات، ويهدي به الحيارى، ويكون حجته على الخلق أجمعين (هذا هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)(٣) وذلك في زمن ساد فيه الباطل وانتفش، وتراجع فيه الحق وانزوى، وتطاول فيه الأرازل على الحق وأهله حتى تجرؤا على خير خلق الله بل وسخروا منه، فكان لزامًا على كل مسلم في قلبه ولو مثقال حبة خردل من إيمان أن ينتقض للذود عن نبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، مع اعتبار الحقائق والثوابت التالية.

أولاً: أن الله أغنى رسوله ﷺ؛ فعصمه من الناس، وأعلى ذكره ورفع قدره، وفضله على الخلق أجمعين، أما ما يحدث فهو ابتلاء من الله تعالى ليبلوا العباد بعضهم ببعض، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، ثم ليحق الجزاء بعد ذلك على الأعمال كما قال لنا خير الأنام ﷺ: **«فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**(٤).

ثانيًا: أن استهزاء أهل الباطل برسول الله ﷺ وسخريتهم منه شأن شامل، وسمة عامة من سمات الكفر والكافرين أثبتها الله تعالى في كتابه الكريم في مواطن كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(٥).

---

(١) النساء: (١).

(٢) الأحزاب: (٧٠، ٧١).

(٣) هذا هو عنوان الكتاب.

(٤) رواه مسلم (٥٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) الأنبياء: (٣٦).





وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (١).

ثالثًا: أنه إذا انزوى أهل الحق ورضوا بالذل والهوان؛ أذن الله تعالى لأهل الباطل والضلال بالانتفاش والتطاول، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم، ثم ليستخرج من أهل الحق والإيمان من هذه الأمة نصرتهم وتعزيرهم وتوقيرهم لنبيهم ﷺ.

رابعًا: أن الله تعالى يمضي سنته الكونية بعد ذلك في دحض الباطل وهدمه، وتمكين الحق وجنده كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٢).

خامسًا: أن تطاول الأرازل وأهل الباطل ومحاولة نيلهم من رسول الله ﷺ - وإن كانت قلوبنا تتمزق ألمًا وغيظًا لذلك- إلا أنه في حقيقته بشير بقرب التمكين لأهل الحق كما قال ابن تيمية رحمه الله: إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون في رسول الله ﷺ مع امتلاء القلوب غيظًا بما قالوا فيه (٣).

وصفوة القول أن هذا الكتاب محاولة منا للتعبير عن غيرتنا على ديننا، ونصرتنا لنبينا ﷺ، ثم للتعريف بهذا الدين من خلال شخصية النبي الأمين ﷺ ليستدل به الحيارى على طريق الحق الأوحد في هذا الدين، وتعريف الجاهل بما جهله عنه وعن نبيه الكريم ﷺ وهداية دلالة وتعريف لمن ضلَّ عن الحق المبين، وتنبيهًا للغافلين الذين ألهتهم الدنيا بزينتها عن الصراط المستقيم، وليكون كذلك عونًا وتذكرة للمؤمنين ليزداد الذين آمنوا إيمانًا وليحق القول على الكافرين.

والحقيقة أن الغاية من الكتاب عظيمة ورسالة كبيرة وأنَّى لمثلي القيام بها فضلاً عن عدم الأهلية لها، ولكنها أقدار لله تعالى تمضي، ومسئولية وجب أن تؤدى؛ فاستعنت بالله العظيم ثم بتوجيهات أهل الفضل من أهل العلم والدعوة أذكر منهم:

---

(١) الفرقان: (٤١، ٤٢).

(٢) الأنبياء (١٨).

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية: ١٢٣.





١) فضيلة الأستاذ الدكتور فتحي جمعة أستاذ اللغويات بكلية دارالعلوم والذي أشرف على الجانب اللغوي.

٢) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المقصود والذي أعاننى الله به في وضع خطة الكتاب، وكان له يد طولى، وتوجيهات عظيمة حول الكتاب.

٣) فضيلة الدكتور جمال المراكبي الرئيس العام لجماعة أنصار السنة والذي لم يبخل بنصحه وتوجيهه.

٤) فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني والذي أعان الله به في وضع خطة الكتاب والتوجيه المستمر للتركيز على الجانب التأصيلي للمادة العلمية في الكتاب.

٥) فضيلة الشيخ مصطفى العدوي والذي أشرف على تخريج أحاديث الكتاب ولم يبخل بتوجيهاته.

٦) فضيلة الدكتور أحمد فريد والذي كان له توجيهات نافعة بفضل الله تعالى.

٧) فضيلة الشيخ محمد يعقوب والذي أعان الله به في وضع خطة الكتاب.

٨) فضيلة الأستاذ الدكتور عمر بن عبد العزيز الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف والذي نفعني الله عز وجل بتوجيهاته.

٩) فضيلة الشيخ محمد حسان والذي أعان الله به في وضع خطة الكتاب ومراجعته.

وأترك مجازاتهم لله وحده على ما قاموا به من جهد ودعم، فالله أسأل أن يجزيهم خير الجزاء كما أسأله سبحانه أن يكون هذا العمل حجة لنا بين يديه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وحين يسأل الله أهل الحق عما قدموا لهذا الدين ولنبيه الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

• خطة الكتاب:

ذكرنا فيما سبق أن الهدف من الكتاب: التعريف بالإسلام من خلال رسوله الأمين ﷺ بخطاب عام للمسلم وغير المسلم للعربي وغير العربي، وقد اقتضى هذا أن يتحقق في المادة العلمية ما يلي:

١- التأصيل العلمي الدقيق من غير ما توسع.

٢- التكامل من حيث الأبواب والمحاور.



٣- مراعاة الاختصار غير المخل.

٤- مراعاة السلاسة والبساطة في الطرح.

٥- إضفاء الأسلوب الوعظي.

ومن أجل ذلك فقد تضمن الكتاب أربعة أبواب:

الباب الأول: النبوة والأنبياء، وهو بمثابة التهيئة والتأصيل لما بعده، وفيه فصلان:

الأول: وربك يخلق ما يشاء ويختار.

والثاني: حاجة البشر إلى الرسل عليهم السلام وهما بمجمليهما مقدمة تأصيلية مختصرة ومركزة مع محاولة جادة لتبسيط ما فيهما من قواعد وأصول.

الباب الثاني: دلائل النبوة، وهو محور الكتاب وصلبه عرضنا فيه لبعض دلائل نبوة رسول الله ﷺ، وفيه ثمانية فصول:

الأول: الشمائل والصفات لبيان اختصاص الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بصفات وشمائل لا تجتمع إلا لنبي بل لا تكون بهذا الكمال والسمو والمثالية إلا له ﷺ.

أما الفصل الثاني: (المعجزة الخالدة القرآن الكريم) وهو قلب وأم هذا الباب كله لأنه يتعلق بمعجزة النبوة الأساسية والباقية الخالدة، وباقي الفصول هي فروع منه.

والفصل الثالث: (صدق النبوءات) وهو من فروع المعجزة العظمى للنبي ﷺ (القرآن الكريم) وقد أفرد له فصل خاص لضم ما ورد من السنة إلى ما جاء في القرآن فيما يتعلق بالإخبار عن الغيبيات.

الفصل الرابع: (الإخبار العلمي - الإعجاز العلمي) وهو أيضاً فرع لمعجزة القرآن مع ما ورد من السنة في الإخبار عن أمور علمية كان يجهلها البشر جميعاً في زمان النبي ﷺ.

والفصل الخامس: (التشريع- الإعجاز التشريعي) وهو كذلك فرع من القرآن متضمناً إليه ما ورد في السنة عن بعض مواطن العظمة والإعجاز في هذا الشرع.

والفصل السادس: (تأييد الله تعالى ونصرته) لبيان بعض المواطن التي وردت في الكتاب والسنة تقر وتؤيد النبي ﷺ.

والفصل السابع: (المعجزات الحسية) وهو متعلق بالمعجزات الحسية التي لا تكاد تحصى للنبي محمد ﷺ.

والفصل الثامن: (تبشير الكتب والأنبياء) لبيان وإثبات ذكر نبوته بل واسم وصفات النبي ﷺ في كتب وعلى لسان الأنبياء السابقين عليهم السلام.

الباب الثالث: دعوة النبي ﷺ، وهو بمثابة التابع للباب الذي يسبقه، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: (ما الذي يدعو إليه ﷺ؟).

والفصل الثاني: (ثمرات اتباعه ﷺ).

والفصل الثالث: (مكانته وحقوقه على أتباعه ﷺ).

الباب الرابع: قطوف من سيرته ﷺ وهو بمثابة التابع أيضًا للباب الثاني وفيه فصلان:

الأول: (شهادة بين يدي القطوف) نذكر فيه بعض الشهادات التي أثبتها بعض المستشرقين عن النبي ﷺ.

ثم في الفصل الثاني: نقتطف بعض القطوف من بستان سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويختم الكتاب بخاتمة لبيان حال الزمان والعباد مع نصيحة خالصة لعباد الله بعد ما بيناه في الكتاب.

والله أسألُ أن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يرزقنا الصدق والرشد في الأقوال والأعمال والأفعال.

من لا يشكر الناس لم يشكر الله:

نعم فلله الحمد والمنة وشكر الله لمن بذل وأنفق في إخراج هذا الكتاب ثم أتوجه بالشكر للإخوة بإدارة مركز العزيز بالله حيث جعلهم الله سببًا لتحملي هذه المسؤولية والأمانة في إعداد هذا الكتاب والذي كان مفترضًا أن يصدر باسم المركز إلا أنهم رأوا اختيار كتاب آخر مترجم إلى اللغات الأجنبية معد لمخاطبة الأجانب غير المسلمين مباشرة من حيث الأصل، وأسأل الله العلي القدير لنا ولهم الإخلاص والتوفيق.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم بأي مجهود لا سيما الأخ محمد عبد الله



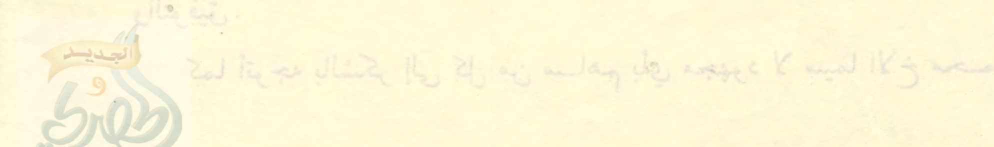
والذي كانت له مساهمة حيوية في تجميع المادة العلمية والكتابة، فشكر الله للجميع وجزاهم خير الجزاء.

وبعدُ فليُعلم أنه ما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، ثم أعتذر إليه جل في علاه لتقصيري في جنبه وجنب نبيه وحبيبه ومصطفاه ﷺ.

والله أسأل أن يجعله عملاً خالصًا، ومن الرياء مجردًا، وأن يجمعنا وآباءنا وأمهاتنا وأزواجنا وأولادنا وعلماءنا ومشايخنا وأحبابنا وكل من أوصانا واستوصانا في الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى ﷺ إخوانًا على سرر متقابلين إلى ربهم ناظرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف



الباب الأول

النبوة والأنبياء

وفيه فصلان:

- الفصل الأول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.
- الفصل الثاني: حاجة البشر إلى الرسل عليهم السلام.

تمهيد

هذا الباب هو بمثابة التمهيد، والتأصيل لما بعده، نشير فيه إشارات عابرة موجزة إلى قواعد وأصول حول دور الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فالنبوة[(١)] والأنبياء، رحمة ونعمة مهداة من رب الأرض والسماء جل جلاله؛ لحفظ البشر من الزيغ والضلال، ودلالتهم على طريق الهدى والفلاح.

والأنبياء والرسل عليهم السلام اختارهم الله تعالى من بين خلقه؛ فهو يخلق ما يشاء ويختار كما قال جل في علاه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[(٢)]؛ فهم صفوته من خلقه ورسله إليهم بأوامره ونواهيه التي عليها مدار صلاح حال البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

والناس أحوج ما يكونون لهذه النبوة، فهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ومجرد عقولهم، ولا يُقدِّرون عواقب أمورهم إن تُركوا لغرائزهم؛ فكانت حاجتهم إلى الرسل ماسة وعظيمة، وقد ذهبوا في تصديقهم بالأنبياء والرسل إلى فريقين:

فريق صدق بالرسل والنبوات، وفريق أنكر الرسل والنبوات (الملاحدة والبراهمة والفلاسفة). ودعوى منكري الرسل والنبوات جميعًا مردودة؛ فهي دعوى باطلة يغني بطلانها عن إبطالها، وضلالها عن إضلالها[(٣)].

والأنبياء والرسل عليهم السلام يتفقون جميعًا في دعوتهم لتوحيد الله تعالى وعبادته، وإن اختلفت شرائعهم باختلاف أحوال الناس والزمان.

وسنتناول إن شاء الله تعالى في هذا الباب بيان أهمية وحاجة البشر إلى الأنبياء، وذلك من خلال فصله الأول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ وذلك لبيان اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسله ليقوموا بتبليغ رسالته إلى البشر.

ثم نعرج في الفصل الثاني (حاجة البشر إلى الرسل عليهم السلام) على بيان أهمية دورهم، وأدلة إرسالهم.

---

(١) النبوة بمعنى الإخبار والتبليغ، انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (نبأ) بتصرف. (٢) القصص: (٦٨).

(٣) مستفاد من أعلام النبوة للماوردي. ولمن أراد التفصيل، فالمكتبات الإسلامية عامرة بمراجع كثيرة منها: النبوات لابن تيمية، هداية الحيارى لابن القيم، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، دلائل النبوة للبيهقي، تمهيد الأوائل للباقلاني، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني.. وغيرها.

الفصل الأول

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

قبل أن نتكلم عن النبوة والأنبياء، نتكلم بداية عن الخالق جل في علاه الذي خلق الكون بما فيه ومن فيه، وشاء واختار من خلقه خيرهم وصفوتهم وهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك من باب زيادة اليقين لمن آمن، والتذكرة لمن غفل، والتعريف لمن جهل هذا الحق المبين، فيكون ذلك حجة على الجميع.

ونركز الكلام في حقائق ثلاث تشمل ما يلي:

الحقيقة الأولى: أن هذا الكون مخلوق، خلقه خالق قادر جل جلاله ذو صفات وأفعال تتناسب مع ذاته وقدرته، وهذه الحقيقة تقوم على ثلاثة أصول وهي:

١- أن خلق هذا الكون من المسلمات ببداهة العقل؛ فإن كل ما في الكون له بداية، ولا بد له من نهاية، كما أنه ما من شيء يستطيع أن يقوم بذاته فلابد من وجود أشياء تكمله ويعتمد عليها في وجوده.

٢- أنه يلزم من أن الكون مخلوق أن يكون له خالق، وهذا أيضًا من المسلمات؛ فإن لكل موجود واجدًا إلا واجد الوجود، وهو الله الخالق سبحانه جل جلاله، فهو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء.

٣- أن هذا الخالق جل جلاله لا يصح إلا أن يكون واحدًا لا شريك له، فلو فرض أنه معه غيره لم يخرج عن كونه مماثلاً له أو مخالفًا، فإن كان مخالفًا أبطلنا بذلك قدرة الخالق، فكيف ينتظم أن يكون الخالق قادراً ويحتمل وجود من يخالفه معه، لا شك أنه سيقهره بقدرته، وأما بطلان احتمال المماثلة فهذه من بديهيات العقل إذ كيف يتأتى وجود خالقين متماثلين لمخلوق واحد؟! وقد أثبت الله ذلك في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٢) فبين الله تعالى استحالة وجود أكثر من إله

---

(١) المؤمنون: (٩١). (٢) الأنبياء: (٢٢).





لهذا الكون؛ فافتراض ذلك يعني: إما أن يقهر أحدهما الآخر فيكون بذلك هو الإله والآخر باطلاً، وإما أن يعجز كل منهما عن قهر الآخر، والعجز يتنافى مع الألوهية كما أن الكون سيضطرب ويفسد.

الحقيقة الثانية: أن الله تعالى امتن على العباد بأن خلقهم على فطرة معرفته على سبيل الإجمال، فقد فطر الله تعالى كل مخلوق على أن يكون داخله شعور يملأ عليه أقطار نفسه بأن له عظيمًا يلجأ إليه ويتألهه، وقد روى لنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: واقرؤا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾»(١)(٢). ولذلك فإنه لا ينكر ربوبية الخالق وخلقه للبشر أحد حتى من كفر، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه في مواطن كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٤).

بل إن من ادعى الألوهية من البشر مثل فرعون أقر بهذه الحقيقة باطنًا وجحدها ظاهرًا، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(٥).

ولذلك ينكر الله تعالى على من يجحد هذه الحقيقة ويكفر بها في أسئلة استنكارية، تقريعية وتعجيزية فيقول تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾(٦) وعلى هذا فإن الله تعالى منح العباد ما يؤهلهم لمعرفته على سبيل الإجمال، ونسوق بين يديك مثلين لمن صحت فطرتهم، وانتفعوا ببداهة العقل والنظر والاستدلال على معرفة ربهم.

هذا الموقف العظيم لأحد علماء المسلمين وهو الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - حين ناظره بعض الزنادقة المنكرين لله تعالى؛ فقال لهم: ما تقولون في رجل

---

(١) الروم: (٣٠).
(٢) رواه البخاري (١٣٥٨)، مسلم (٢٦٥٨).
(٣) العنكبوت: (٦١).
(٤) الزخرف: (٨٧).
(٥) النمل: (١٤).
(٦) الطور: (٣٥ - ٣٦).



يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال، ثم هي تسير وحدها في لجة البحر وتتلاطمها الأمواج ورياح مختلفة، وهى من بين الأمواج والرياح تجري وتسير مستوية ليس لها ملاح يقودها ولا متعهد يدفعها؟! فقالوا له: هذا شيء لا يقبله العقل؛ فقال لهم: يا سبحان الله!! إذا لم يجز في العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير قائد ولا متعهد، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ؟! فبكوا جميعًا وقالوا: صدقت، وتابوا.

وهذا البدويُّ الأُمّيُّ يجيب على البداهة حينما سُئل: كيف عرفتَ ربّك؟ فقال: سبحان اللَّه! البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟

الحقيقة الثالثة: أن الله تعالى امتن على البشر بإرسال الأنبياء والرسل عليهم السلام لتعريفهم بخالقهم تفصيلاً، وبحقه عليهم، وما لهم عنده.

وقد اصطفاهم بمؤهلات ذاتية، وأيدهم بمعجزات من عنده[(١)].

وقد بين الله تعالى لنا مراده من الخلق فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)]، أي: ليكلفنا بالعبادة، وهذا حقُّه تعالى على من خلقهم ويملك أمرهم وإليه مآلهم، ثم نزَّه نفسه أن يكون له نفع من وراء ذلك، فقال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح عن أنس عن معاذ رضي الله عنهما قال: أنا رديف النبي ﷺ فقال: «يا معاذ». قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثًا: «هل تدري ما حق الله على العباد؟». قلت: لا. قال: «حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا». ثم سار ساعة فقال: «يا معاذ». قلت: لبيك وسعديك. قال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم»[(٤)].

وعلى هذا فالعبادة هي حق الله على العباد، فما هي العبادة إذًا؟

---

(١) مستفاد من كلام للإمام أبي حامد الغزالي في المستصفى (١/ ٤٩).

(٢)(٣) الذاريات: (٥٦ - ٥٧).

(٤) رواه البخاري (٦٢٦٧)، مسلم (٣٠).





العبادة: هي تحقيق التأله والتذلل لله تعالى وحده، والانقياد له سبحانه بفعل ما أمر به وتَرْك ما نهى عنه.

فالعبودية: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة (١)، مع البراءة من كل ما ينافي ذلك، فيدخل بهذا فيها كل أعمال وأحوال الدين وفروعه، وهذا هو معنى تحقيق كمال الحب مع كمال الذل لله تعالى وحده.

وللعبودية ركنان هما الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله ﷺ.

وأصل العبودية: الخضوع والذل، فهى تشمل معنى التذليل، والطاعة والتنسك (٢).

وقد أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل ليرشدوا العباد إلى مراد الله تعالى منهم وكيفية القيام به وذلك بما يوحي إليهم، فإن أردت أيها العبد! الحياة الطيبة والفلاح في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة، فاعلم أنه لا سبيل لذلك إلا بتصديق ما جاءوا به واتباعهم، فمن اتبعهم فقد أفلح وفاز، ومن حاد عن طريقهم فقد خسر وخاب.

فتعالوا معًا لنعرف شيئًا عن الأنبياء والرسل عليهم السلام.

* * *

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ١٥٤).
(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ٥٠).



الفصل الثاني

حاجة البشر إلى الرسل عليهم السلام

قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

إنه من أعظم رحمات الله تعالى بعباده أن ضمن لهم أن لا يؤاخذهم، وأن لا يعذبهم إلا بعد أن يقيم الحجة عليهم؛ وذلك بإرسال الرسل عليهم السلام؛ ليرشدوا العباد على طريق النجاة والفلاح؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2]، وقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3]، حتى لا يكون بعد ذلك للبشر حجة على ربهم.

فالأنبياء والرسل عليهم السلام هم حجة الله تعالى على خلقه، فمن هو النبي؟ ومن هو الرسول؟ وما الفارق بينهما؟

النبي لغةً: المُخبر، مشتق من النبأ وهو الخبر، فالنبي مُخبر عن الله تعالى. أو مشتق من النَّبْوَة وهي: ما ارتفع من الأرض، فالنبيّ أشرف الخلق وأرفعهم منزلة.

اصطلاحًا: فهو إنسان حُرّ، ذكر، اختاره الله تعالى وخصّه بتبليغ الوحي إليه.

والرسول لغةً: المتابع لأخبار من أرسله.

اصطلاحًا: فهو إنسان حُر ذكر، نبّأه الله تعالى بشرع، وأمره بتبليغه إلى قوم مخالفين.

وأما الفرق بينهما: فإن الرسول أخص من النبي، فكل رسولٍ نبي، وليس كل نبي رسولاً، فالرسول يؤمر بتبليغ الشرع إلى من خالف دين الله، أو لا يعلم دين الله، وأما النبي فيبعث بالدعوة لشرع من قبله[4].

فإن قيل: ما دليل إرسال الله تعالى للرسل والأنبياء عليهم السلام؟ أجيب على ذلك بأن الله تعالى اختصهم بأمرين أساسيين وهما:

(1) النساء: (165). (2) الإسراء: (15).

(3) فاطر: (24).

(4) النبوات لابن تيمية (1/242)، التوحيد للناشئة والمبتدئين (1/57)، وهو مستفاد من لسان العرب مادة (نبأ).

١- المؤهلات الذاتية حيث يجملهم بالصفات التي لا يستغنى عنها مقام النبوة الشريف مثل الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة[(١)] فيكملهم خَلقًا وخُلقًا فيحفظهم من التلوث النفسي، والضلال العقلي، والفساد الخُلقي، والانحراف الفِطري، ويُضفي عليهم من الكمالات النفسية والعقلية والخُلقية ما يؤهلهم به لمقام النبوة الشريف، وهذا محض فضل من الله تعالى، فالنبوة هبة من الله تعالى يصطفي لها من شاء من عباده.

٢- المعجزات التي يؤيدهم بها الله تعالى فيخرق لهم العادات للدلالة على صدقهم والشهادة بثبوت نبوتهم عليهم الصلوات والسلام أجمعين.

وسنتعرض للكلام بشيء من التفصيل عن المعجزة في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

وخبر الأنبياء والرسل عليهم السلام يثبت بخبر التواتر[(٢)] الذى نُقل به إلينا؛ ولذا يلزم التصديق به. والأنبياء عليهم السلام جمٌّ غفير وعدد كثير، يقول الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**[(٣)].

منهم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى وموسى وهارون وعيسى ونبينا محمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

ويجب على بني الإنسان الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام، ومن يكفر بواحد منهم فهو عند الله تعالى كافر بالجميع؛ يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**

---

(١) عقيدة المؤمن للجزائرى بتصرف.

(٢) خبر التواتر: هو الخبر الذي تواطأ على نقله الكثرة عن الكثرة، بحيث يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، والمعلوم أن اليهود والنصارى والمسلمين قد أطبقوا على نقل وجود موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين، وأن الكذب مستحيل جوازه على مثلهم بأن يجتمعوا جميعًا في بقعة واحدة من حيث يشاهد بعضهم بعضًا، ويتوافقوا على الكذب بادعائهم نبوة نبيهم؛ لأن العادة موضوعة على خلاف ذلك، وفي بطلان التواطؤ على الكذب دليل على صحة إثبات نبوة الرسل عليهم السلام (مستفاد من الإحكام، والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم).

(٣) النحل: (٣٦).



وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

وهذه عقيدة المسلمين من أتباع محمد ﷺ؛ إذ قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[2].

فيلزم كل إنسان تجاه أنبياء الله تعالى عليهم السلام أن يعتقد عِصمتهم وكمالهم ووُجوب تعظيمهم واحترامهم.

وقد أيد الله جل جلاله أنبياءه ورسله عليهم السلام بالمعجزات وبالمؤازرة والتمكين، ومن عظم إعجاز الله تعالى للبشر أن أيد أنبياءه عليهم السلام بمعجزات من جنس ما برع فيه أقوامُهم؛ فهذا موسى عليه السلام كان في زمن ساد فيه وعظم السحر، فأيده الله تعالى بمعجزة داحضة لهذا السحر (أي لجنس ما برعوا فيه).

وكذلك عيسى عليه السلام ظهر في زمن برع فيه الأطباء وتقدم فيه الطب فأعجز الله عز وجل البشر بمعجزات عيسى عليه السلام الداحضة في هذا المجال.

وبعد فمما ذكر علمنا أن الله عز وجل قد أرسل الأنبياء والرسل عليهم السلام، ليعيدوا أقوامهم إلى طريق ربهم، وجعل كل نبي مرسلاً إلى قومه خاصة وبلسانهم، وأيدهم بالمعجزات الحسية التي ذهبت بذهابهم.

وكان لزامًا أن يكون لهم خاتم يختتم الله عز وجل به الرسالات ويكمل به الدين ويتمم به الشرع؛ فكان النبي محمد ﷺ خاتمهم وإمامهم الذي أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وكافة للثقلين الإنس والجن؛ إذ إن كل رسول أو نبي قد أرسل إلى قومه خاصة إلا أن الرسول محمداً ﷺ قد أرسل إلى الناس كافة، بل إلى الإنس والجن جميعًا.

فإن قال قائل: قد دللتم على جواز إرسال الله عز وجل الرسل عليهم السلام، فما الدليل على إثبات نبوة محمد ﷺ مع وجود من يخالفكم فيها من النصارى واليهود وغيرهم من أهل الأديان؟

---

(١) النساء: (١٥٠ - ١٥١).

(٢) البقرة: (٢٨٥).



وللإجابة على هذا التساؤل نعيش مع الباب الثاني (دلائل النبوة) لبيان بعض أدلة نبوته ﷺ لعل الله تعالى أن ينفع بها الجميع ثم ليهلك بعد ذلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

❋ ❋ ❋

الباب الثاني

دلائل النبوة

تمهيد

على الرغم من سطوع حقيقة نبوة النبي الخاتم محمد ﷺ ووضوحها كالشمس في وسط النهار، إلا أن بعض البشر ممن لعب الشيطان بعقولهم وقلوبهم ذهبوا ينكرون هذا الحق البين.

وهذا الباب معقود لبيان الدلائل على وضوح هذه الحقيقة.

وذلك من خلال فصوله التي تبين المميزات الخاصة بالنبي محمد ﷺ (الاصطفاء بالمؤهلات الذاتية) وتصديق الله عز وجل له بالمعجزات وبالآيات الواضحات (التأييد بالمعجزات وأعظمها القرآن الكريم) وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: الشمائل والصفات.

الفصل الثاني: المعجزة الخالدة (القرآن الكريم).

الفصل الثالث: صدق النبوءات.

الفصل الرابع: الدلائل العلمية (الإعجاز العلمى).

الفصل الخامس: التشريع (الإعجاز التشريعي).

الفصل السادس: تأييد اللّه تعالى ونصره.

الفصل السابع: المعجزات الحسية.

الفصل الثامن: تبشير الكتب والأنبياء.

* * *

الفصل الأول
الشمائل والصفات

• مقدمة:

إذا قيل لك: إن هناك رجلاً صادقًا فربما لا تأبه لهذا.. بل تستغرب وتتساءل ما المقصود؟ فإن قيل: إنه متفرّدٌ بدرجته الرفيعة التي استوى في الصدق عليها، فهو في صدقه ليس كمثل أحدٍ وليس كمثله أحدٌ بين الصادقين، لقد اعتلى ذروة الصدق وتمكن منها حتى صار شيمة له وسجية من سجاياه. فقد تعرض عنه أيضًا ولا تعبأ به. فإن قيل: إنه أمين فلعلك تومئ برأسك وتتمتم بلسانك: هذا يوجد في كثير من البشر.

ولكنا نقول: إن من صفاته وشيمه: الصبر، والمصابرة، والرحمة، والرأفة، والرفق، والحياء، والحلم، والصفح، والتواضع، والعفة، والوقار، وقلة الضحك، والشجاعة، والقوة، والحكمة، والعدل، وحنكة القيادة، وكذلك العبادة لخالقه، والزهد فى الدنيا ومتاعها.

فهو يتعامل بسجيته وشيمه التي نشأ عليها من الصدق والأمانة والسماحة؛ والتواضع، وخُلقه مع الجميع لا يتبدل ولا يتغير، فهو يرحم الضعيف وينصره. ويوقر الكبير ولا يخذله، وهو يرفق بمن حوله، ولكنه قوي شديد إذا انتهكت حقوق ربه وخالقه.

وهو يحلم على من يَجهَلُ عليه، ويؤذيه الآخرون، فيصبر عليهم رجاء الخير لهم.

وفضلاً عن ذلك هو: سخيٌّ كريم، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. زاهد يقنع بالكفاف ولا يمد عينيه إلى شيء من زهرة الحياة الدنيا أو زينتها. عابد محب يجد أنسه وسكينته وبهجته في عبادة ربه، والقيام له طويلاً حتى تشقق قدماه. شجاع مقدام يحتمى به الرجال في ساحة الوغى حين البأس. صادق مصدوق يقول الحق ويفعل الخير. دلت على ذلك حياته، وأنبأت به سيرته، وشهد له به صديقه وعدوه - والفضلُ ما شَهِدتْ به الأعداءُ - فَسَمَّوْهُ منذ عرفوه بالصادق الأمين. يأمر بمكارم

الأخلاق وينهى عن فحشائها، ثم إنه يدعو إلى الفضيلة وينهى عن الرذيلة، وغير ذلك مما أكسبه قبولاً وسكينة ووقاراً ووضاءةً في هيئته وحبًّا لا حدود له ممن حوله، ومن أتباعه.. وكذلك احتراماً وتوقيراً وإجلالاً حتى من أعدائه.

أيها القارئ الكريم: لا شك أنك الآن تسأل وحق لك: هل يمكن أن تجتمع هذه الصفات وتلك الشمائل في رجل واحد مهما بلغ شأنه فيما عُرف به من خُلق، وما عُهد عنده من طبع؟ ربما كان تصور ذلك بعيداً في حدود الإمكان إذا قسناه بما نألفه من أحوال الناس، أو ما نعرفه من شأن الأخلاق بين البشر!!

ولكنه وقع، وكان المثلُ فيه والمُصوِّر له، هو ذلك النبيُّ الأكرمَ محمداً رسول الله ﷺ الذى شاء رب العالمين أن يجعله خاتم النبيين وإمام المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فهلم معنا إلى روضة النبوة المطهرة ننهل من معينها الرقراق، ونرشف من رحيقها الجليل، ونتنسم نسيمها العليل، ونفوز بقطف من قطوفها الدانية.

ولنعلم بداية أن الله عز وجل قد بعث رسوله ﷺ على فترة من الرسل.. حيث كان العالم يئن من ظلم البشر وتسلط الطواغيت؛ بل عبادتهم، وكانت الدنيا قد امتلأت ظلماً في مشارق الأرض ومغاربها.

وكانت جزيرة العرب تعيش أحوالاً عجيبة، ففيهم من القيم والأخلاق العجب العجاب من الكرم والمروءة والشهامة والوفاء بالعهود وغير ذلك، وفيهم من الظلم والفساد والطغيان وطمس الأرواح والفطر حتى عبدوا الحجارة والأوثان مما يترك الحليم حيران.

فكاد الكون يتضرع لرب الكون يطلب الخلاص، وكانت مقتضيات الحاجة إلى الرسول ﷺ في أعلى درجاتها؛ بسبب الفراغ الروحي، والفساد الخُلقي والاجتماعي، وانتشار الظلم والطغيان في مشارق الأرض ومغاربها.

فأرسل الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ، وأكمل له الكمالات البشرية المُعتبرة في أعلى درجاتها، وأهّله بمؤهلات النبوة بصورة لم تتوفر لغيره من الأنبياء عليهم السلام!

فمن حيث مؤهلات النبوة فقد اختاره الله عز وجل واصطفاه من البشر حُرًّا مُتسربلاً بسربال الحُرية سلفًا عن سلف، واختاره من أشرف الأنساب؛ بل أشرفها على الإطلاق.

أما نسبه؛ فالله عز وجل أعلم بمن يختاره ويصطفيه، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾(١).

ولما سأل هرقلُ ملكُ الروم أبا سفيان تلك الأسئلة عن صفاته؛ قال: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها. يعني: في أكرمها أحسابًا وأكثرها قبيلة صلوات الله عليهم أجمعين(٢).

فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولا خلاف بين العلماء في أن عدنان من ولد إسماعيل. وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون إلى هذا النسب؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾(٣). لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم(٤).

وقال ﷺ: «خرجتُ من نكاحٍ ولم أخرجْ من سِفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ من خير قرون بني آدم، قرنًا فقرنًا، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه»(٦).

---

(١) الأنعام: (١٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) الشورى: (٢٣).

(٤) رواه البخاري (٤٨١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٤٧٢٨) عن علي رضي الله عنه، وانظر: الألباني في الإرواء (١٩١٤) وقال: حسن لغيره.

(٦) رواه البخاري (٣٥٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم»(١).

وعن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس رضي الله عنه بلغ النبي ﷺ بعض ما يقول الناس، قال: فصعد المنبر، فقال: «من أنا ؟» قالوا: أنت رسول الله ﷺ، قال: «أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نفسًا»(٢).

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»(٣).

فصلوات الله عز وجل وسلامه على خير خلق الله عز وجل.

وهذه الجوانب التى ذكرنا من مؤهلات النبوة الشخصية من الحرية وحاجة الزمان وشرف النسب. ينضم إليها جانب ذروة الاصطفاء من حيث الكمال البشري والمثالية والسمو الروحي لرسول الله ﷺ وهو بستان زاهر عامر بالأزهار من الصفات والشمائل؟! فهيا بنا نتجول في هذا البستان مع صفات وشمائل رسول الله ﷺ.



الرحمة

إن الرحمة فضيلة إسلامية تدل على قوة صاحبها ونبله، وتقديره لمشاعر الآخرين ومعاونتهم والتخفيف عنهم ولين الجانب لهم، وقد بلغ منها رسول الله ﷺ الدرجة القصوى، فكان ﷺ رحيمًا بالكبير والصغير، بالرجال والنساء؛ حتى بالحيوانات والطيور وبكل ما يحيط به، وصدق الله العلي العظيم إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٦٥، ١٦٦ برقم ١٧٥٥٢)، والترمذي (٣٦٧٠) عن عبد المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (١٤٧٢).

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) آل عمران: (١٥٩).

وإذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وإذ قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢).

إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت صفة الرحمة في أروع صورها وأعلاها لرسول الله ﷺ. وجاءت السنة النبوية مؤكدة هذا المعنى بالأدلة والشواهد التي تدل على أن رحمته ﷺ اتسعت حتى شملت جوانب عديدة، ومن تلك الأمثلة:

ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَبَّل رسول اللَّه ﷺ الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قَبَّلت منهم أحدًا! فنظر إليه رسول اللَّه ﷺ ثم قال: «من لا يَرحَم لا يُرحَم»(٣).

وما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تُقبِّلون الصبيان؟ فما نُقبِّلهم. فقال النبي: «أوَ أملكُ لك أن نزع اللَّه من قلبك الرحمة»(٤).

وذكر الرسول ﷺ أن الرحمة صفة من صفات الله تعالى، وأنه على الناس أن يتراحموا فيما بينهم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل اللَّه الرحمةَ مائةَ جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرسُ حافرَها عن ولدها خشيةَ أن تصيبه»(٥).

ومن رحمته ﷺ بأصحابه أنه كان يتعهدهم بالموعظة: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام كراهةَ السآمة علينا(٦)، أي أنه ﷺ كان يعظ الصحابة في حين بعد حين لا في كل حين.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا»(٧) وأنه ﷺ

---

(١) التوبة: (١٢٨).

(٢) الأنبياء: (١٠٧).

(٣) رواه البخاري (٥٩٩٧)، مسلم (٢٣١٨).

(٤) رواه البخاري (٥٩٩٨)، مسلم (٢٣١٧).

(٥) رواه البخاري (٦٠٠٠)، مسلم (٢٧٥٢).

(٦) رواه البخاري (٦٨)، مسلم (٢٨٢١).

(٧) رواه البخاري (٦٩)، مسلم (١٧٣٤).

ما خُيِّر بين أمرين قط إلا أخذ أيسرَهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم ﷺ لنفسه فى شىء قطُّ إلا تُنتهك حرمة الله فينتقم بها لله[(١)].

أي: كان ﷺ يتلقى الناس بوجه بشوش ويباسطهم بما لا ينكره الشرع أو يُرتكب فيه الإثم. وكان ﷺ أحسن الأمة أخلاقًا وأبسطهم وجهًا؛ لذلك كان ﷺ يلاطف أصحابه بطلاقة الوجه والمزاح، ويتواضع معهم ويزورهم ويداعب صغارهم.

فهذا أنس رضي الله عنه كان له أخ صغير كان له طائر صغير فمات الطائر، فكان رسول الله ﷺ يلاطفه كلما رآه بقوله: «**يا أبا عُمَير، ما فعل النغير؟**»[(٢)].

ومن صور رحمته ﷺ بالخدم: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، فما قال لي: «**أفٍّ ولا لم تصنع، ولا ألا صنعت**»[(٣)].

ومن رحمته ﷺ بأنس رضي الله عنه أنه كان يناديه قائلاً: «**يا بني**». أي أنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة[(٤)].

ومما يؤكد هذا المعنى ما ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول اللَّه ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل اللَّه، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم اللَّه عز وجل فينتقم للَّه»[(٥)].

وتبلغ الرحمة أيضًا مداها، فيُنكر على من يدعو قائلاً: اللَّهم ارحمنى ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول اللَّه ﷺ فى صلاة، وقُمنا معه، فقال أعرابى وهو فى الصلاة: اللَّهم ارحمنى ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلَّم النبى ﷺ قال للأعرابى: «**لقد حجَّرت واسعًا**»[(٦)]، فرحمة الله عز وجل واسعةٌ وسعتْ كل شيء. ولم تقتصر رحمته ﷺ على البشر؛ بل امتدت لتشمل الحيوانات، والطيور، وكل ذات كبد رطبة.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٠)، مسلم (٢٣٢٧).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩)، مسلم (٢١٥٠).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٨)، مسلم (٢٣٠٩).

(٤) رواه مسلم (٢١٥١) عن أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٦) رواه البخاري (٦٠١٠).

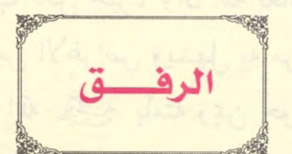
فهذا أبو هريرة ﷺ يروى أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر اللَّه له فغفر له»، وقالوا: يا رسول اللَّه! وإن لنا في البهائم أجراً فقال ﷺ: «في كل ذات كبد رطبة أجر»(١).

وأن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشَاش الأرض(٢)، ونهى ﷺ من هموا بإحراق قرية النمل، وأنكر من أخذ أفراخ الطيور من أمهاتها وأمرهم بردها إليها، فقد ثبت عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (طائر صغير كالعصفور أحمر اللون) معه فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبى ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟! ردوا إليها ولدها»، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا نحن، قال: «أنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار»(٣)، وأخبر ﷺ بأن من لا يَرحَم لا يُرحَم، وأن الرحمة لا تُنزَع إلا من شقي، وبشر ﷺ الراحمين بالرحمة من الله تعالى.

فقال ﷺ: «إنما يرحم اللَّه عز وجل من عباده الرحماء»(٤).

وقال ﷺ: «الرحم شجنة فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»(٥).

إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال هنا لاستقصائه، فصلى الله وسلم على نبي الرحمة والهدى وسلم تسليماً كثيراً.



الرفق

كان رسول الله ﷺ رفيقًا لين الجانب في القول والفعل، يأخذ بالأسهل ويدعو إلى الرفق في الأمر، ويبين عظيم ثوابه ويُثني على من يتصفون به.

---

(١) رواه البخاري (٢٣٦٣)، مسلم (٢٢٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣١٨)، مسلم (٢٢٤٢) عن ابن عمر ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (٢٦٧٥، ٥٢٦٨) عن ابن مسعود ﷺ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥).

(٤) رواه البخاري (١٢٨٤)، مسلم (٩٢٣) عن أسامة بن زيد ﷺ.

(٥) رواه البخاري (٥٩٨٩)، مسلم (٢٥٥٥) عن عائشة ﷺ.



فهذا رفقه بأمته يرويه لنا الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فرفع يديه ﷺ وقال: «اللَّهم أمتى أمتى وبكى، فقال اللَّه عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول اللَّه ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال اللَّه عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»(١).

وعن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يُحرَم الرفقَ يُحرَم الخير»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن اللَّه رفيق يحب الرفق، فى الأمر كله»(٣).

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٤).

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من أُعطى حظَّه من الرفق فقد أُعطىَ حظه من الخير، ومن حُرِم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»(٥)، وقال: «ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن، وإن اللَّه ليبغض الفاحش البذيء»(٦).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إنى لأقوم في الصلاة أريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»(٧).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تُبيِّن فضل الرفق والحث على التخلق به، وتذم العنف، وتوضح أن الرفق سبب لكل خير، وأن الله تعالى يثيب عليه ما لا يثيب على غيره؛ ذلك أنه يتأتى بالرفق من الأغراض ويسهل به من المطالب ما لا يتأتى ويسهل بغيره. فانظر إلى رفق رسول الله ﷺ بأمته وبمن حوله بهذا الكمال البشرى الذى

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢).

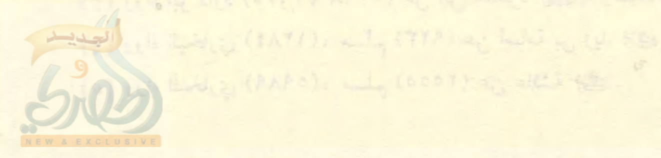
(٣) رواه البخاري (٦٥٢٨)، مسلم (٢١٦٥).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٤)، والترمذي (٢٠١٣ - ٢٠٠٢) مقطعا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٥٥).

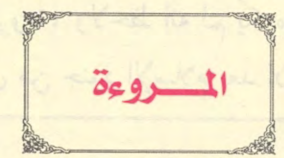
(٦) نفس التخريج السابق

(٧) رواه البخاري (٧٠٧)، مسلم (٤٧٠).





لم يبلغه ولن يبلغه بشر، فنعم القدوة والأسوة الحسنة هو رسول الله ﷺ.



المروءة

نضرب مثلاً واحداً، ولكنه عظيم للإشارة إلى مروءة النبى ﷺ، فقد أرسل سريةً إلى نجد، فأسرت رجلاً، وأتت به إلى مسجد رسول الله ﷺ، فيسأله رسول الله ﷺ عمَّا عنده لعله يُسلم، فيجيب الرجل بثبات وإصرار بغير ذلك. فتتجلى مروءة النبى ﷺ بعد ما رأى من ثبات الرجل وتمسكه، فأمر بإطلاق سراحه، فما كان من الرجل إلا أن أسلم لما عاين من هذه الشمائل والصفات للنبى ﷺ.

ويروى لنا أبو هريرة رضي الله عنه هذا الموقف الجليل قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حَنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج النبى ﷺ فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندى خير يا محمد، إن تقتلنى تقتل ذا دم - أى سيثأر له قومه - وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنتَ تريد المالَ فسل منه ما شئت. فتُرك حتى كان الغد، ثم قال له: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندى ما قُلت لك: إن تُنعم تُنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندى ما قُلت لك. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**». فانطلق إلى نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه. يا محمد! واللَّه! ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، واللَّه! ما كان من دينٌ أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينُك أحبَّ الدين إليَّ، واللَّه! ما كان من بلد أبغضَ إليّ من بلدك فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟، فبشره رسول اللَّه ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمتُ مع محمد رسول اللَّه ﷺ، ولا واللَّه! لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة(قمح) حتى يأذن فيها رسول اللَّه ﷺ(١).

(١) رواه البخاري (٤٣٧٢)، مسلم (١٧٦٤).



فانظر إلى هذا الرجل الذي دخل في الإسلام بفضل الله ثم بمروءة رسول الله ﷺ القدوة والقمة السامقة في المروءة، ولاحِظ أنه لم يُكره على ذلك، ثم انظر سرعان ما تحول إلى مُحبٍ ومُطيع وجندي من جنود الإسلام بعد أن كان مبغضًا ومعاندًا.

الحلم والصبر على الأذى

والحلم: هو ضبط النفس عند هيجان الغضب.

والغضب: هو ثورة النفس وغليان القلب لتملك الشيطان من النفس والعقل.

فالحلم مَلَكةٌ تعمل على ضبط النفس. وهو درجة سامية لا يصل إليها إلا من استطاع أن يكبح زمام غضبه.

وللحلم مكانة عظيمة؛ لأنه صفة من صفات العلي العظيم. الذي له صفات الكمال، كما أخبر سبحانه عن نفسه: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ (١).

وأيضًا من صفات الأنبياء: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ (٢).

ودلّنا رسول الله ﷺ ورغّبنا في الحلم بقوله: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه؛ دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيره من الحور العين ما شاء**» (٣).

وحث ﷺ على الحلم حينما قال رجل: أوصني يا رسول اللَّه، قال ﷺ: «**لا تغضب**»، فردد مرارًا. قال: «**لا تغضب**» (٤). فدعانا ﷺ بقوله للحلم كما كانت سيرته ﷺ دعوة عملية إلى الحلم في مواقف كثيرة معلومة مشهورة منها: ما حدث حينما كُسرت رباعيته وشُجَّ وجهه ﷺ يوم أُحد، وقد شقَّ ذلك على أصحابه كما يروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول اللَّه! ادعُ على المشركين، قال ﷺ: «**إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثتُ رحمة**» (٥).

---

(١) البقرة: (٢٦٣).

(٢) التوبة: (١١٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٧٧) عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٢).

(٤) رواه البخاري (٦١١٦).

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



وينقل ابن مسعود رضي الله عنه لنا ذلك حيث قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيًّا من الأنبياء ضربه قومُه فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللَّهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**» (١).

انظر ما فى هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحُسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال: «**اغفر**» أو «**اهد**»، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: «**لقومى**» ثم اعتذر عنهم بجهلهم وقال: «**فإنهم لا يعلمون**».

ويوم ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم؛ فسبُّوه وآذوه أيُّما إيذاء، وسلطوا عليه السفهاء وقذفوه بالحجارة، وسخروا منه، وردوه، فماذا كان منه ﷺ بأبي هو وأمي ونفسي؟.

هل دعا عليهم؟ هل طلب من ربه أن ينتقم منهم؟

هل غضب وثأر لنفسه؟ هل تمرد على القيام برسالته وإتمام دعوته؟

لا والله! بأبى هو وأمي ونفسي، ما كان ذلك؛ بل كان الصبر والحِلم والحرص على نجاة قومه؛ بل الخوف من أن يكون قد قصَّر في رسالته ودعوته!

وهذا ربه قد أرسل إليه جبريل ومعه ملك الجبال عليهما السلام ليأمره النبى ﷺ بما يشاء، فيأبى إلا الدعاء لقومه، والأمل في الله بهدايتهم.

فما أعظَمَه من نبيٍّ وما أحلَمَه! فمن يملك مثل هذا الحِلم من البشر؟!

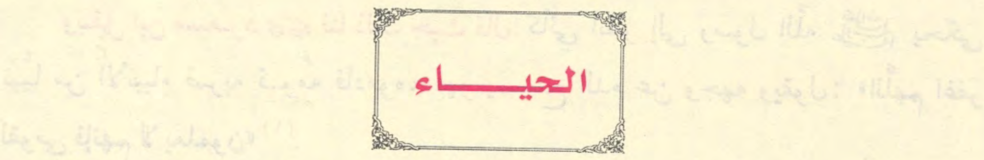
وتعالوا لنستمع إلى أُمنا عائشة رضي الله عنها وهي تروي لنا ذلك حيث إنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ ﷺ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» (٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٧)، مسلم (١٧٩٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٣١)، مسلم (١٧٩٥).





الحيـــاء

وهو انحسـار النفس خوفَ ارتكاب الـقبائح، وهذا الخلق مـن مكارم الأخلاق، ودليل على طهارة النفس وحياة الضمير ومراقبة الله عز وجل.

وذكر النبي ﷺ أن من صفات الله عـز وجل؛ الحياء، وذلك في قوله ﷺ: «**إن اللَّه حَيِيٌّ كريم يستحيِي إذا رفع الرجل إليه يده أن يردهما صفرًا خائبتين**»(١).

وحثَّنا ﷺ بقـوله على الحيـاء حيث قـال: «**استحيوا من اللَّه حق الحيـاء**» قلنا: يا رسول اللَّه؛ إنا نستحي والحمـد للَّه، قال ﷺ: «**ليس ذلك، ولكن الاستحياء أن تحفظ الرأس ومـا وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكـر الموت والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللَّه حق الحياء**»(٢).

وكان رسـول الله ﷺ شديد الحيـاء كـما جاء عـن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كـان أشد حيـاءً من العذراء في خِـدرِها، وإذا رأى شيئًـا أنكره عـرفناه في وجهه»(٣).



العفـو

كان من أخـلاق النبي ﷺ العفو، والـعفو هو: ترك المؤاخـذة، لمن أسرف في أذاه، مُتخلِّقًا في ذلك بأخـلاق القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾(٤)، بل إن هذه الصفة الرفيعة قد وردت في التوراة.

ويروي لنا ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص، حيث سئل عن ذلك فقال: أَجَلْ

---

(١) الترمـذي (٣٥٥٦) وقال: حسن غريب، وصـححه الألباني في صـحيح الترغـيب والترهيب (٢/ ١٢٨ برقم ١٦٣٥) عن سلمان رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمـذي (٢٤٥٨) عن ابن مسعـود رضي الله عنه، وذكره الألباني في صـحيح الترغـيب والترهيب (٣/ ١٦٤، برقم ٣٣٣٧) وقد حسنه لغيره.

(٣) رواه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٤) الأعراف: (١٩٩).





وَاللَّه! إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِى التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِه فِى الْقُرْآنِ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾. وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِى، سَمَّيْتُكَ المَتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ فِى الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِه الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(١).

وصور عفوه ﷺ أكثر من أن تُحصى، نذكر منها على سبيل المثال: عفوه عن أبي سفيان الذي فعل ما فعل وأدمى كبد رسول الله ﷺ في أُحد، وحزَّب الأحزاب يوم الخندق ضد رسول الله ﷺ وناصر القبائل ضده، وعلى الرغم من كل ذلك يعفو عنه النبى ﷺ يوم فتح مكة، بل يمنُّ عليه بما يفخر به، وما كان يطمع في أكثر من أن يهب له حياته ولا يضرب عُنقه جزاء ما آذى به المسلمين، ولكن الرسول الأكرم ﷺ يمنحه العفو وزيادة إذ يقول: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»(٢).

ويتجلى العفو عند المقدرة في أروع صوره يوم فتح مكة حينما دخلها رسول الله ﷺ مُنتصرًا، وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل اليوم بمشركي قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلده وقاتلوه؛ والآن هم أمامه لا ملجأ لهم ولا منجى؛ فتظهر مكارم أخلاقه، ويظهر عفوه حيث قال ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(٣). وهي جملة صغيرة المبنَى لكنها عظيمة نبيلة جميلة بأكمل معاني هذه الكلمات، فيما تدل عليه وتوحي به أو تشير إليه، فلقد كانت خاتمة للحوار بينه وبين قومه المعاندين يوم الفتح المبين، وفي تلك الكلمات الخاتمة يتجلى الخُلُق العظيم في صورة نبيلة جليلة، فهو قوي منتصر بين يديه مهزومون مخذولون مستسلمون بعد حرب ضارية ظالمة في عناد بالغ، عنيد ويسألهم وهو في أوج القوة وعنفوان الغلبة: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟!**» فيكون جوابهم انعكاسًا لرجائهم في كرم الأصل، ونفاسة المعدن، ونبالة الطبع: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، بل أقروا، وقالوا: إن تعفُ **فذلك ظننا بك**، وإن تعاقب فقد أسأنا، ويأتي إيجاز الجواب بغير مَنّ ولا تعيير ولا توبيخ أو تقريع، آيةٌ بينة على أن الكريم النبيل الذى آتاه رب العالمين من الأدب الرفيع والخلق العظيم ما لم يؤته أحدًا من

(١) رواه البخاري (٤٨٣٨)، ومسلم (٢٣٢١).
(٢) رواه مسلم (١٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٥/ ٧٣).



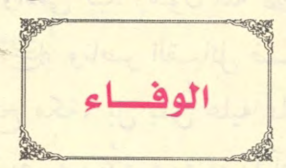


العالمين لا يخيب عنده رجاء الراجين، ولا أمل الآملين؛ فقال ﷺ : **«لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم؛ اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١)** .

وكذلك عفوه ﷺ عن لبيد بن الأعصم اليهودى الذى سَحَرَ النبى ﷺ ، فعفى عنه ولم يعاقبه، وإنما اكتفى ﷺ بقوله: **«شفانى اللّه وكرهت أن أُثير شراً»(٢)** .

وعفوه عن اليهودية التى أهدته الشاة المسمومة(٣) .

وهذا كله يؤكد أن رضاه ﷺ إنما كان لله لا لهوى في نفسه، وأن جانب الرحمة والصفح والمغفرة كان دائمًا هو البارز والواضح من أخلاقه ﷺ .



الوفاء

الوفاء: هو المحافظة على عهود الخلطاء.

وهو ﷺ مَثلاً يحتذى به في الوفاء، وهو من صفات الأنبياء عليهم السلام كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه قال: أخبَرني - يعني أبو سفيان - أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟، فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد. قال هرقل: وهذه صفة النبي..... (٤) الحديث.

وحث على الوفاء بقوله: **«المسلمون عند شروطهم»(٥)** .

وكان ﷺ في الوفاء مثلاً يحتذى به في أقوال ناصعة وأعمال مضيئة منها:

١ - وفاؤه العظيم لزوجه خديجة رضي الله عنها، وذلك الوفاء الذي لازمه وأقام في فؤاده ﷺ ثم أظهره وعبر عنه في مناسبات كثيرة نذكر منها:

- ما حدث يوم بعث أهل مكة في فداء أسراهم، فبعثت زينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص (زوجها) وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة رضي الله عنها (أمها) أدخلتها بها على أبي العاص، قالت: فلما رأها رسول اللّه ﷺ رقَّ لها رقةً

(١) انظر: (الشفا) للقاضي عياض (١/ ١٢٣-٢١١)، سنن البيهقي (٩/ ١١٨)، تاريخ الطبري (٢/ ١٦١)، البداية والنهاية (٤/ ٣٠١).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٣)، مسلم (١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه أبو داود (٣٥٩٤) وصححه الألباني في الإرواء (١٣٠٣) عن أبي هريرة وعائشة وأنس رضي الله عنهم.



شديدةً وقال ﷺ: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها» فقالوا: نعم[(١)].

- كان يذكر لخديجة مواقفها العظيمة وذلك بعد موتها؛ حتى أنه كان ليذبح الشاة ثم يُهدِي خلتها منها[(٢)].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان تأتيه عجوز، فقال: «كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» فسألته: من هذه العجوز التى تقبل عليها؟ قال: «كانت تأتى زمان خديجة... وإن حسُن العهد من الإيمان»[(٣)].

٢- ولم يقف وفاؤه ﷺ عند حدود الآل والصحب. بل تجاوزهم إلى الأعداء كما ظهر ذلك في هذا الموقف الجليل الذي يحكيه لنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: مَا مَنَعَنِى أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إلا أَنِّى خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِى حُسَيْلٌ قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إلا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا منَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ ولا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»[(٤)].

انظر إلى هذا الخُلق العظيم، فالنبي ﷺ مقبل على حرب ومعه القليل من الجند وأحوج ما يكون إلى الرجال إلا أنه يلتزم بالوفاء بالعهد.

فصلى الله عز وجل على من علَّم الدنيا هذه الأخلاق العظيمة.

الشجاعة

لقد جمع الله عز وجل لرسوله الكريم ﷺ إلى جانب هذه الرقة وهذه الرحمة وهذا العفو جرأةً في الحق ما بعدها جرأة، وشجاعة - لا تحيد عن الحق ولا تتراجع - ما بعدها شجاعة، فكان أشجع خلق الله تعالى.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٩٢)، والحاكم (٣/ ٢٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه الألباني في الإرواء (٢/ ١٢١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٤)، ومسلم (٢٤٣٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الحاكم (١/ ٦٣ - ٤٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢١٦).

(٤) رواه مسلم (١٧٨٧) عن حذيفة رضي الله عنه.



ومن أمثلة ذلك: ما ثبت عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: «**لن تراعوا، لن تراعوا، لقد وجدناه بحراً**» وهو على فرس لأبي طلحة عُرىٍ ما عليه سرج.. في عُنقه سيف[(١)].

وشجاعته ﷺ تتجلى في هذا الحديث في أنه من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس جميعًا؛ خرج على هذا الفرس الذي انقلب بفضل الله عز وجل إلى أسرع ما يكون بعد أن كان معروفًا بالبطء، وخرج ﷺ عليه دون أن يضع عليه سرجًا ولم يخش من الخروج وحده لكشف الحال؛ لكي يُطَمْئِنَ أصحابَه ﷺ.

ومن أعظم مواقف شجاعته ﷺ: وقوفُه في وجه الشرك والمشركين يدعو إلى الحق، ولا يحيد عنه ولا يتراجع، على الرغم من شدة العدو وكثرة عدده وعتاده.. وشدة عناده؛ حتى غلب الحقُّ باطلَهم، وحتى دانت رقاب العرب كلها لهذا الدين.

ومن أمثلة شجاعته أيضًا ما سجله التاريخ من صور شجاعته في أثناء الحروب حيث كان يتقدم الجنود، ويَثْبُت إذا اشتد الموقف، وفرَّ مَن حوله، مثلما حدث يوم حُنين؛ إذ وقف على بغلته والناس يفرون عنه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، ورسول الله ﷺ يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[(٢)].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو، وكان ﷺ من أشد الناس يومئذٍ بأسًا[(٣)].

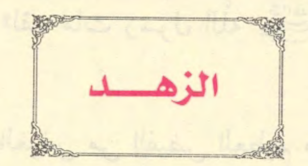
فلننظر إلى شجاعة النبي الكريم ﷺ، وهو الذي يملك أن يأمر فيطاع بلا تردد إلا أنه يأبى إلا أن يكون أول المسارعين لمواجهة الشدائد والصعاب، بل لمواجهة الأعداء، فصلى الله على من علمَّ الدنيا كيف تكون شجاعة الرجال.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٠٨)، مسلم (٢٣٠٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٩٣٠)، مسلم (١٧٧٦).

(٣) رواه أحمد (١/٨٦-٦٥٤) إسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب (تعليق شعيب الأرنؤوط).



الزهد

كان من أخلاقه ﷺ الزهد في الدنيا والاكتفاء منها بما يُقيم الأوَدَ، والصبر على شظف العيش، والقناعة بما يصل إليه.

فكان ﷺ ينام على حصير ليس تحته غيره، ووسادة حشوها ليف، وكان لباسه البرد الغليظة، وطعامه التمر والشعير، يمضي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار؛ وإنما يكتفون بالتمر والماء، وكثيرًا كان يبيت طاويًا، ويصبح صائمًا، وكان يعصب الحجر على بطنه من شدة الجوع، وحُملت إليه الأموال فلم يدخر منها شيئًا، بل مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير، ولو أراد أن يعيش في نعيم ورغد من العيش لكان له ذلك، ولكنه ﷺ آثر الزهد والصبر ابتغاء مرضاة الله تعالى.

هذا ومن الأحاديث التي تدل على شدة زُهده ﷺ وقناعته:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ» (١).

وعنها رضي الله عنها قالت: «إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلا التَّمْرُ وَالْمَاءُ» (٢).

وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: «يا ابن أختى إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلال ثُمَّ الْهِلالِ ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ فِى شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِى أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ! مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ، قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إلا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا» (٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذَكَرَ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِى مَا يَجِدُ دَقَلاً (٤) يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ (٥).

---

(١) رواه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٣) رواه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢) واللفظ لمسلم.

(٤) الدقل: الرديء من التمر.

(٥) رواه مسلم (٢٩٧٨).



وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد مات رسول اللَّه ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[(١)] .

فلننظر ولنتأمل في هذا الغيض من الفيض العظيم من خُلق النبي ﷺ وصفاته؛ لنعلم أن ذلك مظهر من مظاهر التكريم الذى اختصه به رب العالمين؛ إذ هداه إلى أحسن الأخلاق وأتمها وأعلاها.

وماذا نقول عمن أثنى عليه ربه وشهد له أنه على خلق عظيم، وعمن «كان خلقه القرآن»[(٢)] ، وإذا كان الله أرسله ليُعلي الأخلاق إلى أسماها والفضائل إلى مُنتهاها، فلابُد أن تكون أخلاقه ﷺ في الذروة، وقد كان.

وقد شهد له ربه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٣)] .

وقال هو عن نفسه: **«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[(٤)] .

إننا نعلم علم اليقين أن ليس في مقدورنا أن نوفي الحديث عن أخلاق الرسول ﷺ حقه مهما اجتهدنا، وإنما نُشير إلى عظمته ﷺ ببنان قاصرٍ عاجزٍ، ولا نزعم أنَّا نستطيع الإحاطة أو الاستقصاء؛ إلا أننا نشعر أن الأمة والعالم كله اليوم بحاجة إلى أن يبرز أمامه هذا الأنموذج الفريد؛ ليكون قدوة في عالم الناس؛ ولم لا وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٥)] .

وأكمل الله تعالى له هذا الكمال الخُلقي بالكمال الخِلقي.. وذلك باعتدال صورته وهيئته، وبالسكينة التي كانت تعلوه، والوقار والمهابة له في النفوس، مع تحليه ﷺ بالتواضع الجم، وكذلك بالطلاقة والبشاشة والمودة وحُسن القبول عند الناس؛ فقد كان دائم البِشر والتبسم، بل كان يأمر بذلك فقال: **«تبسمك في وجه أخيك صدقة»**[(٦)] .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٤).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٩١ - ٢٤٦٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١١).

(٣) القلم: (٤).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣٨١ - ٨٩٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو صحيح وإسناده قوي (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وحسنه الألباني في صحيحه (٤٥).

(٥) الأحزاب: (٢١).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، والترمذي (١٩٥٦) عن أبي ذر رضي الله عنه، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٧٢).

وكان ﷺ بالنسبة لأصحابه ومن تبعهم من المسلمين أحبَّ من الآباء والأبناء ومن كل شيء. وهكذا كان حال رسول الله ﷺ مع كل من لقيه، فقد كان مقبولاً محبوبًا مُطاعًا مَهيبًا عند الإنس والجن، إلا من كتب الله عز وجل عليهم الشقاء والعذاب من كفار الإنس والجن.

ولقد وهب الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ من كمال الخِلقة، وجمال الصورة، وقوة العقل وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس والأعضاء، واعتدال الحركات، وشرف النسب.. ما لم يبلغه أحدٌ من النبيين عليهم السلام فضلاً عن الناس.

وقد وصفه أنس رضي الله عنه فقال : « كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْن، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ، وَلا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ »[(١)] .

وكذلك وصفه البراء رضي الله عنه فقال: «كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ رَجِلاً مَرْبُوعًا، بعيد مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، له شعر يبلغ شحمة أُذُنَيْهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ لم أر شيئًا قط أَحْسَنَ مِنْهُ»[(٢)] .

ومع هذا الكمال الخُلقي والخَلقي نرى فيه من عظيم الخلال ورفيع الشمائل ما يتحقق به الكمال البشري في أعلى وأكمل صوره البشرية، متمثلاً في فضائل الأقوال وفضائل الأعمال.

فضائل الأقوال

وهذه تكون بالحكمة البالغة والإحاطة بالعلوم الكثيرة بالرغم أنه قد يكون أُميًا لا يكتب ولا يقرأ، كما كان رسول الله محمد ﷺ فقد أتى بما بهر العقول وأذهل الفِطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر، ولم يتعثر بزلل في قول أو عمل. ولا تزال عجائب دينه وغرائب علمه لا تنتهي ولا تنفد؛ خلافًا لما أحدث الفلاسفة من أراء سرعان ما انقضت وفنيت.

ومن فضائل الأقوال: إحكامه لما شُرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل، وأن يُنبه بالقليل على الكثير.

(١) رواه مسلم (٢٣٣٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).



ومن فضائل الأقوال: حفظ اللسان من تحريف الأقوال، أو استرسال في خبر يكون إلى الكذب منسوبًا وللصدق مُجانبًا، وقد اشتهر رسول الله محمد ﷺ بالصدق والأمانة قبل البعثة وبعدها، ولو أُثر عليه كذب لكان ذلك حُجةً عليه ودليلاً لتكذيب رسالته؛ إلا أنه لم يكذب قط، ولذلك لم تكن لهم عليه أية حُجة.

ومن فضائل الأقوال: وضوح جوابه إذا سُئل، وقوة حُجته إذا جادله أحد، وألا يعتريه عِيٌّ أو فهاهة.

ومن فضائل الأقوال: الدعوة إلى التحلي بالفضائل، والتخلي عن النقائص والرذائل؛ كالدعوة إلى مُستحسن الآداب، مثل: صلة الأرحام، والعطف على الأيتام، وحُسن الجوار، ومساعدة المحتاج، وغيرها.

ومن فضائل الأقوال فصاحةُ اللسان، وحُسنُ البيان، والإيجاز في الكلام، والبلاغة في غير تكلف أو تعسف، وجزالة اللفظ مع صحة المعنى، وكان رسول الله ﷺ أفصح الناس.

ومن أمثلة ما ذكرناه:

١ - عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(١).

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا تَنَافَسُوا، وَكُونُوا عبادَ اللَّه إِخْوَانًا**»(٢).

٣ - عَنْ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لدينه وعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِى أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٣).

انظر وتأمل إلى كلام من أوتي جوامع الكلم ﷺ كيف يوجز ويفصل ويبين بأجزل عبارة وأبينها، وكيف كان حضه على مكارم الأخلاق وبيانه لأمور العباد مع

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).





رب العباد. فصلى الله عز وجل على من أرسله رحمة للعالمين.

فضائل الأعمال

وكان ذلك بحُسن سيرته وصحة سياسته ﷺ حتى أذعنت له النفوس طوعًا وانقادت خوفًا وطمعًا. ومن ذلك: عدله ﷺ في شرِعة دينه فلا إفراط ولا تفريط، بل وسطية بلا تعصب ولا تسيُّب، وخير الأُمور الوسط.

ومن فضائل أعماله ﷺ: أنه لم يجنح بأصحابه إلى حب الدنيا ولا إلى رفضها إنما الاعتدال كما قال الله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(١).

ومن فضائل أعماله ﷺ: أنه أوضح للأمة كيف يعبدون الله عز وجل، وبيَّنَ لهم الحلال من الحرام، وفصَّل لهم ما يجوز وما يمتنع من عقود ومناكح ومعاملات، ويتجلى هذا من خلال حديث الثلاثة نفر، والذى يرويه لنا أنس رضي الله عنه حيث قال: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْط إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

حتى احتاج أهل الكتاب إلى كثير من شرعه في زمانه، ولم يحتج شرعُه إلى شرع غيره. ثم مهَّد لشرعه أُصولاً تدُل على الحوادث المُستقبَلة ويستنبط لها الأحكام المُعللة، وكل ذلك كان في فترة بعثته الوجيزة؛ مما دل على إعجازه، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

ومن فضائل أعماله ﷺ: سخاؤه وكرمه وسعة عطائه، حتى إنه كان يعطى كل ما عنده ولا يستبقى لنفسه ولا لأهل بيته شيئًا، سواء كان ذلك في مبدإ بعثته أو حتى بعدما

(١) القصص: (٧٧).

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).



فتح الله عز وجل عليه من زهرة الدنيا؛ لأنه يؤمن بحياة آخرة سرمدية نعيمها لا يفنى وخيرها لا يزول، ورسول الله ﷺ له فيها حظ أوفر، ونصيب أكبر، هو ومن تبعه.

ومن فضائل أعماله ﷺ ودلائل نبوته: أنَّه جاهد أعداءه الذين أحاطوا به من كل الجهات وهو في بلدٍ ضئيل وعددٍ قليل، فنصره الله عز وجل بالحرب وبالرعب نصراً مؤزراً لا يتفق مع قلة عدد جنوده وقلة أسلحتهم؛ مما يؤكد أن هذا النصر ليس إلا من الله خير الناصرين الذي ينصر رُسله والذين اتبعوهم.

ومن فضائل أعماله ﷺ: شجاعته وبأسه في القتال، وما تأثر بقوة أعدائه أو كثرة عددهم، ويوم تأثر أصحابه وأتباعه بجنود العدو وحاولوا الفرار بقي هو ﷺ لم يفر ولم يهرب، إنما أشهر سيفه وقاتل الآلاف وحده وهو يقول: «**أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»(١)، وظل كذلك حتى عاد أصحابه إلى القتال ونصرهم الله نصراً مؤزراً، وهذه الشجاعة والبسالة في القتال إلى جانب الثقة بالنصر رغم فرار أتباعه لا تكون إلا لنبي!

وقد وعده الله عز وجل بذلك حيث قال: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾(٢).

كمال الخلق وكمال الخلال

إن البشر الذين يضرب بهم المثل في حسن الخلق، قد اشتهر كل منهم في باب أو ميدان واحد من الميادين، فلا يكاد يُعرف عنهم غيره، أما النبي ﷺ فقد جمع الله تبارك وتعالى فيه كمال الخُلق وكمال الخلال ففي كل مجال وفي كل باب ترى النبي ﷺ قد بلغ الغاية فيه.

عدم الضعف وجمع المتقابلين

كثيرٌ من البشر حين يُرزق خُلقًا قد يطغى عليه في مواقف كثيرة ويخرجه عن

(١) رواه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٢) غافر: (٥١).



الحق، فمن رزق الرحمة وصار صاحب قلب رحيم يتحدث الناس عن رحمته، قد يأتى موطن يتطلب منه سوى ذلك فتغلبه الشفقة، وقل مثل ذلك في من رزق السخاء والجود؛ فقد يتحول ذلك إلى إسراف وتبديد للمال، والذي رُزق الشجاعة قد تتحول إلى باب من أبواب التهور، أو قد تخرجه من الحق في موقف من المواقف وفي موطن من المواطن.

أما النبي ﷺ الذي لا يرد سائلاً ولا شافعًا، بل يقبل شفاعة الأَمَة والعبد والكبير والصغير، إلا أنه لا يقبل شفاعة في حد من حدود الله، فها هو في موقف يأتيه حبيبه وابن حبيبه أسامة بن زيد ليشفع في امرأة سرقت حتى لا تُعاقب فيغضب النبي ﷺ ويقول له: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ»؟! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١).

وهذا الذي ذكرناه من حُسن خُلقه وعشرته ﷺ قليل من كثير، وغيض من فيض، مما لا يمكن الإتيان على جميعه في مقال أو كتاب، واللهَ عز وجل نسألُ أن يرزقنا حُسن الخلق، وحُسن الاتباع لرسول الله محمد ﷺ.

• سؤال يطرح نفسه..

هل يُعقل أن تجتمع هذه الصفات وتلك الشمائل؛ وأن تلتقي هذه السمات، وتلك الفضائل في إنسان؟! إن هذا لشيء عجيب، وإن العجب ليعظم إذا علمنا أنا لم نذكر إلا القليل من محاسنه واليسير من فضائله التي لا يُحصَى لها عدد، ولم يُدرك لها أمد، بل لم تكتمل في أحد من العالمين إلا في النبي محمد ﷺ. وهذا بشهادة أعدائه قبل أصحابه، وبشهادة مُخالفيه فضلاً عن مُتبعيه!!

ولقد اجتهد أعداؤه في أن يستدركوا عليه خطيئة أو زلة، أو أن يظفروا منه بهفوة في جد أو هزل، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، والتاريخ خير شاهد.

وكيف يتسنى لهم ذلك؟ وقد سجل التاريخ ما تواتر نقله عنه ﷺ أنه كان عظيمًا فريدًا عبقريًا في تربية أصحابه، رباهم وأسسهم ليقودوا العالم بعد ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

كيف ربَّى أنموذجًا مثل مصعب بن عـمير ليكون أول سفير له ﷺ؟ أرسله إلى المدينة، فدعا أهلها، فهبوا سراعًا؛ لأنه دعاهم بما رباه عليه النبي ﷺ على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبالجملة: فآية أخلاقه ﷺ آية كُبرى، وعلامة عُظمى من علامات نبوته ورسالته ﷺ؛ ففضائله وأخلاقه وشمائله لم تجتمع لبشر قط قبله، ولا تجتمع لبشرٍ بعده؛ وذلك أنه لم يُرَ ولم يُسمع لأحدٍ قط كصبره، ولا كحلمه، ولا كوفائه، ولا كزُهده، ولا كجوده، ولا كصدق لهجته، ولا كتواضعه، ولا كصمته، ولا كقوله، أو فعله، ولا كعفوه فضلاً عن أصيل حسبه وكريم نسبه ﷺ.

ولله درّ خديجة رضي الله عنها حين وصفته ليلة بعثته قائلة: «والله! ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١).

وقد توج الله جل جلاله هذا الاصطفاء بما ذكره في قرآنه الكريم وهو المعجزة العظمى، والتي أيد بها نبيه محمد ﷺ حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

فخلق عظيم وقرآن عظيم فهي نبوة خاتمة عظيمة.

فصلى الله على من بعثه بفضائل الأخلاق ومتممًا لمكارمها.

* * *



(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) سورة القلم: (٤).

الفصل الثاني

المعجزة الخالدة (القرآن الكريم)

اعلم أن الله تعالى قد أيّدَ النبي محمداً ﷺ بأعظم معجزة، وهي القرآن الذي يخاطب العقول والقلوب، والذي تعهد الله عز وجل بحفظه. وقبل أن نتكلم عن القرآن فلنعرف شيئًا بداية عن المعجزة.

فالمعجزة: هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء والرسل عليهم السلام. وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية أو عقلية. وسُميت معجزة؛ لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، ولها شروط خمسة، فإن اختل منها شرط لا تُعَدُّ معُجزة (على المشهور عند أهل العلم)[1].. وهذه الشروط هي:

أولاً: أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه: كفلق البحر، وانشقاق القمر، وإحياء الموتى... إلى غير ذلك.

ثانيًا: أن تخرق العادة، وأن تكون مرتبطة بمدعي الرسالة، كأن يسأل الله عز وجل أن ينزل مائدة من السماء، فيجيبه الله إلى ذلك خرقًا للعادة، وكأن يقلب العصا إلى ثُعبان بفعل من الرسول؛ أو أن يُخرج الماء من بين الأصابع بدعاء أو طلب من النبي أو الرسول، أو أن يكثر الطعام إثباتًا لبركة الرسول.

ثالثًا: أن يَستشهد بها مدعي الرسالة عن الله تعالى، بمعنى أن تكون طريقًا للدلالة على الله عز وجل.

رابعًا: أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهِد بكونها معجزة له، وذلك بمعنى أن يقول للحجر: انطق، فينطق الحجر بتصديقه، لا أن ينطق بتكذيبه. وقد نُقل عن مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ أنه تفل في بئر ليكثر ماؤها، فغارت البئر، وغار ما كان بها من ماء، فيكون هذا على خلاف دعوى المتحدِّى بها.

خامسًا: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدِّي (الرسول) على وجه المعارضة. فإن

---

(1) مقدمة القرطبي (1/ 86) في تفسيره بتصرف.

جاء بمثل ذلك سقط اعتبارها معجزةً دالة على نبوته. إلا أن يكون نبيًّا مثله في مكان آخر أو زمان آخر.

إذا علمنا أن المعجزات يُشترط لها هذه الشروط، فلنعلم أيضًا أن المعجزة على نوعين:

النوع الأول: ما اشتهر نقله، وانقرض عصره بموت النبي صاحب هذه المعجزة، كما اشتُهر عن عصا موسى، وإحياء الموتى لعيسى عليهما السلام.

النوع الثاني: ما تواترت الأخبار بِصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقًا كثيرًا، وجمًّا غفيرًا، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علمًا ضروريًّا، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم وأوسطهم في كثير العدد حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب.

والقرآن هو هذا النوع من المعجزة؛ فقد نُقل إلينا القرآن كما نُقل وجود النبى ﷺ بالتواتر، فالأمة لم تزل تنقل القرآن خلفًا عن سلف، والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي ﷺ والمعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة والمعجزات، والرسول ﷺ أخذه بطريق الوحي[1] عن أمين الوحي جبريل عليه السلام الذي أخذه عن ربه عز وجل.

فنَقَل القرآنَ في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد؛ ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود رسول الله ﷺ ومن ظهور القرآن على يديه، وتحديه به بالرسوخ والقوة والثقة، كعلم الإنسان بما نُقل إليه من وجود بلدان كخرسان والمدائن وغيرهما، ومثل ذلك من الأخبار الظاهرة والمتواترة.

---

(١) الوحي: يشمل وحيين: وحي باللفظ وهو القرآن الكريم، كلام الله المعجز، ووحي بالمعنى وهو السنة، وكلاهما وحي حكمًا، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقد مضى أهل العلم على أن ذلك يشمل القرآن والسنة. انظر: تفسير الرازي (٢/ ٣٥٧)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].



إذن فالقرآن معجزة نبينا الباقية، وبه قامت الحجة السماعية، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(١).

فأوقف الله عز وجل الأمر على سماعه؛ ليكون حجة على من سمعه، ولا يكون ذلك إلا وهو معجزة إلى يوم القيامة؛ ولذلك قال الله تعالى تحديًا لمن سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليه آيات من ربه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

فتحدى الله جل جلاله البشر جميعًا - فضلاً عن تحديه لهؤلاء - بأن هذه هي أعظم المعجزات الكافية لدحض دعواهم، والباقية إلى يوم القيامة، وأما معجزات الأنبياء عليهم السلام الآخرين فانقرضت بمضيهم؛ أو دخلها التغيير.

• القرآن معجزة رسول الله ﷺ العظمى الخالدة:

القرآن هو المعجزة الخالدة، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنور المبين، والسراج الذى لا يخبو ضياؤه، والشهاب الذى لا يُطفَأ نوره وسناؤه، والبحر الذى لا يدرك غوره، هو كتاب الله تعالى، فيه نبأ ما كان قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله جل جلاله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى، هو حبل الله المتين ونوره المبين، هو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب به الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾(٣)، من علِم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٤) ولِمَ لا؟ فهو كلام الله عز وجل، وقرآنه العظيم.

- **فالقرآن** هو كلام الله تعالى المنزَّل على محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر، المُتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، ومن أسمائه: القرآن، والكتاب، والفرقان،

---

(١) التوبة: (٦). (٢) العنكبوت: (٥٠ - ٥١).
(٣) الجن: (١، ٢). (٤) فصلت: (٤٢).



والذكر، والتنزيل، وكذلك النور، هدى ورحمة، ومبارك، وعزيز، ومجيد، ومبين، فهو قرآن متلو بالألسن، محفوظ بالصدور، كتاب مدونٌ بالأقلام محفوظ على السطور، فهذه هي المعجزة العظمى الخالدة التي جاء بها محمد ﷺ ففيها الإثبات الأعظم والدلالة الدامغة على نبوته ورسالته ﷺ وإثبات نبوة كافة الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام بالتبع؛ لأن القرآن جاء بذكر أخبارهم وبوجوب الإيمان بهم.

- **قبس من إعجاز القرآن الكريم:**

أما وجوه إعجاز القرآن الكريم والذي جاء به رسول الله ﷺ فهي عديدة وعظيمة منها:

أولاً: حسن تأليفه، والتئام كلامه، وفصاحته، ووجوه إعجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الفن والمجال، وقد نزل القرآن بلغتهم فكان معجزاً لهم؛ فمن باب أولى أن يكون أشد إعجازاً لمن دونهم في هذا الشأن.

ثانيًا: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقف عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم ولن يوجد قبله ولا بعده نظيراً له.

ثالثًا: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن فوجد كما ورد.

رابعًا: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة؛ فما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الماهر الذي قطع عمره في تعلم ذلك من أهل الكتاب فيورده رسول الله ﷺ على وجهه ويأتي به على نصه؛ وهو أميٌ لا يقرأ ولا يكتب.

خامسًا: جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

فهذه أصول كلية لبعض أوجه إعجاز القرآن الكريم سنتعرض لشيء من التفصيل في هذا المقام للوجه الأول والثاني، والمتعلق بنظم القرآن وصورته وألفاظه وذلك تحت عنوان (الإعجاز اللغوي)، أما باقي الأوجه فسنتناولها إن شاء الله تعالى في فصول



مستقلة لنجمع معها ما ورد عن سنة النبي محمد ﷺ(١).

● **الإعجاز اللغوي:**

١- فالقرآن العظيم يتميز بنظمه البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾(٢).

وفي صحيح مسلم: أن أنيسًا أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن اللَّه أرسله. قال أبو ذر: فما يقول الناس؟ قال يقولون: شاعر كاهن ساحر - وكان أنيس أحد الشعراء - قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر - أي: على بحوره وأوزانه التي تجمعه - فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، واللَّه! إنه لصادق وإنهم لكاذبون(٣).

وكذلك أقر عتبة بن ربيعة - أنه ليس بسحر ولا شعر لما قرأ عليه رسول الله ﷺ: «حم فُصِّلت» فاعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة - بأنه ما سمع مثل القرآن قط، فكان في هذا القول مقرًا بإعجاز القرآن له ولأمثاله من المشهورين بالفصاحة والقدرة على الإبانة(٤).

٢- كما يتميز القرآن بأسلوبه المخالف لجميع أساليب العرب، من حيث ما يتميز به من الخصائص والسمات الأسلوبية التي تميزه عما سواه من كلام العرب، سواء في ألفاظه أو تراكيبه؛ وذلك أن لكل كاتب أسلوبًا خاصًا يميزه عن غيره، وذلك بلزومه لازمة أسلوبية بعينها، فيكون له من السمات والخصائص الأسلوبية ما يميزه عن غيره، وإن اشترك مع بقية أفراد نظامه اللغوي في أغلب السمات والخصائص.

أما القرآن فقد عرف بخصائصه الأسلوبية العديدة التي تميز بها عن سائر أساليب الفصحاء والبلغاء من العرب؛ مما جعل له نمطًا فريدًا وأسلوبًا متميزًا عن غيره من كلام العرب على اختلاف أنواعه وضروبه بين شعر ونثر.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض (١/ ٢٧٠) بتصرف.

(٢) يس: (٦٩).

(٣) رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٤) دلائل البيهقي (٥٠٨)، وروى القصة بكاملها ابن معين في تاريخه (٣/ ٥٤).



فتميز القرآن بأسلوبه الخاص في مطالع سوره بتوظيف الحروف المقطعة، والقسم، وغير ذلك، كما تميز في مقاطعه باعتماد نظام الآية، مخالفًا نظام البيت الشعرى والجملة النثرية المعهود في كلامهم، كما تميز بأنواع من الجَرْس والتأثير تخالف المعهود من أوزان الشعر وأسجاع العرب في كلامهم، فلم يغلب عليه السجع، ولم يتكلفه، وإنما جاءت فواصله منسجمة متوازنة عذبة الجرس والنغم.

٣- كذلك فقد تميز بأساليبه، فلم يقتصر على الأسلوب العقلي المنطقي الجاف، ولم يعتمد الأسلوب الوجداني العاطفي وحده، وإنما مزج في خطابه بين خطاب العقل والوجدان، فدعا إلى التفكر والتأمل فقال: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(١)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾(٤)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٥). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تخاطب العقل.

وخاطب القلب والحس والمشاعر والوجدان، فرغَّب في رضوان الله تعالى ومحبته ودار كرامته وحسن ثوابه، ورهَّب من سخطه وعقابه وما أعد للظالمين في دار الخزي من العذاب والهوان.

فجمع بين الترهيب والترغيب، والخوف والرجاء، والعقاب والثواب، وخطاب العقل وخطاب الوجدان، وجمع بين الإخبار والإنشاء، وجمع في الإخبار بين التقرير والتصوير، وبين الحقيقة والتخييل، وبين التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، ونوَّع في الإنشاء بين الأمر والنهي، والاستفهام والدعاء، والتمني والرجاء.

وجمع في بيانه بين التشبيه والاستعارة، والكنايات وما عهدته العرب في كلامها من المجازات، وغير ذلك من طرق الكلام.

وجمع في بديعه بين الالتفات في الخطاب، والطباق والمقابلة، ورعاية الفواصل، والجناس، والمشاكلة، ورعاية النظير، والجمع والترتيب، وحسن التقسيم، وقوة الحجة، وصحة القياس، وصدق التعليل، وبراعة الاستهلال، وحسن الختام، والأسلوب الحكيم، وغير ذلك من أنواع البديع المعروفة المقررة مما عرف به القرآن وتميز به خطابه، وصنفت فيه المصنفات والعلوم.



(١) البقرة: (٤٤). (٢) البقرة: (٧٣). (٣) البقرة: (٢١٩).
(٤) آل عمران: (١٣). (٥) ق: (٣٧).





٤ - ومن إعجازه اللغوى كذلك: الجزالة التي لا تتأتى من مخلوق بحال، ونعني بها قوة الألفاظ وفصاحتها مع تجنب الغريب والمهجور والركيك والعامي المبتذل والقبيح المستهجن، ورعاية المناسبة بين الألفاظ بما لها من صوت وجرس وبين المعاني من حيث الفخامة والرقة ونحو ذلك، وتأمل ذلك مثلاً في سورة ق: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه في سورة الزمر: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه في سورة إبراهيم: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إلى آخر السورة.

قال ابن الحصار: فمن علم أن الله هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾(١)، ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾(٢).

ثم قال: وهذه الثلاثة - من النَّظْم والأسلوب والجزالة - لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية، وكل سورة عن سائر كلام

(١) غافر: (١٦).

(٢) الرعد: (١٣).



البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز. ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة، فهذه سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ثلاث آيات قصار وهى أقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن مغيَّبين:

أحدهما: الإخبار عن الكوثر، وعظمه وسعته، وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدِّقين به أكثر من أتباع سائر الرسل.

والثاني: الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ [(١)]، ثم أهلك الله ماله وولده وانقطع نسله، ورد هذا في سورة الكوثر حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ حيث وعد الله تعالى نبيه بالكوثر، وتوعد من آذاه - وهو الوليد بن المغيرة - بالبتر والعذاب [(٢)].

٥- ومن إعجازه اللغوى كذلك: التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربى، حتى يقع منهم جميعًا على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

٦- ومن إعجازه اللغُوى كذلك: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [(٣)].

وإليك هذه النماذج من الأمثلة التي هي غيض من فيض وقليل من كثير، بل بعض من كُلٍّ؛ لنتلمس من خلالها هذا الإعجاز الذي كان محل التحدي والتعجيز لأبلغ من تكلم بالعربية، حتى وقتنا هذا، بل حتى قيام الساعة:

أ- قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [(٤)]: ففيها من أوجه البلاغة والبيان ما لا يمكن الإتيان بمثلها، وقد حاول البلغاء والفصحاء التعبير عن مضمون معناها فقالوا: القتل أنفى للقتل، وقالوا: قتل البعض إحياء الجميع، وقالوا: أكثِروا القتل ليقلَّ القتل، وكل هذه الجُمل لا تفي بما وفت به الآية الجليلة.

ب- قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [(٥)]

---

(١) المدثر: (١١ - ١٤). (٢) مقدمة القرطبي في تفسيره (١/ ١٠٥) بتصرف.
(٣) النساء: (٨٢). (٤) البقرة: (١٧٩).
(٥) النور: (٥٢).



وذلك في فرائض الله، وفي سنن رسول الله ﷺ، ما يأمران به وينهيان عنه، ويخاف مُخالفة الله وعقابه وحسابه، ويتقيه فيما بقى من عمره في جميع أمره، فهم الفائزون في المبدإ والمعاد، وهذا القول مع وجازة لفظه جامع لجميع الضروريات، وحُكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يومًا نائمًا في المسجد، فإذا برجل قائم على رأسه يشهد بشهادة الإسلام، ثم أعلمه أنه من بطارقة الروم، وأنه من جُملة من يُحسن فهم اللغات من العربية وغيرها. وأنه سمع رجلاً من أُسراء المسلمين يقرأ آية من كتاب المسلمين، فتأملها، فإذا هي جامعة لكل ما أنزل الله على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة؛ ألا وهي: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(١).

جـ- حُكي أن طبيبًا نصرانيًا سأل الحسين بن علي الواقدي: لماذا لم يُنقَل شيء في كتابكم عن علم الطب، والعِلم عِلمان: علم أديان، وعِلم أبدان؟ فقال الحُسين: إن الله عز وجل بيَّن عِلم الطب كله في نصف آية، في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٢) أي: كلوا واشربوا ما أحل لكم من المطعومات والمشروبات، ولا تُسرفوا أي: لا تتعدوا إلى الحرام، ولا تُكثروا الإنفاق المُستقبح، ولا تتناولوا مقدارًا كثيرًا يضركم، وأنتم بغير حاجة إليه. ثم سأل الطبيب: أقال نبيكم شيئًا في هذا الأمر؟ فقال الحسين: إن نبينا جمع الطب في ألفاظ يسيرة، حيث قال النبى ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِى وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الآدَمِى لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْ الآدَمِىَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»(٣).

د- أن الله تعالى تحدى به العرب الفصحاء والبلغاء، والذين عُلِم كراهيتهم وتحديهم وترصدهم لمحمد ﷺ تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثل القرآن فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾(٤)، فلما عجزوا - مع حِرصهم على النيل من

---

(١) النور: (٥٢).

(٢) الأعراف: (٣١).

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٣٢ - ١٧٢٢٥)، والترمذي (٢٨٣٠)، وابن ماجه (٣٣٤٠)، وصححه الألباني (٢٢٦٥) في السلسلة الصحيحة عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه.

(٤) الطور: (٣٤).



محمد ﷺ - خفف الله التحدى بأن يأتوا بعشر سور من مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)، ثم خفف التحدي بعد عجزهم إلى أن يأتوا بسورة واحدة، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

هـ- ثم كرر التحدي وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣)، فعجزوا، وتحداهم الله تعالى بهذه الصيغة القاطعة: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾، ومع ذلك لم يستطيعوا حراكًا. فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه مع كثرة الخطباء فيهم البلغاء، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٤)، هذا وقد كانوا أحرص الناس على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعًا للحق، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى الإعراض واللغو والجدل تارة وإلى الاستهزاء تارة أخرى.

فتارة قالوا: سحرٌ، وتارة قالوا: شعرٌ، وتارة قالوا: أساطير الأولين، كل ذلك من التحير والانقطاع. ثم رضوا بخوض الحروب وإعمال السيوف في أعناقهم، فلو علموا أن الإتيان في قدرتهم لبادروا إليه؛ لأنه كان أهون عليهم. وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه وأثار حميته، ثم سأله أن يقول في محمد ﷺ قولاً يفيد أنه كاره له، فقال: وماذا أقول؟ واللَّه! ما فيكم رجل أعلم بالشعر ولا برَجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، واللَّه ما يشبه الذى يقول شىءٌ من هذا، وواللَّه إن

(١) هود: (١٣).

(٢) يونس: (٣٨).

(٣) البقرة: (٢٣، ٢٤).

(٤) الإسراء: (٨٨).



لقوله الذى يقول حلاوةً وإن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلوا ولا يُعلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: دعنى حتى أفكر. فلما فكر قال: هذا سحر يُؤثَر يَأْثُره عن غيره[١]. قال ذلك هروبًا من مواجهة الحق والحقيقة، وقد علم وعلموا أجمعون أن رسول الله ﷺ لم يَلقَ أهل كتاب ولم يقم على أحد منهم فضلاً عن السحر والكهانة؛ ولذلك توعد الله الوليد بقرآن أنزله في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٢]. ثم لا يزال التحدى قائمًا، فأين العقول يا أُولى الألباب؟![٣]

وقد جاء في نفس الرواية السابقة أن عتبة كلم النبى ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليه النبى ﷺ قول الله تعالى: ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[٤]. فوضع عُتبة يده على فم النبى، وناشده الرحمَ أن يكُف.

والقرآن كله على هذا الإعجاز من البناء والتركيب. فانظر أيها العاقل المُنصف، وسل نفسك: ماذا تنتظر بعدُ؟!

* * *

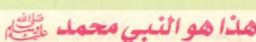
(١) الحاكم في المستدرك (٣٨٧٢)، والبيهقي في الشعب (١٣٤) بسند جيد (تعليق الذهبي في التلخيص)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوة (١/ ١٥٨).

(٢) المدثر: (١١-٢٦).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٥٠٥).

(٤) فصلت: (١- ١٣).





الفصل الثالث
صدق النبوءات

إن من أعظم دلائل نبوة رسول الله ﷺ من القرآن والسنة ما وقع فيهما من إخبار عن الأحداث والأحوال قبل بعثة النبى ﷺ، وإخبار عن أحداث وقعت في زمان النبى ﷺ، وإخبار عن أحداث وقعت بعد موته ﷺ، وإخبار عن أحداث تقع قبل قيام الساعة، وهذا من أدلة صدق النبى ﷺ بإخباره بالغيب، سواءً كان غيبًا لاحقًا أم سابقًا أم حاضرًا.

أولاً - ما قبل بعثة النبى ﷺ:

إخباره عن الأمم السابقة مع كونه أميًا ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدارسة مع العلماء، بل تربى في قوم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعرفون الكتاب، وكانوا عارين عن العلوم العقلية، ولم يغب عن قومه زمنًا يمكن له التعلم فيه، ولم يثبت أنه التقى بعلماء من أهل الكتاب إلا بورقة بن نوفل، والثابت أنه لقيه مرة واحدة عندما جاءه الوحى، ثم مات ورقة قبل الرسالة، وكذلك بالراهب الذى رآه وهو شاب صغير أثناء رحلته مع عمه للتجارة ونصح عمه بأن يعود به إلى بلده ؛لأنه يخاف عليه من اليهود أن يقتلوه، ولم يلقه مرة أخرى.

وقد أخبرنا النبى ﷺ عن أخبار وأحوال للأمم السابقة، وذلك من خلال القرآن كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(١).

وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾(٢).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾(٣).

هذه أمثلة قليلة مما ورد في كتاب الله من الإخبار عن أحوال ما كان في الأمم

(١) آل عمران: (٤٤).

(٢) هود: (١٠٠).

(٣) يوسف: (١٠٢).





السابقة، وقد ذكر الله في الآيات التى ذكرناها أن هذا إخبار عن طريق الوحي لرسوله ﷺ لم يكن ليعلمه إلا بالوحي، وهذا من أثبت الأدلة والبراهين الدالة على صدقه ونبوته ﷺ.

كما أنه قد ورد من خلال كلام رسول الله ﷺ أخبار كثيرة عن أحوال حدثت في الزمن الماضى، مثل بيانه لقصة ذي القرنين الذى طاف مشارق الأرض ومغاربها كما جاء في كتاب الله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ حتى قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[(١)] فبين لنا القرآن المتلو على النبي ﷺ قصة ذلك الرجل، وكذلك بيانه لحال الثلاثة الذين دخلوا الغار فانسد عليهم فدعا كل واحد منهم بصالح عمله حتى انفرجت الصخرة عليهم وخرجوا كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْط مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَار فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ...» الحديث[(٢)]، وأيضًا إخباره ﷺ عن خبر الثلاثة: الأبرص والأقرع والأعمى من بنى إسرائيل وابتلائهم بالملَك الذى جاءهم فسأل كل واحد عن حاجته، فأجابهم الله تعالى بأن عافى كل واحد منهم وأمده بالنعمة حتى إذا تنعموا بالعافية والمال، جاءهم المَلَك مرة أخرى يسألهم الصدقة فتنكروا إلا واحدًا منهم، فحرم الله الاثنين الآخرين من النعمة، وابتلاهما مرة أخرى وهما الأقرع والأبرص وبارك للذى كان أعمى في عافيته وماله؛ لأنه شكر لنعمة الله كما جاء في الحديث الصحيح: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا...» الحديث[(٣)].

والأمثلة لا تكاد تحصى لتثبت أن رسول الله ﷺ ما كان ينطق عن الهوى وأن إخباره من خلال القرآن أو السنة من الأدلة الدامغة على صدقه ونبوته ﷺ.

---

(١) الكهف: (٨٣- ٩٨).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٢٧٥).



ثانيًا - في زمن النبي ﷺ :

- **فمن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ عن نصر بدر،** وأن الله وعده إحدى الطائفتين: إما العير القافلة من الشام، وكان على رأسها أبو سفيان بن حرب، وإما قريش التى خرجت لتحمى تجارتها، وتحارب رسول الله ﷺ، وقد وقع النصر في بدر كما حدث به رسول الله ﷺ بكل تفاصيله وجزئياته، فقد حدَّثهم النبي ﷺ في آخر الأمر وقبيل المعركة بقليل بنتائجها، وكيف أن فلانًا المشرك سيقتل هنا في هذا الموضع، وفلانًا يقتل هنا، وفلانًا سيقتل هنا، وقد وقع الأمر كما حدَّث به ﷺ فإن أحدًا من القتلى لم يجاوز مكانه الذى أشار إليه رسول الله ﷺ، ثم إن النبي ﷺ أمر بجمع قتلى المشركين حيث ألقوا في قليب واحد، وقال لهم مناديًا إياهم بأسمائهم: «**يا فلان، ويا فلان، هل رأيتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإنى قد رأيت ما وعدنى ربى حقًا**» وذلك كما جاء في الحديث الصحيح: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِى طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «**يَا فُلانُ بْنَ فُلانٍ وَيَا فُلانُ بْنَ فُلانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا**»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ لَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**»(١).

وكانت بدر آية وبرهانًا على صدق النبي ﷺ من وجوه كثيرة منها:

١- إخباره بما كان فيها ثم وقوع الأمر كما أخبر به ﷺ.

٢- أن فئة قليلة لم تخرج لقتال وإنما لغنيمة باردة (غير ذات الشوكة) فإذا بها تفاجأ بجيش يفوقها ثلاث مرات، جاء ليقاتل مفاخرًا بقوته، مستندًا إلى خبرته ورجاله الأشداء المتمرسين، ثم كانت النتيجة عكس ما يتوقعه المتوقعون وعلى خلاف العادة الجارية في أن الكثير يغلب القليل، والقوى يغلب الضعيف. فخرق الله عز وجل

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

العادة لأهل الإسلام وجعل الضعيف يغلب القوى، والقليل يهزم الكثير، وغير ذوى الخبرة في القتال من صبية الأنصار يقتلون الصناديد من المشركين، فقد قُتِل أبو جهل بأيدى غلامين صغيرين لا يتجاوز عمر الواحد منهم خمسة عشر عامًا، وهما معاذ ومعوذ ابنا عفراء!!

- **وكذلك حَدَّث الرسول ﷺ بما يكون في أُحد من الكسرة فقال:** «رأيت في رؤياى أني هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززت أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقرًا، والله خير فإذا هم المؤمنون يوم أحد»(١) وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى آتانا الله به بعد يوم بدر.

- **كما أخبر النبى ﷺ أصحابه بدخول مكة معتمرين،** فدخلوها في السنة السابعة، ووقع صلح الحديبية الذى ظنه المسلمون أعظم هزيمة لهم، فقد ظنوا أنهم قبلوا بالدَّنِيَّة، وهى أن يتخلوا عمن هاجر إليهم من المسلمين ويردوه إلى الكفار، وهذا من الذل والدنية، والعرب لا ترضى أن يسلم العربى جواره ويفرط فيمن يستغيث به ويلوذ إليه، ولكن النبي ﷺ أخبرهم أن هذا الصلح هو أعظم فتح في الإسلام، وقد كان، فلم يكن فتح أكبر منه، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(٢)(٣).

وقال جل في علاه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٤).

- **وكذلك أخبر النبى ﷺ صحابته أنهم يفتحون خيبر،** وأن غنيمتها تكون لمن خرج معه في غزوة الحديبية فقط، وقد وقع الأمر كما حدث به رسول الله ﷺ تمامًا.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٨١)، ومسلم (٢٢٧٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) الفتح: (١ - ٣).

(٣) القصة بتمامها رواها البخاري (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٤) الفتح: (٢٧).



قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾(١) . والمغانم هنا: فتح خيبر، وقد أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بذلك قبل أن يتوجه إلى خيبر، وأخبره بما سيقوله المخلفون وبماذا يرد عليهم، ووقع الأمر كما حدث النبي ﷺ تمامًا.

وقد أخبر ﷺ بفتح خيبر على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم إخراج اليهود منها.

فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ** أَوْ قَالَ: **لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»، أَوْ قَالَ: «**يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ**» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ(٢).

وما ذكر يمثل القليل مما نبأ به رسول الله ﷺ في زمانه فوقع كما نبأ به تمامًا.

ثالثًا - بعد موت النبى ﷺ:

• الإخبار عن حال الخلافة بعد النبى ﷺ:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بحال الخلافة بعده إلى ما شاء الله تعالى، وقد حدّد رسول الله ﷺ مدة الخلافة، فعن سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْخِلافَةُ فِى أُمَّتِى ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ**» ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلافَةَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ: وَخِلافَةَ عُمَرَ وَخِلافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ لِى: أَمْسِكْ خِلافَةَ عَلِيٍّ قَالَ: فَوَجَدْنَاهَا ثَلاثِينَ سَنَةً(٣) . وقد فسرها سفينة بأن خلافة أبي بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثنتي عشر، وعلي ستًّا.

• الإخبار عن حوادث سوف تكون بعد وفاته ﷺ ومنها:

١ - إخباره ﷺ عن حدوث الطاعون في بلاد الشام:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيتُ النبى ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبةٍ من

---

(١) الفتح: (١٥).

(٢) رواه مسلم (١٨٠٧).

(٣) رواه أبوداود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦) وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٣٣٤١).





أدم فقال: «اعْدُدْ ستًّا بَيْن يَدَى السَّاعَة: مَوْتي، ثُمَّ فَتْح بَيْت الْمَقْدس، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فيكم كَقُعَاص الْغَنَم، ثُمَّ اسْتفَاضَةُ الْمَال حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مائَةَ دينار فَيَظَلُّ سَاخطًا، ثُمَّ فتْنَةٌ لا يَبْقى بَيْتٌ منْ الْعَرَب إلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بيْنَكُمْ وبَيْنَ بَني الأَصْفَر؛ فَيَغْدرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَة اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(١).

ويلاحظ قول النبي ﷺ «فيكم»؛ إذ فيه إشارة إلى أن هذا الموت سيكون في جيل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، وقد حصل ذلك فعلاً.

وقد حدّث عوف بن مالك رضي الله عنه عام عمواس بهذا الحديث معاذ بن جبل قبل موته به، وأنه قد تحقق ثلاثة مما ذكره، والله تعالى أعلم.

٢- إخباره ﷺ بفتح الأمصار وخروج أصحابه تاركين المدينة إليها:

فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتي قَوْمٌ يُبسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بأَهْلهمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الشَّأْمُ فَيَأْتي قَوْمٌ يُبسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بأَهْليهمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الْعرَاقُ فَيَأْتي قَوْمٌ يُبسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بأَهْليهمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْتي عَلَى النَّاس زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّه وَقَريبَهُ هَلُمَّ إلَى الرَّخَاء هَلُمَّ إلَى الرَّخَاء، وَالْمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَالَّذى نَفْسي بيَده لا يَخْرُجُ منْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إلا أَخْلَفَ اللَّهُ فيهَا خَيْراً منْهُ، أَلا إنَّ الْمَدينَةَ كَالْكير تُخْرجُ الْخَبيثَ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفيَ الْمَدينَةُ شرَارَهَا كَمَا يَنْفي الْكيرُ خَبَثَ الْحَديد»(٣).

٣- إخباره ﷺ بأن دينه سيعلو على كل الأديان، وأنه سينصر، وأن أمته ستفتح العالم، وتفتح لها كنوز الأرض: أخبر النبى ﷺ وهو في مكة في فئة مستضعفة أن دينه سيعم الجزيرة كلها، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكَوْنَا إلَى رَسُول اللَّه ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فى ظلِّ الْكَعْبَة، فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا. فَقَالَ ﷺ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فى الأَرْض فَيُجْعَلُ فيهَا

---

(١) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨).

(٣) رواه مسلم (١٣٨١).



فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ! لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[(١)].

وقد وقع هذا الأمر في حياته ﷺ فدانت الجزيرة كلها بالإسلام، وأمن الناس فيها من أقصاها إلى أقصاها، وكان تصور هذا ضربًا من الخيال؛ فقد كان القتل وقطع الطريق والإغارة والنهب والسلب في كل ركن من أركانها إلا المسجد الحرام فقط.

٤- إخباره ﷺ بفتح جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم، ووقوع الأمر كما حدّث به تمامًا.

فعن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لا يَغْتَالُونَهُ قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي قَالَ ﷺ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ**»[(٢)].

وقد وقع ثلاث منهن، ويبقى فتح الدجال، وسيقع الأمر كما حدَّث رسول الله ﷺ تمامًا، ليكون ذلك آية أخرى لمن يشهدها في وقتها.

٥- وكذلك أخبر رسول الله ﷺ بفتح كنوز كسرى وقيصر، وذلك في أثناء حفر الخندق في غزوة الأحزاب، حيث كاد المسلمون أن يهلكوا فيها، وفي أثناء هذه المحنة يبشرهم رسول الله ﷺ بهذا حتى ظن المنافقون والمشركون عندما أخبر بذلك رسول الله ﷺ أن هذا هروب إلى الأمام، ودغدغة للعواطف والأحلام، وكان الأمر يقينًا صادقًا، وحكمًا فاصلاً، وردد المسلمون منذ ذلك الوقت وعبر العصور: (لا إله إلا الله عز وجل وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده)[(٣)].

(١) رواه البخاري (٣٦١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٠).

(٣) انظر: سيرة ابن كثير (٣/ ١٨٦).





٦- إنفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله تعالى:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن كنوز كسرى وقيصر ستفتح، وأنها ستنفق في سبيل الله عز وجل، ذلك لأنه ﷺ قد أعطاه الله تعالى الكنزين، الأحمر والأبيض، وأنها ستنفق كلُّها في سبيل الله تعالى، وقد كان كذلك، حيث فتحت كنوز كسرى في زمن عمر رضي الله عنه، وأنفقت في سبيل الله تعالى على المسلمين، كما فتحت الشام في أواخر زمن أبي بكر وأوائل زمن عمر رضي الله عنهما، وأنفقت في سبيل الله تعالى في المسلمين.

فعن ثوبان رضى الله تعالى عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِى الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِى أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (١).

وعبَّر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الفضة والجوهر، وقد ظهر ذلك في زمان الفتوح في خلافة عمر، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله تعالى بقيصر لما فتحت بلاده.

وهذا تحقيقٌ لما أخبره رسول الله ﷺ بفتح قصورهما، وأخذ ما فيها من الكنوز.

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِى فِى الأَبْيَضِ» (٢).

٧- النبى ﷺ يخبر بفتح القسطنطينية:

عن أبى قبيل قال: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه وَسُئِلَ أَىُّ الْمَدِينَتَيْنِ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩١٩).



تُفْتَحُ أَوَّلاً الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوق لَهُ حَلَقٌ قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً يَعْنِي: قُسْطَنْطِينِيَّةَ»(١).

٨- إخباره ﷺ بغزو أمته في البحر:

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستغزو في البحر. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تُفْلِى رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ، وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ» - أَوْ «مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ» شَكَّ إِسْحَاقُ - قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ» فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ(٢).

وقبر أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها معروف بجزيرة قبرص إلى اليوم.

٩- إخباره ﷺ بفتح مصر:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا - أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْرًا - فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٦ - ٦٦٤٥) وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة (٤).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٣).



رابعًا: مع آخر الزمان:

لقد أنبأنا النبي ﷺ عن علامات آخر الزمان، وأعطانا أماراتها، وكأنه يصف لنا انتهاء الحياة ككتاب أمامه يقرأ منه، ووصف لنا فيه كيفية وقوعها، وصوَّر هذه الكيفية، وهذه العلامات تنقسم إلى: صُغرى، ووسطى، وكبرى.

• ومن العلامات الصغرى:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لا أَرَبَ لِي»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»(٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٧١١٨)، مسلم (٢٩٠٢).
(٢) رواه البخاري (١٠٣٦).
(٣) رواه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧، ١٠١٢).
(٤) رواه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).
(٥) رواه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧).
(٦) رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ لمسلم.



- **ومن العلامات الوسطى:**

- ظهور المهدي عليه السلام:

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**»(٢).

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ**»(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**»(٤).

- **ومن العلامات الكبرى:**

النبوءة بالمسيح الدجال وغيره من الآيات، وقد جاءنا عن رسول الله ﷺ في ذلك أحاديث كثيرة لا تكاد تُحصى، في الإخبار عن الدجال، وعن وصفه والتحذير منه.

ومنها ما ثبت عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ**». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﷺ، **وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلاثَةَ؛ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»(٥).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**»(٦).

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٤٣).
(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٦).
(٣) رواه ابن ماجة (٤٠٨٥)، وأحمد (١/ ٨٤ - ٦٤٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣٧١).
(٤) رواه الترمذي (٢٢٣٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٧٢٧٥).
(٥) رواه مسلم (٢٩٠١).
(٦) رواه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).



وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما قال: قَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ في النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّه بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).

وعن أَنَس بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»(٢).

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ»(٤).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»(٥).

وأنبأنا النبي ﷺ عن نزول المسيح من السماء، وأنه سينزل في الشام، ومتى ينزل، وأنه سيصلي في بيت المقدس بصلاة المسلمين، وأنه سيقتل الدجال، كما أخبر أن المسيح سيحكم الأرض بشريعة الإسلام.

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (١٦٩).

(٢) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٥) رواه مسلم (٨٠٩).



يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُه طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللَّهِ! فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُه فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ؛ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ

للأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(٢).

فانظر أيها العاقل! إلى هذا الإخبار الإعجازي عن غيبيات لا يعلمها إلا علام الغيوب، فهل يعقل أن ينبأ بها بشر من عند نفسه؟! والله! لا يكون ذلك إلا لنبي يوحى إليه، فمتى نُقر بالحق ونتبعه؟

* * *

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٢)، مسلم (١٥٥).



الفصل الرابع
الدلائل العلمية
(الإعجاز العلمي)

ونعنى بذلك النصوص في الكتاب والسنة المتعلقة بالعلوم الدنيوية التي لم تكتشف وتعرف إلا في الأزمنة المتأخرة، والتي اصطلح عليها مؤخراً بـ (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

فلقد ظهر الرسول ﷺ في أمة ليسوا من أهل العلم، بل كانت الجهالة غالبة عليهم، ولم يتفق له الاتصال بأهل العلم في زمانه. فإذا نبت في هذه البيئة ثم بلغ في معرفة الله وصفاته وأفعاله وأحكامه هذا المبلغ العظيم، وجاء بكتاب يحتوي على حقائق مختلف العلوم مما يعجز الأذكياء من العلماء أن يحيطوا بها - فإن ذلك يحمل كل ذى عقل سليم وطبع قويم على الإقرار بأن هذا العلم الفذ لا يتيسر لأحد من البشر إلا بتعليم إلهي خاص. والقرآن يقرر أن تلك العلوم لم يكن بوسع النبي ﷺ ولا بوسع قومه أن يحيطوا بها أو يعلموها قبل أن ينزل القرآن بها، فيقول: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(١)، وتأمل في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾(٢).

فهذا يثبت بما لا شك فيه أمية الرسول ﷺ فهو لا يعرف الكتابة أصلاً، ولا يقرأ إلا ما ينزل عليه من الوحي بتلقين من المَلَك، ولم يثبت تعلمه للقراءة أو الكتابة، ولو ثبت شيء من ذلك لتناقله أعداؤه ليتوصلوا به إلى الطعن في الكتاب المنزل عليه، ولكنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يتلو على الناس كتابًا يحوي علوم الأولين والآخرين، ويُعجز ذوي العقول والألباب وأرباب البلاغة والبيان أن يأتوا بشيء من مثله؛ مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب من عند الله تعالى، وأن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

---

(١) هود: (٤٩).

(٢) العنكبوت: (٤٨).



ولقد سبق القرآنُ الكريم والسنةُ النبوية العلمَ الحديث بذكر حقائق علمية كثيرة لم يكتشفها العلماء إلا في العصر الحديث، فتعالوا لنعيش مع أمثلة لهذه الحقائق والآيات وذلك من خلال:

١ - آيات في النفس والخلق. ٢ - آيات في الكون.

أولاً: آيات فى النفس والخلق:

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(٢).

إذا نظر الإنسان إلى نفسه وتفكر في بنيته وأعضائه وحواسه، ثم تساءل: كيف خُلق؟ وكيف بلغ ما هو عليه؟ لوجد العجب العجاب في عظمة هذه الخلقة كيف سويت وكيف تتم العمليات المعقدة العظيمة داخله وخارجه؟! ولذلك فإن الوقوف على آيات الله في النفس والخلق كفيل بالتسليم بقدرة وعظمة الخالق، ولله در من قال: نظرك فيك يكفيك!

فتعالوا معًا في رحلة داخل الإنسان؛ لنستخلص منها دلائل دامغة وأدلة راسخة على أن النبى ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

- الجنين وأطواره:

ولنبدأ هذه الرحلة بمثل عظيم، ألا وهو الجنين. فتعالوا لنتعرف على الجنين وأطواره، وكيف تخبط العلماء والباحثون في هذا المجال في نظريات خاطئة حتى بلغوا إلى الحقيقة الثابتة بالمشاهدة والبحث.. ولكن متى كان هذا؟! كان منذ أقل من قرن واحد فقط!!

وعلى الجانب الآخر نرجع إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ من القرآن والسنة حيث أخبرنا بهذه الحقائق من أكثر من أربعة عشر قرنًا.

لنبدأ بنبذة عن تطور الأجنة في الجانب البحثي:

لقد كان الاعتقاد السائد لأكثر من ألف وثلاثمائة سنة بعد عصر الرسول ﷺ أن نمو الأجنة يقوم على نظريتين:

(١) فصلت: (٥٣). (٢) الذاريات: (٢١).



النظرية الأولى: نظرية الخلق المسبق، والتي تعني أن الجنين إنما يكون على هيئته في رحم الأم من البداية ثم يكبر حتى اكتمال نموه.

النظرية الثانية: نظرية الخلق المتفرد، أي أن الجنين إنما ينشأ من أحد الأبوين لا من كليهما، وانقسم القائلون بهذه النظرية إلى فريقين:

الفريق الأول: قال بأن المنشأ يكون من الأم ودور الأب فقط هو تنشيط النمو، وأصحاب هذا الفريق اختلفوا على ثلاثة أقوال:

١- أن المنشأ يكون من دم الحيض.

٢- آخرون قالوا بأن الجنين يوجد على هيئته في بويضة الأنثى ثم يبدأ في النمو بسبب الرجل (قال بهذه النظرية العالم مليسجى ١٦٧٥م).

٣- طائفة ثالثة قالت بنظرية أن الجنين هو من إفراز رحم الأم (قال بهذه النظرية العالم هاريفي ١٦٥١م).

أما الفريق الثاني: من أصحاب نظرية الخلق المتفرد فقالوا بعكس ما قال به الفريق الأول حيث قالوا:

بأن الرجل وحده هو مصدر الجنين ثم يكبر في رحم المرأة(وتبنى هذه النظرية العالمان هارمان وواينهوك ١٦٧٧م) حيث تخيلا أن الجنين يوجد على هيئة قزم صغير في رأس الحوين المنوي - الحيوان المنوي - وأن رحم المرأة كالأرض الزراعية ينبت ويكبر فيها الحوين المنوي.

ثم كان أول من أشار إلى أهمية كل من الحوين المنوى للرجل وبويضة المرأة في عملية تخلق الإنسان هو العالم سبالانزانى (١٧٧٥م) (١١٧٦هـ).

وبعد ذلك توالت الاكتشافات العلمية والتي أثبتت دور كل من الرجل والمرأة في تكوين الجنين وذلك بعد اكتشاف (الميكروسكوب المكبر) المجهر وبعده الميكروسكوب الإلكترونى، حتى توصل العلماء منذ أقل من قرن فقط إلى الحقيقة العلمية الثابتة بالمشاهدة والدراسة والمتابعة وهى تشمل ركنين أساسيين هما:

١- أن الجنين يخلق من كل من الرجل والمرأة.

٢- أنه يمر في تخلقه بأطوار ومراحل؛ طور بعد طور، ومرحلة بعد مرحلة وشكل بعد شكل.

وبعد فهذه الحقيقة التي وصل إليها العلماء مؤخراً قد نقلها لنا رسول الله ﷺ من خلال القرآن والسنة النبوية بدقة متناهية وتفصيل دقيق وتعبير معجز، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ولا عجب في ذلك لأنه هو الحق الواضح الذى ذكر في القرآن والسنة كما سنبين لاحقًا، وهذا الحق كان وحيًا يوحى به إلى رسول الله ﷺ وليس بكلام بشر.

وتعالوا لنقف مع بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة عن هذه الحقيقة العظيمة:

١- الركن الأول من هذه الحقيقة وهو أن تخليق الجنين يكون من كل من الرجل والمرأة قال الله سبحانه عنه في قرآنه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ**﴾(٢).

وقد ورد ذلك أيضًا في السنة النبوية المطهرة في قول رسول الله ﷺ: «**وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت**»(٣). والآيات والأحاديث التي تدل على حقيقة تخليق الجنين من كل من الرجل والمرأة كثيرة(٤).

٢- الركن الثاني لهذه الحقيقة والمتعلق بخلق الإنسان أطواراً: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ**﴾(٧).

وبهذا يقرر لنا القرآن الكريم في أكثر من موضع حقيقة أن الإنسان يخلق أطواراً، وتعالوا لنعيش مع تفاصيل هذه الأطوار بدقة وتعبير معجز بحيث لا يمكن الاستعاضة

---

(١) الحجرات: (١٣).
(٢) النجم: (٤٥، ٤٦).
(٣) رواه البخاري (٤٤٨٠).
(٤) محاضرة عن تاريخ علم الأجنة، أ.د/ مجاهد أبو المجد - الأستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة، وعضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة.
(٥) المؤمنون: (١٢ - ١٤).
(٦) نوح: (١٤).
(٧) الزمر: (٦).



عنه بتعبير آخر، وذلك مع آيات سورة «المؤمنون» التى ذكرناها، حيث بينت الآيات هذه الأطوار ووصفتها على النحو التالي:

أ- طور النطفة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾(١) والنطفة تطلق كما قال علماء اللغة(٢) على:

١- الماء القليل ولو قطرة وقد أطلقت على مني الرجل ومنى المرأة.

٢- وتطلق النطفة كذلك على امتزاج ماء الرجل والمرأة وهى ما سماها القرآن: النطفة الأمشاج كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾(٣)، وهذه هى البويضة بتطوراتها العديدة، والتى لا تزال تأخذ شكل قطرة الماء ولها خاصية الحركة الانسيابية كقطرات الماء تمامًا وهذا ما يسميه علماء الأجنة بالزيجوت، والتي تعني بترجمتها الحرفية اللقيحة، وانظر إلى عظمة التعبير القرآنى لهذه اللقيحة بالنطفة الأمشاج، حيث إن كلمة أمشاج مشتقة من المشج وهوالشيء المختلط بعضه ببعض كما قال ابن كثير في تفسيره ونقل قول ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: من ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا(٤)، فانظر إلى إعجاز القرآن باستخدام هذا اللفظ؛ فمن الذى علم نبينا محمداً ﷺ؟ ذلك؟!

وينتهي هذا الطور بتعلق الكيسة الأريمية ببطانة الرحم في نهاية الأسبوع الأول من التلقيح بعد تضاعف خلاياها أضعافًا مضاعفة وتغليفها (النطفة الأمشاج أو اللقيحة) بكيس؛ ولذلك سميت بالكيسة الأريمية، وعند تعلقها ببطانة الرحم تفقد حركتها الانسيابية وتتحول إلى طور جديد هو طور العلقة، وهذه الحقيقة الثابتة الدقيقة التي نقلها لنا القرآن الكريم هي التي توصل إليها العلماء مؤخراً.

ب- طور العلقة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾(٥).

(١) المؤمنون: (١٣).

(٢) ابن منظور في لسان العرب مادة نطف بتصرف.

(٣) الإنسان: (٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٢) سورة «الإنسان»، انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢) سورة «المؤمنون».

(٥) المؤمنون: (١٤).



لهذا الطور عدة أشكال منذ بدئه حتى نهايته، وكلمة علقة مشتقة من علق، وهى كما قال المفسرون وعلماء اللغة تعنى:

١- الالتصاق والتعلق بشيء ما، وهذا ما يتوافق مع تعلق الجنين ببطانة الرحم خلال الأسبوع الثاني.

٢- يطلق العلق على الدم عامة، وكذلك الدم الجامد، وعلى الشيء شديد الحمرة، وهذا أيضًا يتوافق مع شكل الجنين في هذا الطور، حيث تتكون الأوعية الدموية المقفلة والممتلئة بالدماء خلال الأسبوع الثالث من التلقيح.

٣- وتطلق العلقة كاسم لدودة في الماء تمتص الدم، وتعيش في البرك، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها، وجمع علقة علق.

ويقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾[(١)]

أى: سيرنا النطفة علقة حمراء على شكل العلقة المستطيلة، وقال بهذا القول غيره من المفسرين، وهذا يتوافق مع الشكل الأخير لهذا الطور، حيث يأخذ الجنين شكل الدودة التى تمتص الدماء، وتعيش في الماء. ويشترك الجنين معها في قوة تعلقه بعائله، والحصول على غذائه من امتصاص دمائه، والمدة الزمنية لهذا الطور هي من بداية الأسبوع الثاني وحتى نهاية الأسبوع الثالث من التلقيح.

فانظر إلى دقة وعظمة التعبير القرآني عن هذه الحقيقة التي ذكرها ولم يتوصل إليها العلماء إلا منذ أقل من قرن فقط، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ج- طور المضغة:

قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾[(٢)].

في بداية الأسبوع الرابع وبالتحديد في اليوم الثاني والعشرين يبدأ القلب في النبض وينتقل إلى طور جديد، وهو طور المضغة.

والمضغة كما يقول أهل اللغة والتفسير ومنهم ابن كثير - في تفسيره - حيث يقول: مضغة: أى: قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط[(٣)] قدر ما يمضغ الماضغ. وهذا يتوافق مع الجنين في أول هذا الطور حيث يتراوح حجمه من حبة

(١) (٢) المؤمنون: (١٤).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢) سورة المؤمنون.

القمح إلى حبة الفول (٣,٥ مم)، وهو القدر الذي يـمكن مضغه، ويبدو سطحه من الخارج وقد ظهرت عليه النتوءات أو الكتل البدنية والرأس والصدر والبطن كما تتكون معظم براعم أعضائه الداخلية، مع احتفـاظه بالشكل الخارجي المشابه للمادة الممضوغة بحيث يصدق عليـه أنه مخلق وغير مخلق، وسبحـان الله! الذى وصفه هذا الوصف الدقيق المتناهي في الدقة، في قـوله تعالى في سورة الحج: ﴿**ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾ لنبين لكم أي: لتشاهدوها، كما قال ابن كثير وغيره[١].

وفي هذا النص دلالة على أن التخليق يبـدأ في هذا الطور، وهذا ما يتطابق تمامًا مع ما توصل إليه علماء الأجـنة مؤخرًا إلى حقيقة أن التـخليق يبدأ من أول الأسبوع الرابع، ولو اطلع البشر على ما جاء في القرآن وبحثوا فيه لاختصروا الكثير من الزمان ليبلغوا هذه الحـقائق الثابتة فسبحـان من خلق الخلق، وقال جل جلاله: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[٢]. وينتهي هذا الطور قبل نهاية الأسبوع السادس حيث يبدأ الطور التالي في التخليق، وهو طور العظام.

د- طور العظام:

قال تعالى: ﴿**فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا**﴾[٣].

يتشكل الجنين في هذا الطور على هيـئة مخصوصة، وتزول صـورة المضغة عنه، ويكتسب صـورة جديدة؛ حـيث يتخلق الهـيكل العظمي الغضروفـي، وتظهر أولى مراكز التعظيم في الهيكل الغضروفي في بداية الأسبوع السابع، فيتصلب البدن وتتحيز الرأس من الجذع، وتظهر الأطراف، وقـد قال ابن كثير - رحمه الله - فـي تفسيره عن هذا الطور: أي شكلها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها[٤].

فانظر إلى هذه الدقـة وهذا الإعجاز في الوصف القـرآنى، وهو يصف ما توصل إليه العلمـاء بعد الجهد والمعـاناة وطول الزمان، فسـبحان الذى خلق فسـوى! ثم بعد ذلك يبدأ الجنين الطور الأخير من التخليق، وهو كساء العظم باللحم.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) الملك: (١٤).

(٣) المؤمنون: (١٤).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢) سورة «المؤمنون».





هـ- طور كساء العظم باللحم:

قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾(١) .

في هذا الطور يزداد تشكل الجنين على هيئة أخص، وقد قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره في قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾: أى جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه(٢)، وكذلك قال الشوكانى: أى أنبت الله سبحانه على كل عظم لحمًا على المقدار الذى يليق به ويناسبه. وكذا قال غيرهم. وهذا بدقته وتفصيله ما بلغ إليه علماء علم الأجنة مؤخرًا، من أن العظام تخلق في نهاية الأسبوع السابع، وتكسى بالعضلات في الأسبوع الثامن وتخلق العظام وكساؤها باللحم بعدما سبق من أطوار هى الحقيقة الراسخة التى ذكرها القرآن، فسبحان من أحسن كل شىء خلقه.

وبهذا تنتهي مرحلة التخليق والتي يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الجنينية، هذا وقد أكد علم الفحص بأجهزة الموجات فوق الصوتية أن جميع التركيبات الخارجية والداخلية الموجودة في الشخص البالغ تتخلق من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن من عمر الجنين، كما يمكن أن ترى جميع أعضاء الجنين بهذه الأجهزة خلال الأشهر الثلاثة الأولى.

ثم يبدأ الجنين بعد الأسبوع الثامن مرحلة أخرى مختلفة يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الحميلية، والتي سماها القرآن الكريم من قبل: مرحلة (النشأة خلقًا آخر). ولذلك يعتبر طور كساء العظم باللحم الحد الفاصل بين المرحلة الجنينية والمرحلة الحميلية.

و- مرحلة النشأة خلقًا آخر:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾(٣) .

تبدأ هذه المرحلة في الأسبوع التاسع حيث ينمو الجنين ببطء إلى الأسبوع الثانى عشر، ثم ينمو بعد ذلك بسرعة كبيرة، وتستمر هذه المرحلة حتى نهاية الحمل. وتختص بخصائص من أهمها: تطور ونمو أعضاء وأجهزة الجنين وذلك لتهيئتها للقيام

---

(١) المؤمنون: (١٤).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) المؤمنون: (١٤).





بوظائفها، وتختص أيضًا بنفخ الروح فيها «كما عند جمهور المفسرين».

واسمع لابن كثير في تفسيره وهو يعبر عن هذه المرحلة: أي: ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقًا آخر ذا سمع، وبصر، وإدراك، وحركة، واضطراب(١).

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا في موطن آخر؛ فقال تعالى في سورة «الانفطار»: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(٢) وكلمة (سواك) تعني: جعل الشيء مستويًا ومستقيمًا ومهيئًا لأداء شيء معين، والتعديل في اللغة يعني: التقويم، فكلمة ﴿فَعَدَلَكَ﴾ تعنى: تغير الشكل والهيئة لتكوين شيء محدد، وكلمة ﴿صُورَةٍ﴾ تعنى: هيئة أو شكل كما قال علماء اللغة، فسبحان الله! الذى ذكره القرآن هو ما وصل إليه علماء الأجنة بدقته، ولكن منذ أقل من ستين سنة فقط حيث وصلوا إلى أن حقيقة التسوية تبدأ عقب عملية الخلق في المرحلة الحميلية، أي: بعد الأسبوع الثامن حيث يستقيم الجنين وتتهيأ أعضاؤه لأداء وظائفه ويتخذ الجنين المقاييس الطبيعية ـ التعديل ـ كما تتغير مقاييس الجسم وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة ويكتسب الجنين الصورة الشخصية له - التصوير-؛ فسبحان الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى(٣).

وبعدما تلمسنا التطابق الدقيق والبالغ بين ما ذكره القرآن الكريم من حقائق متعلقة بتكوين الجنين وبين ما بلغ إليه علماء علم الأجنة مؤخرًا؛ وذلك من خلال البيان الموجز السابق، نقف الآن مع ملامح عابرة لبعض أوجه الإعجاز في آيات سورة «المؤمنون» التى وقفنا معها، والمتأمل لهذه الآيات سيجد إعجازًا بالغًا للتعبير القرآني الكريم، ومن ذلك:

١- استعمال أدوات العطف المناسبة لكل مقام وحال؛ فقد جاء الترتيب والتعقيب بـ (ثم) والتي تفيد الفصل والتراخى والتباعد في المراحل التي تستلزم ذلك، وجاء العطف بالفاء التي تفيد التعقيب المباشر والترتيب والسرعة بمعنى العطف بلا مهلة ولا تراخي في المراحل التى تستلزم ذلك، فانظر وتدبر وتأمل إلى ترتيب الآيات ونسقها

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢) سورة «المؤمنون».

(٢) الانفطار: (٧، ٨).

(٣) د. عبد الجواد الصاوي - مدير فرع مكتب جدة للهيئة العالمية للإعجاز العلمي ونائب رئيس تحرير مجلة الإعجاز العلمي بتصرف.

حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[(١)].

٢- استعمال ألفاظ تدل على معان مشتركة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وجعلناه من الجَعل فهو يفيد معنى الوضع، كما يشمل ضمنا معنى الخلق؛ فانظر إلى مناسبته بهذين المعنيين لاستقرار النطفة في موضعها التى حددها الله تعالى لها، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، ولفظ النشأة يفيد معنيين هما: الإسكان، والنمو، وهو ما يتم في هذه المرحلة من إسكان الروح ونمو البدن وترعرعه، فسبحان من أنزل على نبيه هذه الحقائق؛ وبهذا الإعجاز البالغ في زمن لم يعرف فيه أصل تخليق الجنين فضلاً عن تفاصيل أطواره، فتبارك الله عز وجل أحسن الخالقين.

وهذه السنة النبوية تبين لنا أيضًا هذه الأطوار؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**»[(٢)]؛ بل إن النبى صلى الله عليه وسلم يبين لنا ما الذي يجعل المولود يشبه أباه أو يشبه أمه فقال صلى الله عليه وسلم: «**وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت**»[(٣)]، ونذكر تعليقات بعض علماء علم الأجنة ومنها:

١- ينقل لنا الشيخ الزنداني[(٤)] - حفظه الله - أنه التقى مع عالم من أكبر علماء أمريكا في علم الأجنة، وهو البروفسور (مارشال جونسون)، فذكر الشيخ الزندانى له أن القرآن قد ذكر أن الإنسان خلق أطوارًا، فتعجب تعجبًا شديدًا، وقال: لا يمكن أن يكون ذلك إلا بوحي من الله[(٥)].

---

(١) المؤمنون: (١٢ - ١٤). (٢) رواه مسلم (٢٦٤٣).

(٣) رواه البخاري (٤٤٨٠).

(٤) الشيخ/ عبد المجيد الزنداني: هو رائد منهج الإعجاز العلمي من الكتاب والسنة، وله باع عظيم ومؤلفات عديدة وأبحاث كثيرة في هذا المجال، وهو مرجع فيه، فحفظه الله وجزاه خير الجزاء.

(٥) انظر: العلم طريق الإيمان للشيخ عبد المجيد الزنداني بتصرف.



٢- البروفسور (كيث ل مورس Keith L Moors) وهو من كبار علماء الأجنة في العالم يثبت بالتجارب العملية دقة الوصف القرآني للمضغة(١).

وغير هؤلاء الكثير من علماء هذا الباب الذين أصيبوا بذهول شديد حينما أخبروا بما جاء في القرآن والسنة عن حقيقة تخلق الجنين، فمنهم من شرح الله عز وجل صدره للإسلام فأسلم، ومنهم من أقر بالإعجاز في ذلك إلا أنه لم يُهد للإسلام.

وبعد؛ فهذا مثل واحد من الكثير مما تكلم عنه القرآن والسنة النبوية قبل أن يبلغ إلى حقائقه العلماء المتخصصون.

- دلالات أخرى لبعض آيات الله في النفس:

ولنقف بعد ذلك مع إشارات عابرة عن بعض ما جاء في الكتاب والسنة فيما يخص الإنسان وذلك من خلال الوحى المنزل على نبينا محمد ﷺ.

١- البدانة:

لقد حذر رسول الله ﷺ من السمنة والبدانة في مواطن عديدة في الكتاب والسنة منها:

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢).

وقوله ﷺ: «مَا مَلأَ آدمي وِعَاءً شَراً من بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامه وَثُلُثٌ لِشَرَابه وَثُلُثٌ لِنَفَسه» (٣).

قد توصل العلم إلى أن السمنة من الناحية الصحية تعتبر خللاً في التمثيل الغذائى، وذلك يرجع إلى تراكم الشحوم أو اضطراب الغدد الصماء، والوراثة ليس لها دور كبير في السمنة كما يعتقد البعض. وقد أكدت البحوث العلمية أن للبدانة عواقب وخيمة على جسم الإنسان، وقد أصدرت إحدى شركات التأمين الأمريكية إحصائية تقرر أنه كلما طالت خطوط حزام البطن قصرت خطوط العمر، فالرجال الذين يزيد محيط بطونهم عن محيط صدورهم يموتون بنسبة أكبر، كما أثبتت البحوث أيضًا أن مرض البول السكرى يصيب الشخص البدين غالبًا أكثر من العادى،

---

(١) انظر: Keith L. Moor (1985) Developing Human With Islamic Edition.

(٢) الأعراف: (٣١).

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٣٢-١٧٢٢٥)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٠) عن المقدام بن معديكرب ﷺ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٦٥).



كما أن البدانة تؤثر في أجهزة الجسم وخصوصًا القلب، حيث تحل الدهون محل بعض خلايا عضلة القلب؛ مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته. وصدق رسول الله ﷺ حين حذر من السمنة والتُّخَمَة.

وحذرت تلك البحوث من استخدام العقاقير لإنقاص الوزن؛ لما تسببه من أضرار، وأشارت إلى أن العلاج الأمثل للبدانة والوقاية منها هو اتباع ما أمرنا به الله عز وجل سبحانه وتعالى بعدم الإسراف في تناول الطعام، واتباع سنة رسول الله ﷺ في تناول الطعام كما أوضح الحديث الذى نحن بصدده، وجاء تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، وبهذا سبق نبينا محمد ﷺ العلم الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، حيث أرشد إلى أهمية التوازن في تناول الطعام والشراب، وحذر من أخطار الإسراف فيهما على صحة الإنسان.

٢- الجذام:

لقد أثبت علم الطب الحديث أن مرض الجذام من أخطر الأمراض الجلدية، ومع ذلك لم يستطع العلم الحديث السيطرة عليه حتى الآن. ومرض الجذام يصيب أطراف الأعصاب مثل أطراف أعصاب الذراعين، ويجعل المريض يفقد الإحساس فلا يحس بالألم والحرارة والبرودة، بل يمكن أن تدخل الشوكة في قدمه دون أن يشعر، فضلاً عن إصابة المريض بضمور في عضلات اليدين والساقين وقروح في الجلد خاصة في القدمين واليدين، وتتآكل عظامهما وتفقد بعض أجزاء منهما كالأصابع، ويمكن أن يصيب القرنية فيؤثر على الإبصار. كما أن له آثارًا مُضِرة أخرى.

ومن عظمة التوجيه النبوى الشريف للذين أنعم الله عز وجل عليهم بنعمة الصحة وعدم الابتلاء بهذا المرض قول النبي ﷺ: «**لا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ**»(١)؛ لأن المجذوم إذا رأى صحيح البدن يديم النظر إليه فتعظم مصيبته وتزداد حسرته؛ ومن ثم فقد جاء النهي عن النظر إليهم رعاية لمشاعرهم. وأيضًا أدرك الرسول ﷺ خطورة العدوى من مريض الجذام، فأمر الأصحاء بالابتعاد عن المصابين به على الفور كما يبتعد الشخص عن الأسد المفترس، فقال رسول الله ﷺ: «**وفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٣٣-٢٠٧٥)، وابن ماجه (٣٥٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر الألباني في الصحيحة (١٦٤).



مِنَ الأَسَدِ»[١]، ولا سيما أن ميكروب الجذام إذا تمكن من الشخص الصحيح افترسه.

لقد قيل هذا الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا. ويجيء العلم الحديث ليوافقه وينصح بالتوجيه النبوي الشريف، فاللَّهم صلِّ على مُعلم البشرية محمد ﷺ.

٣- الحمى:

قال رسول الله ﷺ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ»[٢].

وقال ﷺ عندما ذكرت الحمى فسبها رجل: «لا تَسُبَّهَا فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا ابنَ آدمَ كما يُذهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[٣].

لقد تبين أنه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة التى قد تصل إلى ٤١ درجة مئوية، والتى وصفها ﷺ بأنها من فيح جهنم، قد يؤدي ذلك إلى هياج شديد ثم هبوط عام وغيبوبة تكون سببًا في الوفاة؛ ولذا كان لزامًا تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فورًا؛ حتى ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ، وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض في ماء أو عمل كمادات من الماء البارد والثلج ؛ حيث إنه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم كحالته الطبيعية بعد أن ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ، ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما ؛ ولذا كان الرسول ﷺ إذا حُمَّ دعا بقِربَة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل. ولما كانت الحمى يستلزمها حمايةٌ من الأغذية الرديئة وتناولُ الأغذية والأدوية النافعة، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن وتصفيته من مواده الرديئة التى تفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره - كانت أشبه الأشياء بنار الكير التى تصفي جوهر الحديد.

وقد ثبت علميًّا أنه عند الإصابة بالحمى تزيد نسبة مادة (الأنترفيرون) لدرجة كبيرة، كما ثبت أن هذه المادة التى تفرزها خلايا الدم البيضاء تستطيع القضاء على الفيروسات التى هاجمت الجسم وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية، فضلاً عن ذلك فقد ثبت أن مادة (الأنترفيرون) التي تفرز بغزارة أثناء الإصابة

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٤)، ومسلم (٢٢٠٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٥) عن جابر رضي الله عنه.





بالحمى لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتريا فحسب، ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها؛ وبالتالي حماية الجسم من ظهور أية خلايا سرطانية يمكن أن تؤدي إلى إصابة الجسم بمرض السرطان؛ ولذا قال بعض الأطباء: إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير، مثل مرض الروماتيزم المفصلي الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك؛ ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي في مثل هذه الحالات الحمى الصناعية، أي إيجاد حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة.

ومن هنا ندرك حكمة رسول الله ﷺ في رفض سب الحمى، بل الإشادة بها بوصفها تذهب الذنوب كما يذهب الكير خبث الحديد، كما أشار الحديث الشريف الذي ذكرناه(١).

٤- الداء والدواء في الذباب:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً»(٢).

وهذه من معجزاته الطبية ﷺ التى يجب أن يسجلها له تاريخ الطب بأحرف ذهبية، ذِكره لعامل المرض وعامل الشفاء محمولين على جناحي الذبابة قبل اكتشافهما بأربعة عشر قرنًا، وذكره لتطهير الماء إذا وقع الذباب فيه وتلوث بالجراثيم المرضية الموجودة في أحد جناحيه بغمس الذبابة في الماء لإدخال عامل الشفاء الذي يوجد في الجناح الآخر، الأمر الذى يؤدي إلى إبادة الجراثيم المرضية الموجودة بالماء.

وقد وصل العلماء مؤخراً إلى العلم بحقيقة ما في هذا الحديث وهو: أنه إذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب أو الطعام. فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم هو مبيد البكتريا الذى يحمله الذباب في جوفه قريبًا من أحد جناحيه، فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه؛ ولذا فإن غمس الذباب كله وطرحه كافٍ لقتل الجراثيم التى كانت عالقة به وكاف في إبطال عملها.

---

(١) المصدر: (الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية) - محمد كامل عبد الصمد.

(٢) رواه البخاري (٣٣٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



كما أنه قد ثبت علميًّا أن الذباب يفرز جسيمات صغيرة من نوع الأنزيم تسمى باكتريوفاج - أي مفترسة الجراثيم - وهذه صغيرة الحجم يقدر طولها بـ ٢٠-٢٥ ميللي ميكرون، فإذا وقعت الذبابة في الطعام أو الشراب وجب أن تغمس فيه كي تخرج تلك الأجسام المضادة فتبيد الجراثيم التى تنقلها.

فهذه الحقيقة التى وصل إليها العلماء مؤخرًا قد أخبرنا بها النبي ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا. فمن أين جاء بها النبي محمد ﷺ ؟!.

٥- الناصية[1]:

قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[2] يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: كنت أقرأ قول الله تعالى في هذه الآية، فكنت أسأل نفسي وأقول: يا رب اكشف لي هذا المعنى! لماذا قلتَ: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، وتفكرت فيها أكثر من عشر سنوات وأنا في هذه الحيرة، إلى أن يسر الله البحث الذي كان عن الناصية، قُدِّم من أحد العلماء وهو كندي الأصل، ومن أشهرهم في علم المخ والتشريح والأجنة، وكان ذلك في المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة.

وقال فيه ذلك العالم: منذ خمسين سنة فقط تأكد لنا أن جزء المخ الذي تحت الجبهة مباشرة الذي في الناصية هو الجزء المسئول عن الكذب والخطأ، وهو المكان الذى يصدر منه الكذب ويصدر منه الخطأ، وأن العين ترى به والأذن تسمع به، فكذلك كان هذا المكان الذي يصدر منه القرار، هذا مصدر اتخاذ القرار، فلو قُطِع هذا الجزء من المخ الذى يقع تحت العظمة مباشرة فإن صاحبه في الغالب لا تكون له إرادة مستقلة، لا يستطيع أن يختار، يفقد سيطرته على نفسه، مثل شخص تقلع له عيناه فإنه لا يرى.

فسبحان الله إذ يقول: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ثم وجدوا أن هذا الجزء من الناصية في الحيوانات ضعيف صغير، لأن الحيوان مركز قيادته وحركة جسمه أيضًا من هذا المكان، وإلى هذا يشير المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[3]، وفي الحديث الشريف ما يؤيد هذا حيث قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الناصية: هي مقدمة الرأس.

(٢) العلق: (١٥).

(٣) هود: (٥٦).





«اللَّهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك...» الحديث[1]، إذًا فالناصية: هي مركز القيادة.

هذه الحقيقة التي وصل إليها العلماء مؤخرًا هى ما بلَّغنا بها رسول الله ﷺ من القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة. فمن علَّمَ النبي محمداً ﷺ هذا؟![2].

ثانيًا: آيات في الكون:

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[4].

إن الناظر والمتأمل والمتفكر في الكون من حولنا يرى آياتٍ عُجابًا، وأن هذا الكون يحوى من الأسرار الكثير والكثير، مما وصل العلماء إلى معرفة بعضها منذ سنوات قليلة بالنسبة للزمان، والقرآن والسنة تكلما عن هذه الحقائق العلمية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا. فتعالوا لنعيش مع بعض هذه العلوم والظواهر المتعلقة بالكون من حولنا؛ لنعلم يقينًا أن رسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

١ - أكثر منطقة في العالم إنخفاضًا:

من أوضح الآيات الوصفية في كتاب الله قوله تعالى في سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

هذه الآية الكريمة استخدمها علماء التفسير في الاستشهاد على الإعجاز التنبؤى للقرآن الكريم؛ لأنها تخبر عن نتيجة معركة لم تكن قد قامت بعدُ بين الفرس والروم؛ وتخبر بأنها ستحدث بعد بضع سنوات. فهذا إعجاز مستقبلي أو تنبؤي في القرآن الكريم. وحدثت المعركة بالفعل كما أخبر القرآن الكريم، ففي سنة (٦١٣م) هزمت جيوش الفرس جيش الإمبراطورية الرومانية الشرقية على أرض فلسطين،

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٩١-٣٧١٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) المصدر بتصرف يسير من كتاب (وغدا عصر الإيمان) للشيخ عبد المجيد الزنداني.

(٣) فصلت: (٥٣).

(٤) الذاريات: (٢٠).



واحتلت القوات الفـارسية القدس ودمشق ثم مصـر بعد ذلك في سنة واحدة (أى في سنة ٦١٤م)، وفي السنة الثالثة (٦١٥م) غـزت قوات الفرس أرض الأناضول وهددت القـسطنطينية نفـسهـا في سنة (٦١٦م)، ثم انقلبت مـوازين القوى بعـد ذلك بثمـاني سنوات حين هزمت القوات الرومـانية جيوش الفرس ودخلت الأراضي الفـارسية في سنة (٦٢٤م)، وهي نفس السنة التي انتصر فيها المسلمون في موقعة بدر الكبرى.

وبالنظر إلى لفظ (أدنى) في هذه الآية نجده مـعجزًا ومبهـرًا للغاية؛ لأن (أدنى) في اللغة تأتي بمعنى: أقرب، كما تأتي بمعنى: أكثر انخفاضًا.

فـقـال المفـسـرون: ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾: هو أقـرب الأرض من الجزيـرة العربيـة، والمعركة وقـعت في أرض فلسطين، وهي أقرب أرض للجزيرة العربية فـقوله تعالى: ﴿أَدْنَى الأَرْضِ﴾ هنا تعني: أقرب الأرض.

ثم تأتي العلوم الجيولوجية لـتأكد على أن حـوض البحر الميت الذي وقـعت حوله المعركة، هو أكثر أجزاء اليابسة انخفاضًا على الإطلاق؛ إذ يبلغ منسوبه حوالي الأربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو أكثر بقعة على سطح اليابسة انخفاضًا على الإطلاق.

وحوض البـحر الميت هو المنطقـة التي سكنها قوم لوط الـذين عاقبـهم الله تعالى بالخسف فيها، فلا يوجد على سطح اليابسة أدنى من حوض البحر الميت(١).

ومن هنا جاء وصف القرآن الكريم للمـنطقة التي وقعت فيها المعـركة بين الفرس والروم سنة (٦٢٤م) بهذه الدقة العملية المطلقة: (أدنى الأرض).

٢- اهتزازات التربة:

قال الله - عـز وجل - تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(٢).

في المؤتمر العلمي الأول في إسلام آباد تقدم أحد علماء النبات فقال: هناك آية في القـرآن تخبـرنا عن حقـائق عرفناها نحن الآن، فـفي عام (١٨٢٧م) اكـتشف عـالم بريطاني اسمه براون أن ماء المطر إذا نزل إلى التربة أحدث لها اهتزازات فتهتز حبيبات التربة.. وهى حبيبات صغيرة يبلغ قطر أكبر حبيبة ٣,٠٠مم.

(١) المرجع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار.
(٢) الحج: (٥).



هذه الحبيبات عبارة عن صفائح بعضها فوق بعض من المعادن المختلفة، صفائح متراصة إذا نزل المطر تكونت شحنات كهربائية مختلفة بين الحبيبات بسبب اختلاف هذه المعادن، وحدث تَأَيُّن (أي تحول إلى أَيُونات، والأَيُون هو: ذرة من مجموعة ذرات ذات شحنة كهربائية، فإذا نقص عدد الكهيربات في الذرة أصبحت أيونًا موجبًا، وإذا زاد أصبحت أيونًا سالبًا ويسمى شطرًا)، فتهتز هذه الحبيبات بهذا التأين، وبدخول الماء من عدة جهات إلى تلك الحبيبات يحدث لها اهتزاز، وهذا الاهتزاز له فائدة عظيمة؛ إذ إن الصفائح متلاصقة بعضها مع بعض، فالاهتزاز يوجِد مجالاً لدخول الماء بين الصفائح، فإذا دخل الماء بين الصفائح نمت وربت هذه الحبيبات، فإذا تشبعت بالماء أصبحت عبارة عن خزان للماء يحفظ الماء بين هذه الصفائح، كأنها خزانات معدنية داخل التربة.

ولنا أن نتساءل الآن: إن النبات يستمد الماء طوال شهرين أو ثلاثة أشهر. فمن أين؟

والجواب: من هذا الخزان يستمد الماء، وإلا لكان الماء يغور في التراب وينزل إلى أسفل، ويقتل النبات في أسبوع، لكن الخزانات تمده بهذا الماء.

فمن اكتشف هذا؟ عالم اسمه (براون) عام (١٨٢٧م) وسميت هذه الاهتزازة (اهتزازة براون) مع أنها مذكورة قبل أن يولد براون بزمن طويل، والذين يؤرخون العلم عليهم ألا يقولوا: إن أول من ذكر هذا براون، وإن أرادوا إنصافًا؛ فليقولوا: إن أول من ذكره القرآن كما في الآية الكريمة: ﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾.

والسؤال: من الذي نبأ رسول الله ﷺ بذلك؟!

٣- الحديد:

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الحديد: ﴿ **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ قال المفسرون: (أنزلنا) هنا إنزال مجازي بمعنى (خلقنا)، أو بمعنى (قدرنا)، أو بمعنى (جعلنا)، وما كان أحد يتخيل أبدًا أنه إنزال حقيقي.



وتأملوا في قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، حيث ثبت علميًّا أن ذرة الحديد هي أكثر الذرات التي نعرفها تماسكًا، ولا توجد ذرة في شدة تماسك ذرة الحديد؛ ولذلك فإن الحديد له من الخواص الطبيعية والكيميائية المميزة له ما يجعله ذا بأس شديد، والحديد هو عصب الصناعات الثقيلة في حياة الإنسان، وعصب توليد الكثير من صور الطاقة، ليس هذا فقط فلولا وجود هذه الكتلة الضخمة من الحديد في قلب الأرض ما استطاعت أن تمسك بغلافها الغازي ولا بغلافها المائي ولا بمختلف صور الحياة على سطحها، ولذلك فإن وجود الحديد ضرورة من ضرورات جعل الأرض صالحة للعمران.

والحديد يُقَوِّم جزءًا من المادة الحمراء في دماء البشر وفي دماء كثير من الحيوانات. كما يشكل الحديد جزءًا من المادة الخضراء في أجسام كل النباتات؛ ولذلك فالحديد لازمة من لوازم الحياة.

وقد قال الدكتور (استروخ) وهو من أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء: لقد أجرينا أبحاثًا كثيرة على معادن الأرض، ولكن المعدن الوحيد الذى يحير العلماء هو الحديد، فذرات الحديد لها تكوين مميز، إن الإلكترونات والنَيترونُات في ذرة الحديد لكى تتحد فهى محتاجة إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية، ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض، ولابد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم يتكون.

فصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1][2].

فمن أعلم النبى محمدًا ﷺ ذلك ؟!.

٤- سر الجبال:

قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[5].

---

(١) انظر: الأدلة المادية على وجود الله - للشيخ محمد متولي الشعراوي.

(٢) الحديد: (٢٥). (٣) النبأ: (٧).

(٤) النازعات: (٣٢). (٥) لقمان: (١٠).



الجبال: كتلٌ ضخمة من الأحجار والصخور، توجد على قطعة ضخمة كبيرة هى سطح الأرض الذي يتكون من نفس المادة، فكتلة هائلة من الصخور تجثم على كتلة أخرى هى سطح الأرض، هذا الذي يعلمه الناس عن الجبال. ولكن الإنسان عندما تعمق ورأى ما تحت هذه الطبقات وكشف الطبقات التي تتكون منها الأرض، وجد أن الجبال تخترق الطبقة الأولى التي يصل سمكها إلى خمسين كيلو مترًا من الصخور هي قشرة الأرض، فالجبل يخترق هذه الطبقة ليمد جذرًا له في الطبقة الثانية المتحركة تحتها، وتحت أرضنا هذه طبقة أخرى تتحرك، لكن الله عز وجل ثبت هذه الأرض على تلك الطبقة المتحركة بجبال تخترق الطبقتين فتثبتها كما يثبت الوتد الخيمة بالأرض التي تحت الخيمة، وهكذا وجدوا جذرًا تحت كل جبل، وكانت دهشت الباحثين والدارسين عظيمة وهم يكتشفون أن هذا كله قد سُجِّل في كتاب الله من قبل، فقال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[3][4].

فكيف بلغ النبي محمد ﷺ هذا العلم؟!.

٥- فضل مكة على سائر البقاع:

قال الله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[5].

الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء والذي أعلن في يناير(١٩٧٧م) يقول: إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم، وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي.

ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب، فيذكر أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفًا تمامًا، حيث كان يجري بحثًا ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم على معرفة وتحديد مكان القبلة؛ لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هى مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه

(١) النبأ: (٧). (٢) النازعات: (٣٢). (٣) لقمان: (١٠).
(٤) انظر: وغدًا عصر الإيمان - للشيخ عبد المجيد الزنداني.
(٥) الشورى: (٧).



مساجد تحدد مكان القبلة، أو يكون في بلاد غريبة، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات في الخارج.

لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها، وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ورسم عليها القارات الخمس، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته.

فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم، وأمسك بيده فرجارًا (برجلاً) وضع طرفه على مدينة مكة، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعًا منتظمًا، ووجد مكة - في هذه الحالة - هي مركز الأرض اليابسة. وأعد خريطة العالم القديم- قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا - وكرر المحاولة فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضًا مركز الأرض اليابسة، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام.

ويضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين: لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض عن مدينة مكة، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية؛ لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة، وبعد ذلك رسمت حدود القارات وباقى التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة بالاستعانة بالحاسب الآلي؛ لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض لهذا الإسقاط الجديد، فوجدت أن جميع خطوط الطول تنحرف عن مركز الكرة الأرضية حتى خط جرينتش بنسبة مُعينة، إلا خط طول مكة المكرمة وجدته متطابقًا معه.. ثم اكتشفت أنني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست، ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية. مكة إذن - بتقدير الله - هي قلب الأرض، وهي بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف

العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي، يوائمه ظاهرة عجيبة قد تذوقَّها كل من زار مكة حاجًّا أو معتمرًا بقلب منيب، فهو يحس أنه ينجذب فطريًّا إلى كل ما فيها: أرضها، وجبالها، وكل ركن فيها، حتى ليكاد أن يذوب في كيانها مندمجًا بقلبه وقالبه، وهذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضي.

والأرض شأنها شأن أي كوكب آخر تتبادل مع الكواكب والنجوم قوة جذب تصدر من باطنها، وهذا الباطن يتركز في مركزها و يصدر منه ما يمكن أن نسميه إشعاعًا، ونقطة الالتقاء الباطنية هي التي وصل إليها عالم أمريكى في علم الطوبوغرافيا بتحقيق وجودها وموقعها جغرافيًّا، وهو غير مدفوع لذلك بعقيدة دينية، فقد قام في معمله بنشاط كبير، وواصلاً ليله بنهاره وأمامه خرائط الأرض وغيرها من آلات وأدوات؛ فإذا به يكتشف - عن غير قصد - أن مركز تلاقي الإشعاعات الكونية هو مكة.

ومن هنا تظهر الحكمة في الحديث الشريف المبنية على قول الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[(١)]، ومن ثَمَّ يمكن التعرف على الحكمة الإلهية في اختيار مكة بالذات ليكون فيها بيت الله الحرام، واصطفائها لتكون نواة لنشر رسالة الإسلام للعالم كله[(٢)].

فمن ذا الذى أبلغ رسول الله ﷺ ذلك؟!.

٦- جزيرة العرب:

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض؛ حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهاراً»[(٣)].

قول الشيخ الزنداني: إن العالم البروفسيور الفريد كوروز - من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم - حضر مؤتمرًا جيولوجيًّا في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز، فقلت له: هل عندكم حقائق أن جزيرة العرب - أرض العرب - كانت

---

(١) الشورى: (٧).

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية - لمحمد كامل عبد الصمد.

(٣) رواه مسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.





بساتين وأنهارًا؟ هذه الصحراء التى ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق؟ فقال: نعم! هذه مسألة معروفة عندنا، وحقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونها؛ لأنك إذا حفرت في أية منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجًا وأنهارًا، والأدلة كثيرة، وعلى سبيل المثال قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربُّع الخالي.

وهناك أدلة كثيرة في هذا. قلت له: وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجًا وأنهارًا؟ قال: هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيين ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نقول بالتقريب متى يكون ذلك، وهي مسألة ليست عنكم ببعيدة. قلت: لماذا؟ قال: لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة، من ضمن هذه الأحقاب المتعددة حقبة تسمى العصور الجليدية. وما معنى العصر الجليدي؟ معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد الشمالي، ثم تزحف نحو الجنوب، وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس باردًا، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطارًا وأنهارًا. وكنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التى تحدث في شمال أوروبا، وأنا أتأمل فيما يقول، قلت له: تُؤكد لنا هذا، قال: نعم! هذه حقيقة لا مفر منها! قلت له: اسمع، لقد أخبر النبي محمد ﷺ بذلك فهذا كله مذكور في الحديث الذي ذكرناه آنفًا، فمن قال للنبي ﷺ أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا؟! ففكر وقال: الرومان. فقلت له: ومن أخبر بأن أرض العرب ستعود مروجًا وأنهارًا ؟ ففكر طويلاً ثم قال: (فيه فوق!!)، وهنا قلت له: اكتب، فكتب بخطه: لقد أدهشتني الحقائق العلمية التى رأيتها في القرآن والسنة ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي محمدًا ﷺ لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي.

ثم يستطرد الشيخ الزنداني ويقول: ما أسعدنى وأنا أرى علماء العالم الكبار ما إن تقوم لهم الحقائق حتى يسلموا! ليس فقط يسلموا بل ينشروا ويكتبوا في كتبهم دون مواراة.



إن هذا العصر عصر خضع كل شيء فيه للعلم، ولكننا في بدايات عصر خضوع العلم للإسلام وللقرآن؛ لأنه الحق كما قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١)(٢).

٧- آيات في البحار والأنهار:

قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(٣).

كون البحار في صورة موج من فوقه موج حقيقة تم الوصول إليها بعد إقامة مئات من المحطات البحرية، والتقاط الصور بالأقمار الصناعة، والذي قال هذا الكلام هو البروفسيور شرايدر، وهو من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية، كان يقول: إذا تقدم العلم فلابد أن يتراجع الدين؛ لكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بُهِتَ وقال: إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر.

ويأتي البروفسيور (دورجاروا) أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل إليه العلم في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.

فيقول: لقد كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترًا، ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلامًا شديدًا على عمق مائتي متر، الآية الكريمة تقول: ﴿بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾.

كما أعطتنا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنى قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، فالمعروف أن ألوان الطيف سبعة، منها: الأحمر، والأصفر، والأزرق، والأخضر، والبرتقالي إلى آخره، فإذا غصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحدًا بعد الآخر، واختفاء كل لون يعطي ظلمة، فالأحمر يختفي أولاً ثم البرتقالي ثم الأصفر، وآخر الألوان اختفاء هو اللون الأزرق على عمق مائتي متر، كل لون يختفي يعطي جزءًا من الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملة.

---

(١) فصلت: (٥٣).

(٢) انظر: العلم طريق الإيمان – للشيخ عبد المجيد الزنداني.

(٣) النور: (٤٠).



أما قوله تعالى: ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ فقد ثبت علميًا أن هناك فاصلاً بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي، وأن هذا الفاصل مليء بالأمواج، فكأن هناك أمواجًا على حافة الجزء العميق المظلم من البحر، وهذه لا نراها، وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها، فكأنها موج من فوقه موج، وهذه حقيقة علمية مؤكدة؛ ولذلك قال البروفيسور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية: إن هذا لا يمكن أن يكون علمًا بشريًّا(١). فمن أين يكون هذا العلم للنبي ﷺ؟!

٨- البرزخ البحري:

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾(٢) إن الصور الحديثة التي التقطت للبحار قد أثبتت أن بحار الدنيا ليست موحدة التكوين؛ بل هي تختلف في الحرارة والملوحة والكثافة ونسبة الأوكسجين، وفي صورة التقطت بالأقمار الصناعية ظهر كل بحر بلون مختلف عن البحر الآخر: فبعضها أزرق قاتم، وبعضها أسود، وبعضها أصفر، وذلك بسبب اختلاف درجات الحرارة في كل بحر عن الآخر، وقد التقطت هذه الصورة بالخاصية الحرارية وبالأقمار الصناعية ومن سفن الفضاء، وظهر خط أبيض رفيع يفصل بين كل بحر وآخر.

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾. نجد أن وسائل العلم الحديث قد وصلت إلى تصوير البرزخ بين البحرين.. وبينت معنى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ بأن مياه أي بحر حين تدخل إلى البحر الآخر عن طريق البرزخ، فلا تبغي مياه بحر على مياه بحر آخر فتغيرها. فمن أخبر النبي محمدًا ﷺ بذلك؟!

٩- اتساع الكون:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(٣).

كان أهم اكتشاف في سنة (١٩٢٩م) أن الكون يتسع، وكان وقعه كالقنبلة عندما نشر في الأوساط العلمية، فحتى تلك اللحظة كان الاعتقاد السائد أن المجرات تسير في حركة عشوائية تشابه حركة جزئيات الغازات بعضها في تقارب والبعض الآخر في تباعد، ولكن هذا الاكتشاف قلب ذلك الاعتقاد رأسًا على عقب. فلقد اكتشف (هابل)

---

(١) انظر: (الأدلة المادية على وجود الله) - للشيخ الشعراوي.

(٢) الرحمن: (١٩).

(٣) الذاريات: (٤٧).

أن كل هذه الملايين المؤلفة من المجرات في ابتعاد مستمر عن بعضها بسرعات هائلة قد تصل في بعض الأحيان إلى كسور من سرعة الضوء، وكذلك بالنسبة لنا فكل المجرات التي نراها حولنا - ما عدا الأندروميدا وبعض المجرات الأخرى القريبة - في ابتعاد مستمر عنا، ولنا الآن أن نتساءل عن معنى هذا الاكتشاف: إذا كانت وحدات الكون كلها في ابتعاد مستمر عن بعضها، فإن ذلك لا يعني إلا شيئًا واحدًا، وهو أن الكون في تمدد حجمي أو اتساع مستمر! فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(١) قد تبدو الآن معانى الآية الكريمة قريبة إلى أذهاننا بعد توصل العلم إلى حقيقة أن الكون له بداية يتسع منها ويتمدد ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قول لا يحتمل التأويل، وهذا ما يحدث للكون الآن، بل منذ بلايين السنين، اتساع وتمدد مستمر، وأصبحت هذه النظرية حقيقة علمية؛ إذ لم يظهر حتى الآن ما قد يعارضها أو ينال من صحتها فأصبحت حقيقة اتساع الكون كحقيقة دوران الأرض حول الشمس أو كروية الأرض.

فمن أخبر النبى محمدًا ﷺ بهذه الدقائق؟ من أخبره بأسرار البحر، وباطن الأرض، وطبقات الفضاء العليا، وأسرار السماء، وأسرار بداية الخلق؟ من أخبره بذلك؟ أليس هذا القرآن هو أكبر معجزة موجودة؟

إنك إذا رأيت عصا موسى عليه السلام تتحول إلى حية تسعى، فأنت ترى آية واحدة، أما هذا القرآن فكله آيات، وكل آية فيه تدل على أنها من عند الله عز وجل، وكل آية فيه تشهد بصدق رسول الله ﷺ.

وبعد.. فهذه أمثلة قليلة عن آيات الله عز وجل في النفس، وفي الكون من حولنا، والتي تقود كل صاحب فطرة صحيحة وقلب سليم وعقل سوي إلى الإيمان برب هذا الكون العظيم، ولما لا وهو الذي أمرنا بالنظر والتفكر؛ فقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢)، فسبحانه من خلق الخلق ودلهم عليه، وصلى الله على خير من بلَّغ عن ربه وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) الذرايات (٤٧).

(٢) فصلت: (٥٣).

الفصل الخامس
التشريع (الإعجاز التشريعي)

إذا كان الغربيون يتباهون بأن حضارتهم كانت أول حضارة سبقت وأعلنت حقوق الإنسان رسميًا في مختلف دولها لأول مرة في التاريخ، ويتفاخرون بأنهم في القرن العشرين وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويعتبرونه النموذج المثالي لهذه الحقوق - فإنهم نسوا أو تناسوا أن القرآن الكريم قد قرر كرامة الإنسان وحقوقه منذ أربعة عشر قرنًا بأسمى مبدأ للبشرية جمعاء.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

والخطاب في هذه الآية موجه للناس جميعًا، وأنهم خلقوا - على اختلاف أجناسهم وألوانهم ودياناتهم - من رجل واحد وامرأة واحدة، وأنهم متساوون في الميلاد والأصل، والقرآن بهذه الآية يركز على وحدة الجنس البشرى ولا فضل لأحد إلا بالتقوى.

وقد اشتمل القرآن على كثير من المبادئ السامية التى تدل على عظمته وأصالته، ومنها:

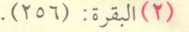
١- مبدأ حرية العقيدة والرأى: في قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٣).

مع بيان أن الحق الذي ارتضاه الله تعالى للبشر ولا يقبل غيره هو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾(٤) و ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٥).

٢- قواعد عادلة في المعاملات: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

---

(١) الحجرات: (١٣).
(٢) البقرة: (٢٥٦).
(٣) الكافرون: (١-٦).
(٤) آل عمران: (١٩).
(٥) آل عمران: (٨٥).
(٦) المائدة: (١).
(٧) النحل: (٩١).





الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾(٢).

٣- قوانين الأحوال الشخصية: وهي قواعد عادلة ومستقرة؛ لتعلقها بأحوال الإنسان الشخصية في الأسرة، فوضع الشرع لها نظامًا كاملاً مفصلاً في مسائل الزواج والطلاق والحمل والعدة والرضاع والنفقة والميراث وحقوق الأبناء وذوى القربى، وتوسع في أحكامها الكلية وجعلها مرنة وقابلة لاجتهاد المجتهدين من الفقهاء في استنباط أحكامها بما يساير الزمان والمكان.

٤- القانون الجنائي: وهو بحق أعظم برهان يدل على عظمة القرآن في تشريعه لجرائم الحدود التي بين نوعها، وحدد عقوباتها التي تتمثل فيها العدالة والحكمة والرحمة بما فيه الكفاية للردع والزجر بصورة تكفل الأمن والسلام للعباد والبلاد.

• دعائم الشريعة الإسلامية:

لابد لكل تشريع من دعائم يقوم عليها، وتساعد على بقائه ودوامه بين الناس، راضين بعدالته ومطمئنين إلى حكمته وتمشيه مع مصالح الأفراد والجماعات.

والشريعة الإسلامية - بحمد الله - لها دعائمها الثابتة وخصائصها التى تجعل الناس تنقاد إليها عن قناعة وثقة؛ لأنها تتفق مع الفطرة السليمة ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾(٣)، وهى - كما تشهد لها جميع الشواهد - شريعة تخاطب العقول السليمة، وتحض على العمل، وتدعو للجهاد في سبيل الله، وتنادي بالتسامح والحرية والمساواة والبر والتقوى.

• ومن أهم دعائم الشريعة الإسلامية ما يأتي:

١- أنها شريعة سمحة: لا تكلف الناس فوق طاقتهم؛ لأن تكاليفها كلها ميسرة لا

---

(١) البقرة: (٢٧٥).
(٢) البقرة: (٢٨٢).
(٣) الروم: (٣٠).





مشقة فيها في حدود استطاعة كل إنسان، ويقول الله تعالى في وصفها: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١)، كما يقول سبحانه: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(٢).

٢- أنها جاءت شريعة عامة: لا نظر فيها إلى حالات فردية أو جزئية أو شخصية.

٣- أنها سنت للناس رخصًا عند الضرورة: رفعًا للضرر ومنعًا للمشقة، فمثلاً فرضت الشريعة الصيام؛ ولكنها رخصت بالفطر لبعض الناس كالمسافر والمريض، وغير ذلك من الرخص.

٤- قلة تكاليفها: لأنها اقتصرت على الأركان الخمسة وما يتصل بها، ففي الحديث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»(٣).

٥- التدرج في الأحكام: لأنها عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئًا فشيئًا، من غير تشديد ولا تعقيد في النهي عنها وتحريمها.

فمثلاً في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجة في تحريمها، بأسلوب حكيم لم يشعر الناس معه بغضاضة أو حرج أو مشقة.

٦- مسايرة مصالح الناس: وذلك أنه شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذ كان في ذلك المصلحة العامة، كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات المواريث، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة، كما أن بعض أحكام السنة نسخت، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**»(٤).

• أهم المبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية:

جاءت الشريعة الإسلامية بالمبادئ الآتية:

١- مبدأ التوحيد: فقد جمع الناس على إله واحد، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

---

(١) الحج: (٧٨).

(٢) البقرة: (٢٨٦).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥)، مسلم (١٩).

(٤) رواه مسلم (٩٧٧).





تعالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾(١) .

٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله دون وساطة: فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢) ، وقال جل شأنه: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٣) .

٣- مبدأ التخاطب مع العقل: فالتشريع الإسلامى يعتبر العقول مناط التكليف، خصوصًا فيما يتعلق بأمور الدنيا وبمعرفة الخالق، لقوله: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ ، وقوله: ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ .

٤- مبدأ إحاطة العقيدة بالأخلاق الفاضلة: لقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾(٤) .

وقول رسول الله ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن، وإن اللَّه ليبغض الفاحش البذيء»(٥) .

٥- مبدأ التآخي بين الدين والدنيا في التشريع: فقد جاءت أحكامه بأمور الدين والدنيا ودعا إليهما مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾(٦) .

٦- مبدأ المساواة والعدالة بين الناس جميعًا: لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٧) ، وقول رسول الله ﷺ لابنته: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا»(٨) .

٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو في الحقيقة دستور لجميع نواحي الإصلاح. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٩) ، فجعل الله مقومات الخيرية في الأمة ابتداءً في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر.

---

(١) آل عمران: (٦٤).
(٢) غافر: (٦٠).
(٣) البقرة: (١٨٦).
(٤) الفرقان: (٦٣).
(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٤)، والترمذي (٢٠١٣- ٢٠٠٢) مقطعًا، والألباني في صحيح الجامع (٦٠٥٥).
(٦) القصص: (٧٧).
(٧) الحجرات: (١٣).
(٨) رواه البخاري (٢٧٥٣).
(٩) آل عمران: (١١٠).





٨- **مبدأ الشورى:** لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (١).

٩- **مبدأ التسامح:** وهو أسمى وأهم مما يعرف اليوم بمبدأ التعايش السلمي، وقد أمرنا وحضنا الله على ذلك فقال: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

١٠- **مبدأ الحرية:** لقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٥).

١١- **مبدأ التكافل الاجتماعي:** فقد جعل الله عز وجل الزكاة فيها حق الفقير في مال الغني وليست تفضلاً من الأغنياء على الفقراء، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ (٧).

ولقد حضنا على ذلك وأمرنا به رسول الله ﷺ كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى نحو أهل اليمن قال له: «إِنَّكَ تُقدمُ عَلَى قومٍ من أهل الكتاب؛ فليكنْ أولُ ما تدعُوهم إِلَى أَنْ يوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالى، فَإِذَا عرفُوا ذَلِكَ؛ فَأَخبِرهُم أَنَّ اللَّهَ فَرضَ عَليهِم خَمْسَ صَلَوات فِي يَوْمِهِم وَلَيلَتِهِم، فَإِذَا صَلَّوا؛ فَأَخْبِرهُم أَنَّ اللَّهَ افْتَرضَ عليهِم زَكَاةً فِي أَموَالِهِم تُؤخَذُ مِنْ غَنِيِّهِم فَترد عَلَى فَقِيرِهِم، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ؛ فَخُذْ مِنهُم وَتَوقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» (٨).

وهذه المبادئ تدل على متانة بناء التشريع الإسلامي وقوة أركانه، وصلاحيته للأحكام في كل زمانٍ ومكانٍ بين جميع الأجناس؛ ويدل على ذلك أن الأمة الإسلامية ازدهرت وقويت شوكتها حينما كانت تخضع في جميع شؤونها للشرع

---

(١) آل عمران: (١٥٩).
(٢) التغابن: (١٤).
(٣) الأنفال: (٦١).
(٤) المائدة: (١٣).
(٥) البقرة: (٢٥٦).
(٦) الأعراف: (١٥٦).
(٧) الضحى: (١٠).
(٨) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).





الإسلامي، وأنها ضعُفت وتفككت حينما انصرفوا عن شريعته وجُمِّد الفقهاء وركنوا إلى التقليد، وحاولوا أن يخضعوا التشريع لأهوائهم وشهواتهم، وأدى ذلك إلى الاستعانة بالقوانين الوضعية، على اعتبار أن الفقه الإسلامي لم يعد يتفق مع التطورات العالمية وما تقتضيه المدنية الحديثة من مجاراة الدول القوية الغنية.

وقد جاء التشريع الإسلامي بحلول جذرية لكثير من الجرائم التي كانت منتشرة، وأوجد لها الحدود التي تكفل القضاء عليها.

وبعد.. فانظر أيها المنصف إلى هذا التشريع الذي جاء بحلول جذرية وقوية وشاملة وكاملة وتامة لحفظ الدين والنفس والعقل والمال والعِرض، وليضع بذلك حلولاً ناجحة لكل مشاكل البشرية في كل زمانٍ ومكان، ولكن أين القلوب التي تستشعر هذا الخير؟ وأين العقول التي تدرك ما فيه من عظمة ونفع للبشرية جمعاء؟!

أليس هذا التشريع دليلاً على صدق نبوة من جاء به -ﷺ-؟ (١).

❀ ❀ ❀

(١) هذا الفصل مستفاد من كتاب القرآن وإعجازه التشريعي: تأليف الأستاذ حمد إسماعيل إبراهيم ولمزيد من التفصيل يراجع الكتاب ففيه نفع إن شاء الله.

الفصل السادس

تأييد الله تعالى ونصرته

إنه من غير المقبول أن يكون هناك رب خالق مُطَّلع قادر على كل شيء يقبل ادعاء من يكذب عليه ويتركه يمضي هكذا، حاشاه وكلا، بل إن الله تعالى قد توعد من كذب عليه؛ فقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (١)، وقال: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ (٢)، والواقع ينطق بإقرار الله - عز وجل- لنبيه ﷺ وتأييده ونصرته له.

واقرأ معنا هذا الكلام القيم للإمام ابن القيم في مناظرة جرت مع يهودي ينكر نبوة محمد ﷺ :

قيل لليهودى: إذا قلتم: إن محمدًا ليس رسولاً من عند الله، وقد أقام ثلاثًا وعشرين سنة يدَّعي النبوة والرسالة، ويدعي أنه يوحى إليه، وأن ما يقوله وحي من عند الله، فلا يخلو الأمر من احتمالين:

إما أن تقولوا: إن الله تعالى لا يطلع على ما يقول ويفعل محمد ﷺ ، وبهذا تكونوا قد نسبتم إلى الله أقبح الجهل وادعيتم أن مَن عَلِم ذلك أعلم منه، وحاشاه سبحانه.

وإن قلتم: إنه يعلم ويطلع، فإما أن يكون قادراً على التغيير ومُنع ذلك أو لا يكون.

فإن لم يكن قادرًا فقد نسبتم إلى الله سبحانه أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادرًا ومع ذلك أقره وأيده، وأجرى على يديه المعجزات التي تتجاوز الألف، ونصره على أعدائه، وأجاب دعاءه؛ فقد ادعيتم على الله الظلم والسفه - والعياذ بالله - والذي لا يليق نسبته إلى أحد من العقلاء، فضلاً عن رب الأرض والسماء (٣).

---

(١) الحاقة: (٤١ - ٤٧).

(٢) طه: (٦١).

(٣) هداية الحيارى (١/ ٨٧) لابن القيم (بتصرف).





نعم! لو كان النبي ﷺ كاذبًا - وحاشاه - كيف يتركه الله تعالى يكذب عليه، وينسب إليه سبحانه ما لم يقله، وفوق ذلك يسدده ويؤيده وينصره على كل من عاداه، وعلى كل من آذاه، وكيف يجيب دعاءه؛ بل أحيانًا تأتي الإجابة بعد الدعاء مباشرة!

في حين أنه ما من كاذب يدعي النبوة كذبًا إلا والله سبحانه يفضحه ويخذله؛ بل ويهلكه كما كان من مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة، وإثباتًا لادعائه الكاذب وضع يده على عين مريض زعمًا منه أن عين المريض ستُشفى، وإذ بالعين السليمة يصيبها العمى، وكذلك غيره ممن عرفهم التاريخ وافتضحوا على الفور، بل إن هذا من معجزات النبي ﷺ أنه أخبر أنه سيظهر ثلاثون كذابًا يدعون النبوة، حيث قال: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول اللَّه**»(١).

• التأييد بإجابة الدعاء:

كان النبي ﷺ لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجاب الله سبحانه له في الحال، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أنه ﷺ قد أتاه رجلٌ يوم الجمعة، وسأله أن يدعو الله سبحانه لإنزال المطر، فدعا النبى ﷺ، وما أن أنهى الدعاء إلا ومطر شديد ينزل من السماء، في حين أنه قبل أن يدعو كانت السماء صافية، وظل المطر ينزل حتى الجمعة التى بعدها، إلى أن جاء هذا الرجل يسأل النبيَّ ﷺ أن يدعو الله أن يوقف المطر، ففعل النبيُّ ﷺ فأوقف الله المطر. ويروي لنا ذلك أَنَسِ بْنِ مَالِك: أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَة مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاء وَرَسُولُ اللَّه ﷺ قَائمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَائمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَلَكَتْ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادعُ اللَّهَ يُغِثْنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَدَيْه ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغثْنَا اللَّهُمَّ أَغثْنَا اللَّهُمَّ أَغثْنَا**». قَالَ أَنسٌ: وَلا وَاللَّه! ما نَرَى فِي السَّمَاء مِنْ سَحَاب وَلا قَزَعَة وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْت وَلا دَار، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائه سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ. قَالَ: فَلا وَاللَّه! مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا. قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ

(١) رواه البخاري (٣٦٠٩)، مسلم (١٥٧) عن أبي هريرة ﷺ.





ذَلكَ الْبَاب فى الْجُمُعَة الْمُقْبلَة وَرَسُولُ ﷺ قَائمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه! هَلَكَتْ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ، فَادعُ اللَّهَ يُمْسكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَدَيْه ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوْلَنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَة وَمَنَابِت الشَّجَرِ، فَانْقَلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشي فِي الشَّمْسِ»(١).

وكما دعا يوم بدر بعد أن أخذ بالأسباب فتضرع إلى ربه طويلاً، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مائَة وَتسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّه ﷺ الْقبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتفُ بِرَبِّه: «اللَّهُمَّ أَنْجزْ لي مَا وَعَدْتَني، اللَّهُمَّ آت مَا وَعَدْتَني، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلكْ هَذه الْعصَابَةَ منْ أَهْلِ الإِسْلام لا تُعْبَدْ في الأَرْض» فَمَا زَالَ يَهْتفُ بِرَبِّه مَادًّا يَدَيْه مُسْتَقْبلَ الْقبْلَة حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكبَيْه، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكبَيْه ثُمَّ الْتَزَمَهُ منْ وَرَائه وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٢).

فانظر كيف تضرع النبى ﷺ إلى ربه سبحانه؛ فكانت الاستجابة على الفور حيث أنزل الله الملائكة لتؤيده ومن معه. إلى غير ذلك من الأدعية الكثيرة، التي استجابها الله لنبيه في الحال، وهذا لا يمكن أن يتيسر لكاذب، بل لا يكون إلا لصادق مؤيد من الله تعالى!!

• التأييد بخذلان الأعداء:

وهذا باب عظيم يُثبت بما لا يدع مجالاً للشك صدق ونبوة رسول الله ﷺ حيث إن الله عز وجل كان يسارع في رد كيد من كادوا لنبيه ومصطفاه ﷺ، بل كان يخذلهم شر خذلان، ولم لا وهو نبيه وصفيه من خلقه ﷺ، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٣)، فكيف يكون دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ، وقد قال له: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٤)، وقال له: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾(٥)، وقال له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٦).

---

(١) رواه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم (١٧٦٣).
(٣) الحج: (٣٨).
(٤) البقرة: (١٣٧).
(٥) الحجر: (٩٥).
(٦) المائدة: (٦٧).

ومن أمثلة ذلك:

١ - ما رواه أنس رضي الله عنه حيث قال: كَانَ رَجُلٌ نصرَانيًا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمرانَ، فكَانَ يكْتُبُ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فعَادَ نَصرَانيًا، فكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إلا مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوه فَأَصبَح وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فعلُ مُحَمَّد وأَصحَابه لَمَّا هَرَبَ منْهُم نَبَشُوا عَنْ صَاحِبنَا فَأَلْقَوه. فَحفَرُوا لَهُ فَأَعمَقُوا، فَأَصبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ. فَقَالُوا: هَذَا فعلُ مُحَمَّد وأَصحَابه نَبَشُوا عَنْ صَاحِبنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوهُ. فَحفَرُوا لَهُ وأَعمَقُوا لَهُ في الأَرْضِ مَا استَطَاعُوا فَأَصبح وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَعلِمُوا أَنَّهُ لَيس منَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ (١).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ (٢) بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ نَعَم. فَقَالَ: وَاللات وَالْعُزَّى! لَئنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِه أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَاب. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِه قَالَ: فَمَا فَجِئَهُم مِنْهُ (٣) إلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقبَيْه (٤) وَيَتَّقي بِيَدَيْه. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَينَهُ لَخَنْدَقًا من نَار وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ دَنَا منِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**» (٥).

٣ - ما حدث لزوجة أبي لهب أم جميل بنت حرب (حمالة الحطب): وتروي لنا ذلك أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: لما نزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله! قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنها لن تراني**» وقرأ قرآنًا فاعتصم به. فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا أبا بكر! إني أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا

---

(١) رواه البخاري: (٣٦١٧)، مسلم (٢٧٨١).

(٢) هل يعفر محمد وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالتراب.

(٣) فجئهم: أي: بغتهم.

(٤) ينكص على عقبيه: أي: رجع يمشي وراءه.

(٥) رواه مسلم: (٢٧٩٧).





البيت! ما هجاك. فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها(١).

٤- وفي العصر الحديث أمثلة كثيرة منها: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- عن أحوال تحدث مع من تُسَوِّل لهم أنفسهم أن يستهزئوا برسول الله ﷺ حيث قال:

لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عِرضه، فعجَّلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة. قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا بما قالوه فيه ﷺ(٢).

• التأييد في الهجرة:

خرج النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق مهاجرين إلى المدينة النبوية، واختفيا في غار ثور ثلاثة أيام، وصعد المشركون إلى الغار بحثًا عن النبي ﷺ وأبي بكر، فحمى الله نبيه وأبا بكر منهم، قال أبوبكر: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا. فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»(٣).

وأشار القرآن إلى ذلك فقال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

• نصرة الله لرسوله بالريح الشديدة في غزوة الأحزاب:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾(٥). فلقد تجمع

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٣ - ٣٣٧٦)، وهو صحيح (تعليق الذهبي في التلخيص)، وصححه الألباني في صحيح السيرة (١٣٧).

(٢) الصارم المسلول (١/ ١٢٣).

(٣) رواه البخاري (٤٦٦٣)، مسلم (٢٣٨١).

(٤) التوبة: (٤٠). (٥) الأحزاب: (٩ ، ١٠).



الأحزاب من الكفار لقتال النبي، وكان عددهم نحواً من عشرة آلاف، وتحالفوا مع اليهود القاطنين في شرق المدينة على حرب النبي ﷺ وأصحابه، وأشتد الحال على المسلمين الذين حفروا خندقًا بينهم وبين الكفار، واستمر الكفار قريبًا من شهر وهم يحاصرون المسلمين في المدينة.

دَعَا رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَى الأَحْزَابِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»(١).

فاستجاب الله تعالى دعاء رسوله ﷺ وأرسل على الأحزاب ريحًا شديدةً اقضّت مضاجعهم، وجنودًا زلزلتهم مع ما ألقى الله سبحانه بينهم من التخاذل فأجمعوا أمرهم على الرحيل وترك المدينة النبوية.

ولو كانت هذه المعجزة لم تقع لتشكك المسلمون في القرآن، وربما ارتدوا عن دينهم، وقالوا: كيف نصدق ما لم يقع؟!

تسديد الله سبحانه لرمية رسوله ﷺ: قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾(٢).

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ في شأن القبضة من التراب التى حصب بها وجوه الكافرين يوم معركة بدر حين خرج ﷺ من العريش بعد دعائه وتضرعه فرماهم بها وقال: «شاهت الوجوه» فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت(٣).

ولو لم تكن تلك الرمية من الرسول قد حدثت لسارع المسلمون والمؤمنون بتكذيب الآية واتهام الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالكذب وحاشاه.

وقد جاءت رواية عند مسلم بوقوع نفس الآية في غزوة حُنَين، ويروي لنا ذلك إِيَاس ابْنُ سَلَمَةَ قال: حَدَّثَنِى أَبِى قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّى فَمَا

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢) عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٢) الأنفال: (١٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩١) سورة الأنفال.



دَرَيْتُ مَا صَنَعَ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالأُخْرَى فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَى ابْنُ الأَكْوَعِ فَزَعًا**» فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: «**شَاهَتْ الْوُجُوهُ**» فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلا مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ[(١)].

• التأييد بالمواساة والتثبيت وتسخير الأعوان:

فقد أيده الله بزوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في أول الدعوة، وأيده بعمه الذى كان في كنفه، وكان عمه على الشرك، بل مات عليه؛ ولكنه حال بينه وبين قريش وأيده بعمه حمزة رضي الله عنه الذي آمن به ووقف سدًّا وحصنًا منيعًا له، وأيده بعمر بن الخطاب رضي الله عنه استجابة لدعائه ﷺ.

ثم حينما مات عنه عمه وزوجه وآساه ربه وسرَّى عنه بمعجزة عظيمة وهي رحلة الإسراء والمعراج. وكانت من أعظم المعجزات الدالة على مكانة النبي ﷺ عند ربه، وبين إخوانه من الأنبياء، وكذلك مكانة الصلاة؛ حيث فُرضت من فوق سبع سماوات[(٢)].

وبعد فهذه ملامح يسيرة موجزة عن إقرار الله تعالى وتأييده ونصرته لحبيبه ومصطفاه وصفيه من خلقه ومجتباه محمد ﷺ، فهل يُعقل أن يكون هذا الإقرار والتأييد والنصرة إلا لرسول ونبي؟!

فصلى الله على خير خلقه وخاتم رُسله وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) رواه مسلم (١٧٧٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥) طبعة دار الحديث محققة.



الفصل السابع
المعجزات الحسية

قد بينا أن الله - عز وجل- قد أيد نبيه محمدًا ﷺ بالمعجزة الخالدة الباقية المحفوظة في كل زمان ومكان، وهو القرآن العظيم، وما جاء فيه من نبوءات، ودلالات علمية، وتشريع، ومؤيدات، وهى تغنى عن أية معجزة أخرى. ومع ذلك فقد أيده الله بالمعجزات الحسية التى لا تكاد تحصى، نذكر بعضًا منها فيما يلى:

١- تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة:

وقد وقع من هذا شيء كثير من الرسول ﷺ نذكر طرفًا منه: فمن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: عَطشَ النَّاسُ يومَ الْحُدَيْبِيَةِ ورَسُولُ اللَّه ﷺ بَيْنَ يَدَيْه رَكْوَةٌ فَتَوَضأَ منْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه! لَيْسَ عنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ به ولَا نَشْرَبُ إلا مَا فى رَكْوَتكَ. قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِىُّ ﷺ يَدَهُ فى الرَّكْوَة فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ منْ بَيْنِ أَصَابعه كَأَمْثَال الْعُيُون قَالَ: فَشَربْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُم يومئذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْف لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مائَةً[(١)].

وتَذَكَّر أن هذه المعجزات أقرَّ بها المؤيد والمخالف، ولو كانت ادعاء لتراجع عن الإيمان به المؤيد قبل المخالف.

٢- تكثير الطعام القليل ليشبع العدد الكثير:

وها هو ﷺ يدعو جيشًا كاملاً ليتناولوا الطعام عند جابر، وما هو الطعام؟ شاة واحدة! حتى ظن الصحابي أنه سيُفضَح، ولكن ببركة ومعجزة النبى ﷺ أكل الجميع حتى شبعوا وتبقى طعام لأهل جابر.

ويعبر لنا جابر عن ذلك كما جاء في الحديث فيقول: فأخرجت لرسول الله ﷺ عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا[(٢)] فبصق فيها، وبارك ثم قال ﷺ: «ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى من برمتكم فلا تنزلوها» وهم ألف فأقسم بالله! لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٢).
(٢) برمتنا: القدر الذي يطبخ فيه اللحم.
(٣) رواه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩) عن جابر رضي الله عنه.





٣- النبى ﷺ يبارك تمر جابر بن عبد الله حتى يوفي منه دَيْنه! ويبقى التمر كما هو كأن لم يؤخذ منه شيء!

عن جابر رضي الله عنه قال: تُوُفِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْن حَرَامٍ وَعَلَيْه دَيْنٌ فَاسْتَعَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى غُرَمَائِه أَنْ يَضعُوا من دَيْنِه فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا الْعَجْوَةَ عَلَى حدَة وَعَذْقَ زَيْد عَلَى حدَة ثُمَّ أَرْسلْ إِلَيَّ**» فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاهُ أَوْ فِي وَسَطه ثُمَّ قَالَ: «**كِلْ لِلْقَوْمِ**» فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ(١).

٤- النبي ﷺ يسقي أهل الصُّفَّة (٢) جميعًا، وهم نحو سبعين رجلاً من قدح واحد من حليب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: آللَّه الَّذى لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدى عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمِ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَة مِنْ كِتَابِ اللَّه مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِيُشْبِعَنى فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِى عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَة مِنْ كِتَابِ اللَّه مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِى أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «**الْحَقْ**» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِى فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِى قَدَحٍ فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ**» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فلانٌ أَوْ فلانَةُ، قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «**الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّة فَادْعُهُمْ لِي**»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّة أَضْيَافُ الإِسْلامِ لا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلا مَالٍ وَلا عَلَى أَحَد إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِى أَهْلِ الصُّفَّة كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِى فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِى مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّه

---

(١) رواه البخاري (٢١٢٧).

(٢) أهل الصفة هم فقراء من الصحابة أقاموا بجوار المسجد.



وَطَاعَة رَسُوله ﷺ بُدٌّ فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذن لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْت، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِه فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ»، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ[(١)].

٥- انشقاق القمر:

ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر، فقد سأل أهل مكة الرسول ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[(٢)]، وقد كان القمر عند انشقاقه بدرًا.

وقد سجل الله ذكر هذه الآية في كتابه فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[(٣)]. وقد أثبت العلم الحديث وجود خط يدل على أثر انشقاق في القمر قديمًا.

٦- حنين الجذع:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ[(٤)].

٧- تسليم الحجر:

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨٦٨)، مسلم (٢٨٠٢).

(٣) القمر: (١، ٢).

(٤) رواه البخاري (٩١٨).

(٥) رواه مسلم (٢٢٧٧).





٨- شفاء بعض أصحابه على يديه بإذن الله:

فعن يزيد بن أبي عبيد رضي الله عنه قال: رَأَيتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِم! مَا هَذه الضَّرْبَةُ، فَقَالَ: هَذه ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ، فَأَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ: فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ (١).

وكان أبو رافع اليهودي يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، فقتله عبد الله بن عتيك؛ إلا أنه في طريق عودته إلى النبي ﷺ كُسرت ساقه، فَانْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثَهُ فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ (٢).

وهذا عليٌّ رضي الله عنه يشتكي من عينيه فيجري الله تعالى معجزة حسية من جنس معجزات عيسى عليه السلام في إشفاء المرضى، حيث يبصق النبي ﷺ في عين علي رضي الله عنه فتبرأ بإذن الله.

ويروي لنا هذا سهل بن سعد رضي الله عنه فيقول: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيهِ» قال سعد رضي الله عنه: فبات الناس يدوكون ليلتهم كلهم يروجون أن يعطاها فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: يشتكي من عينيه، قال: «فَأَرسِلُوا إِلَيه فَأْتُونِي بِهِ» فلما جاء بصق في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع (٣).

٩- امتثال الجبل لأمر رسول الله ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ، فقَالَ: «اسْكُنْ أُحُدُ - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِه - فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ» (٤).

استجاب الجبل لأمر رسول الله ﷺ وصدقت نبوءته، فقد مات عمر وعثمان شهيدين.

١٠- بركة عصا النبى ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِى غَزَاة فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «جَابِرٌ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ»، قُلْتُ: أَبْطَأَ

(١) رواه البخاري (٤٢٠٦).

(٢) البخاري (٤٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٧٠١).

(٤) البخاري (٣٦٩٧).





عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ» فَرَكِبْتُ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أكفه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [(١)].

سبحان الله! الجمل المُجهد الضعيف البطيء، بعدما جذبه النبى ﷺ بعصاه، ترتد إليه العافية والقوة بقُدرة الله، ويُسرع حتى يكاد يسبق ناقة رسول الله ﷺ، وجابر هو الذى يجذبه ألا يفعل.

وبعد.. فلنجمع قلوبنا وعقولنا، ولنُنَقِّ صدورنا بعد هذا التطواف مع الإعجاز، مع الآيات، مع الرسالة، مع البلاغ، مع الجهاد، مع الرعاية، مع الاصطفاء، مع خليل الرحمن النبىّ المصطفى ﷺ لنعلم أنه مبعوث من الحق بالحق، لبلاغه وبيانه للبشر، بل للعالمين إنسهم وجنهم، فماذا ننتظر بعد؟!

❋ ❋ ❋

(١) رواه البخاري (٢٠٩٧).





الفصل الثامن
تبشير الكتب والأنبياء

• مقدمة:

الإسلام هو خاتم الرسالات؛ فهو الجامع لما قبله، الناسخ لما سبقه، الذي لا دين بعده فيه من الأخلاق ما يضمن صلاح العباد، ومن التشريعات ما يضمن صلاح الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(١).

والدين الذى يملك صفات الكمال لا تَنْقُصه شهادة تأتيه من خارجه، لكي تثبت صحة رسالته، وسلامة عقيدته، وصدق حامله للعالمين الرسول الكريم محمد ﷺ، الذى أخرج به الله تعالى الناس من الكفر والضلال إلى الإيمان بالله وحده، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد، ولا يعوزه شهادة تأتيه من خارج دينه، لكي تثبت أنه خاتم الأنبياء، أو أن رسالته هي آخر الرسالات.

إن رسول الله ﷺ الذى علَّم رجلاً بدويًا يئد البنات كعُمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حتى صار بعد الإسلام قائدًا للبشرية، وحاكمًا للعالم، ومن أعظم قادة التاريخ، لا يحتاج لمن يشهد له!

إن رسول الله ﷺ الذى أحيا الله تعالى به أُمةً بأكملها من موات الجهل والظلم والفوضى والوثنية، وحوَّلها من رعاة للغنم إلى قادة للأمم؛ لا يحتاج لمن يشهد له، كيف والله تعالى يقول: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(٢).

ويقول أيضًا: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

(١) آل عمران: (١٨- ١٩).

(٢) النساء: (١٦٦).

(٣) النحل: (٨٩).





فالنبي ﷺ الذي فتح الله سبحانه به عيونًا عميًا، وأسمع به آذانًا صمًّا، وشرح به قلوبًا غلفًا؛ لا يحتاج لمن يشهد له من خارج رسالته، أو من خارج الكتاب الذي أنزل إليه؛ إذ أن رسالة النبى محمد ﷺ ما كانت تستمد قوتها من شهادة السابقين، إنما كانت تستمدها من ذاتها، وتحمل في نفسها الشهادة بصدقها، والبيانات الناطقة بأنها الحق، وأنها من الله تعالى.

ونحن إذ نتحدث عن بعض البشارات التى وردت في التوراة والإنجيل تبشر بالنبي الكريم، فإنما يدفعنا إلى ذلك ما يلي:

الدافع الأول: أن ما جاء في الكتب السابقة من الإخبار عن النبي ﷺ ووصفه وهو في حد ذاته وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي جاء به نبينا محمد ﷺ حيث ذكر القرآن ذلك فقال تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾(١) وذلك على لسان عيسى عليه السلام، وقال تعالى: ﴿**النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾(٢).

أما الدافع الثاني: فإنه ينبع من حبنا الجم، وشوقنا الكبير لصاحب الرسالة العظمى ﷺ.

كيف لا وهو أستاذنا ومعلمنا وزعيمنا وقائدنا؟!

وهل أعطانا بشر مثلما أعطانا رسول الله ﷺ؟!

وهل لمخلوق على مخلوق فضل مثل فضل رسول الله ﷺ علينا؟!

فما لنا إذن لا نتلمس خطاه، ونقتفي أثره، وننقب عنه في كتب الأولين وفي كتب الآخرين؛ فتسعد بذكره قلوبنا، وتنشرح به صدورنا، وتقر به عيوننا.

وأما الدافع الثالث: فهو ما نصبو إليه من هداية الضالين، وتثبيت المتشككين، وإرشاد التائهين، من داخل هذا الدين ومن خارجه.

بهذه الدوافع نقف مع بعض البشارات التي وردت في كتب الأنبياء السابقة وعلى ألسنتهم عليهم السلام.

---

(١) الصف: ٦. (٢) الأعراف: ١٥٧.



■ **البشارة برسول الله ﷺ في العهد القديم (التوراة):**

لقد بشر الأنبياء السابقون عليهم السلام برسول الله ﷺ ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(١). إن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبيٍّ لئن بُعث محمد ﷺ في حياته ليؤمنن به ويترك شرعه لشرعه، وعلى ذلكم فإن ذكره موجود عند كل الأنبياء السابقين.

فهو دعوة إبراهيم ﷺ: وقد أخبرنا الله تعالى أن خليل الرحمن إبراهيم ﷺ وابنه إسماعيل ﷺ كانا يبنيان البيت الحرام ويدعوان، ومن دعائهما ما قصه القرآن في سورة البقرة، قال - عز وجل -: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

ولا تزال التوراة الموجودة اليوم - على الرغم من تحريفها - تحمل شيئًا من هذه البشارة فنجد فيها أن الله تعالى استجاب دعاء إبراهيم في إسماعيل عليهما السلام فقد ورد في التوراة في سفر التكوين في الإصحاح (١٧-٢): «وأما إسماعيل فقد سميت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًّا. اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة عظيمة كثيرة».

وهذا النص ورد في التوراة السامرية بألفاظ قريبة جدًّا والترجمة الحرفية للتوراة العبرانية لهذا النص: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأكثره بمأدمأد».

النص العبراني (مأدمأد) صريح في اسم الرسول ﷺ فالمترجمون ترجموه (جدًّا جدًّا أو كثيرًا كثيرًا)، والصواب هو: محمد، لأنها تلفظ بالعبراني (مؤدمؤد) واللفظ العبراني قريب من العربي.

وهو بشارة موسى ﷺ: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

---

(١) آل عمران: (٨١).

(٢) البقرة: (١٢٩).

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وقد بقى من هذه البشارة بقية في التوراة، ففي سفر التثنية الإصحاح (١٧-١٨-١٩) على لسان موسى: «قال لى الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطالبه».

والنص يصف كما ترون تبشير الله تعالى لموسى عليه السلام بنبي سوف يبعثه من وسط أخوة بني إسرائيل، وأن هذا النبي سيكون مثل موسى، ويخبر النص أيضًا: أن الذي لا يتبع هذا النبي ولا يسمع لكلامه؛ فإن الله تعالى سوف يعاقبه.

إن البشارة تشترط شرطين: الأول أن ذلك النبي من وسط إخوة بني إسرائيل، والثاني أنه مثل موسى.

والشرطان السابقان لا ينطبقان إلا على رسول الإسلام ﷺ؛ فهو من أبناء إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، وأبناء إسرائيل (يعقوب) هم أبناء إسحاق بن إبراهيم، لذلك فالنبى ﷺ من وسط أخوة بنى إسرائيل.

وكذلك فإن موسى ﷺ ومحمدًا ﷺ، كليهما كان صاحب شريعة جديدة، ورسالة مستقلة، وبذلك فإن شرط المثلية وقرب المكانة بين ذلك النبي وموسى عليهما السلام متحقق في النبي ﷺ؛ ولذلك ورد في القرآن في سورة الأحقاف: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢).

وهذان الشرطان لا ينطبقان على يوشع بن نون، ولا على المسيح عليه السلام، لأنهما كانا من بني إسرائيل وليسا من وسط إخوة بني إسرائيل، ولو كان المراد واحدًا منهما لقال الله: (أقيم لهم نبيًّا منهم)، بل لم يكن هناك داعٍ لتحديد من أين يخرج ذلك النبي؛ لأن خروجه من بني إسرائيل هو أمر مألوف لا يحتاج لتوضيح أو تحديد.

وكذلك وُلد كُل من موسى ومحمد عليهما السلام نتيجة لحمل طبيعي.

(١) الأعراف: (١٥٧).

(٢) الأحقاف: (٣٠).





وأيضًا جاء موسى عليه السلام من بيت اختص بالخدمة الدينية وهم بنو لاوي، وكذلك جاء محمد ﷺ من بيت اختص بالخدمة الدينية حيث كان بنو عبد مناف يقومون على الرفادة والسقاية.

وكذلك تزوج كل من موسى ومحمد عليهما السلام قبل تلقي الرسالة الإلهية وكانت له ذرية. كلاهما عدَّد زوجاته بعد الرسالة وتعرض بسبب ذلك للنقد والتجريح.

وكان كل من موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام رجل حرب.

والكتاب المقدس (١) نفسه ينفي أن بني إسرائيل قد قام فيهم نبي مثل موسى بعده؛ فقد جاء في سفر التثنية الإصحاح (٣٤-٥:١١): (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في أرض موات مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته. فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مواب ثلاثين يومًا فكملت أيام بكاء مناحة موسى. ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى. ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه).

فالكتاب المقدس يخبر كما هو واضح أن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام لم يخرج منهم نبي مثله، فكيف يدعي بعد ذلك أهل الكتاب أن النبي الذي وصفه الله تعالى بأنه مثل موسى عليه السلام قد خرج من بني إسرائيل؟!!

(وأجعل كلامي في فمه) ورسول الله ﷺ هو الذي جعل الله كلامه في فمه حيث كان أميًّا لا يقرأ من المصحف.

- الديار التي سكنها قيدار:

قيدار هو الجد الأكبر لقبائل مكة، وهو من أبناء إسماعيل عليه السلام كما تخبرنا المصادر التاريخية، وكما يخبرنا أيضًا الكتاب المقدس في سفر التكوين الإصحاح (٢٥-١٣): وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبائيل ومبسام.

---

(١) هذا باعتبار ما يطلقونه عليه، وإلا فهو من كتابات البشر، كما أقروا هم بذلك، فنحن ننقله كاسم علم عُرف به.

وقيدار بن إسماعيل ينسب له العرب المستعربة، والتي تسمى أيضًا بالعرب العدنانية نسبة إلى عدنان الذي انحدر من صلب قيدار بن إسماعيل عليه السلام.

وسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ هو من نسل قيدار.

والديار التي سكنها قيدار هي الديار التي سكنها إسماعيل، وهي الديار التي سكنها النبى ﷺ، وهي مكة المكرمة.

هذا هو قيدار بن إسماعيل الذي انحدرت منه القبائل التي سكنت مكة، ولا تزال تسكنها حتى الآن، ولكن ما هي سالع؟

- سالع هي جبل سلع بالمدينة المنورة، وهو جبل يقع غرب المسجد النبوي على بعد(٥٠٠ مترًا) تقريبًا من سوره الغربي، يبلغ عرضه ما بين (٣٠٠ـ ٨٠٠مترًا)، وارتفاعه(٨٠ مترًا)، ولهذا الجبل أهمية تاريخية؛ فلقد وقعت على سفوحه أو بالقرب منه عدة أحداث هامة أهمها غزوة الخندق التي تجمع فيها المشركون في جهته الغربية، وكان يفصل بينه وبينهم الخندق، وكان سفح جبل سلع مقر قيادة المسلمين إذ ضربت خيمة لرسول الله ﷺ ورابط عدد من الصحابة في مواقع مختلفة منه، عند قاعدة الجبل سكنت منذ العهد النبوي قبائل عدة، وفي العهد العثماني أقيمت على قمته عدة أبنية عسكرية ما زالت آثارها باقية حتى الآن، وفي عصرنا الحالي أحاط العمران بالجبل من كل ناحية وصار جزءًا من حدود المنطقة المركزية للمدينة المنورة.

- ولكن ماذا يقول الكتاب المقدس عن الديار التي سكنها قيدار وعن سالع؟

ورد في سفر أشعياء الإصحاح (٤٢-١ :١٧):

(٤٢-١): «هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم».

(٤٢-٢): «لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته».

(٤٢-٣): «قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفأ إلى الأمان يخرج الحق».

(٤٢-٤): «لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته».

(٤٢-٥): «هكذا يقول الله عز وجل الرب خالق السماوات وناشرها، باسط

الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة والساكنين عليها روحًا».

(٤٢-٦): «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم».

(٤٢-٧): «لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة».

(٤٢-٨): «أنا الرب هذا اسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحى للمنحوتات».

(٤٢-٩): «هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها».

(٤٢-١٠): «غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر- جمع جزيرة- وسكانها».

(٤٢-١١): «لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا».

(٤٢-١٢): «ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر».

(٤٢-١٣): «الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه».

(٤٢-١٤): «قد صمت منذ الدهر [1] سكت تجلدت كالوالدة أصيح أنفخ وأنخر معًا».

(٤٢-١٥): «أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسًا وأنشف الآجام».

(٤٢-١٦): «وأسير العمي في طريق لم يعرفوها في مسالك لم يدروها أمشيهم أجعل الظلمة أمامهم نورًا، والمعوجات مستقيمة هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم».

(٤٢-١٧): «قد ارتدوا إلى الوراء يخزي خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات - أنتن آلهتنا».

من هو عبد الله ومختاره الذى يتحدث عنه النص السابق؟!

---

(١) في النسخة الإنجليزية: (أمسكت سلامي منذ زمن طويل)، ويقول القاموس الإنجليزي للكتاب المقدس إنها مكتوبة في النسخة العبرية (شيلاميم)، ومن المعلوم أن حروف كلمة شيلاميم أو شالوم بالعبرية هي نفس الحروف التي تشتق منها كلمة الإسلام.

النص السابق لا يمكن أن ينطبق إلا على النبي ﷺ، فهو عبد الله ومختاره الذي أخرج الحق للأمم وانتظرت الجزر شريعته، ولم يكل ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض وأرشد الناس إلى جميع الحق، فهو صاحب الشريعة الكاملة التي أتمها الله عز وجل في عهده، ولم يقبضه إلا بعد اكتمالها (لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض)، ولذلك يقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾. والنبي ﷺ هو الذى أخرج الحق لكل الأمم فهو صاحب الرسالة العالمية لجميع أهل الأرض؛ ولذلك يقول الله تعالى للنبى في قرآنه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(١)].

ويقول أيضًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[(٢)].

وهو الذى عصمه الله عز وجل من المشركين حتى بلغ رسالته، وأدى أمانته (فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم)، ولذلك يقول الله عز وجل في قرآنه مخاطبًا نبيه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[(٣)].

والنبى ﷺ هو الذي أخرج الناس من ظلمة الشرك وعبادة الأصنام والمنحوتات إلى عبادة الله الواحد، (أنا الرب هذا اسمى ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات).

والنص السابق لا ينطبق على المسيح عليه السلام الذي لم يدَّعِ أنه قد أخرج كل الحق للأمم؛ بل قال قبل رحيله: «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم لكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق»، كما ورد في إنجيل يوحنا. كما أن المسيح أخبرنا أنه لم يأت إلا لهداية بني إسرائيل كما جاء في إنجيل متى: (لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة).

وكلمة: (وضعت روحي عليه) تعني النصرة والتأييد من الله عز وجل، وهي عامة لجميع الأنبياء، ولا يختص بها المسيح من دونهم، ومثال ذلك ما جاء في الكتاب المقدس: (وكان روح الله على عزريا بن عوديد)، وأيضًا ما جاء في الكتاب المقدس في سفر العدد: (يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا وضع الله روحه عليهم).

ومن المعلوم أيضًا أن دعوة المسيح عليه السلام لم تظهر في الديار التى سكنها قيدار

---

(١) الأعراف: (١٥٨). (٢) الأنبياء: (١٠٧). (٣) المائدة: (٦٧).



وهي مكة!! ولا رفعت بها الصحراء صوتها!! كما أنها قد ظهرت في بني إسرائيل، وهي أمة كتابية ليست من عبدة الأصنام مثل أهل مكة الذين بعث فيهم النبي ﷺ؛ بل إن المسيح عليه السلام قد بعث في بني إسرائيل في وقت كانوا قد تخلصوا فيه من الوثنية وعبادة الأصنام تمامًا. ولو افترضنا أن النص يتحدث عن المسيح عليه السلام؛ فهو بذلك يثبت أن المسيح هو عبد لله، وليس ابنًا له أو شريكًا معه في الألوهية (هو ذا عبدي الذي أعضده).

والمفاجأة التي وجدناها في النص عند قراءته في النسخة الإنجليزية - وما أكثر المفاجآت عند مقارنة النسخة العربية بالنسخة الإنجليزية - هي أن كلمة (الأمم) الواردة في النص ليست ترجمة لكلمة "Nations" كما هو متوقع، ولكن الكلمة الواردة في النسخة الإنجليزية "Gentiles"، وتترجم بالعربية إلى الأميين.

ويقول قاموس الكتاب المقدس عن هذا اللفظ: إن اليهود يستخدمونه على الأمم الأخرى من غيرهم، فهم يعتبرون أنفسهم حملة الرسالات وشعب الله المختار.

ويقول أيضًا: إن اليهود يستخدمونه كمصطلح لاحتقار الأمم الأخرى من غير اليهود باعتبارها أمم وثنية، وبالطبع يرفض النصارى هذا التقسيم باعتبارهم أيضًا من أهل الكتاب.

وهذا هو الحق عند المسلمين وهو أن هذا اللفظ كان يستخدم لوصف الأمم من غير أهل الكتاب قبل ظهور الإسلام كما يخبرنا القرآن الكريم:

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾ (١).

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (٢).

وهم الذين بعث فيهم النبي ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٣).

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ (٤).

---

(١) آل عمران: (٢٠). (٢) آل عمران: (٧٥).
(٣) الجمعة: (٢). (٤) الأعراف: (١٥٧).





﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

والصفات السابقة هى تقريبًا نفس الصفات التي وردت في النص الذى رواه عَطَاءُ ابْنُ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ وَاللَّهِ! إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظ وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا»(٢).

- ما هي التسبيحة الجديدة التي من أقصى الأرض؟

إنها إعلان برسالة جديدة، وكلمة من أقصى الأرض تشير إلى المشرق الأقصى، إذ إن أقصى القدس جزيرة العرب، وأقصى جزيرة العرب القدس، لذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾(٣).

ما هي البرية ومدنها، وما هي الديار التى سكنها قيدار، ومن هم سكان سالع؟

البرية هي الصحراء، والديار التي سكنها قيدار هي مكة، وسكان سالع هم سكان جبل سلع بالمدينة المنورة «لتترنم سكان سالع من رءوس الجبال».

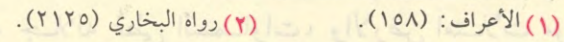
من هم العمي الذين ساروا في طريق لم يعرفوها، وكان الله معهم ولم يتركهم؟

إنهم المؤمنون بالدين الجديد، ومتبعوا الرسالة، الذين أبصروا في نور الإسلام، بعد أن كانوا عميًا في الجاهلية التي زاغوا فيها عن التوحيد، وارتدوا فيها إلى الوراء، وعبدوا المنحوتات، وقالوا للمسبوكات: أنتن آلهتنا.

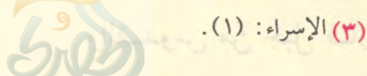
وكيف ترفع البرية صوتها، وتخبر بالتسبيح في الجزائر؟ إنما يكون ذلك برفع الأذان، والنداء - الله أكبر الله أكبر- يسمعها سكان الصحراء وما حولها.

ما المقصود بقوله: «الرب كالجبار يخرج كرجل حروب؟».

إنها عشرات الحروب التي تم خوضها لإخراج الناس من الكفر إلى الإسلام،



(١) الأعراف: (١٥٨). (٢) رواه البخاري (٢١٢٥). (٣) الإسراء: (١).



وليس أدل على ذلك من أن صاحب الرسالة قد وصل عدد الغزوات التي خرج إليها بنفسه ﷺ سبعًا وعشرين غزوة في سبع سنوات فقط من أجل نشر التوحيد وإعلاء الحق في الأرض.

وماذا يكون شيلاميم الذي أمسكه الله تعالى منذ زمن طويل؟

إنه دين التوحيد - الإسلام - الذي بعث الله تعالى به جميع الأنبياء إلى البشر، فزاغوا عنه، وأشركوا مع الله آلهة أخرى؛ فكان لابد من بعثه ونشره مرة أخرى بعد ضلال الناس عنه، وانقطاعه من على الأرض زمنًا طويلاً!!. وحمل الكلمة على (الإسلام) هو الأظهر للنص، والأوضح للمعنى، ولا يستقيم السياق إلا به؛ فالله تعالى يقول: أمسكت الإسلام منذ زمن طويل وغاب التوحيد عن الأرض، لذلك سأخوض الحروب وأخرب الجبال والآكام من أجل إظهاره مرة أخرى، وأما حملها على (السلام) فإنه يكون مناقضًا للمعنى، ومخالفًا للنص؛ فكيف يقول الله تعالى إذن أمسكت السلام منذ زمن طويل لذلك سأخوض الحروب وأخرب الجبال والآكام؟!!

وإلا فمن الذي قد أخرج الحق للأمم وانتظرت الجزر شريعته، وحفظه الله تعالى وعصَمَهُ من الناس حتى وضع الحق في الأرض، وقضى على عبادة الأصنام والمنحوتات وجعله الله تعالى نورًا للأميين وخرجت دعوته من الصحراء، في الديار التي سكنها قيدار وهي مكة، ورفعت بها الصحراء صوتها، وهتف بها من الجبال سكان سالع بالمدينة بعد أن عبدوا الأصنام والمنحوتات، واشتهر بكثرة حروبه وغزواته غير النبي محمد ﷺ؟!

وقبيل وفاة موسى عليه السلام ساق خبرًا مباركًا لقومه بني إسرائيل، فقد جاء في سفر التثنية (٣٣-١ :٣): «هذه البركة التي بارك بها موسى رجل اللّه بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة، فأحب الشعب، جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».

وأكد هذه النبوءة النبي حبقوق، حيث يقول (٣- ٣:٦): (اللّه جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سلاه، جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من



تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبأ، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم...».

وقبل أن نمضي في تحليل النص نتوقف مع الاختلاف الكبير الذي تعرض له هذا النص في الترجمات المختلفة:

فقد جاء في الترجمة السبعينية: «واستعلن من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه، فوهب لهم وأحبهم، ورحم شعبهم، وباركهم وبارك على أظهاره، وهم يدركون آثار رجليك، ويقبلون من كلماتك. أسلم لنا موسى مثله، وأعطاهم ميراثًا لجماعة يعقوب».

وفي ترجمة الآباء اليسوعيين: «وتجلى من جبل فاران، وأتى من رُبى القدس، وعن يمينه قبس شريعة لهم».

وفي ترجمة ١٦٢٢م: «شرف من جبل فاران، وجاء مع ربوات القدس، من يمينه الشريعة»، ومعنى (ربوات القدس) أي: ألوف القديسين الأطهار.

كما في ترجمة ١٨٤١م: «واستعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سنة من نار».

واستخدام ربوات بمعنى ألوف أو الجماعات الكثيرة معهود في الكتاب المقدس: «ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه»(١)، ومثله قوله: «كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل»(٢)، فالربوات القادمين من فاران هم الجماعات الكثيرة من القديسين، الآتين مع قدوسهم الذي تلألأ في فاران.

والنص التوراتي يتحدث عن ثلاثة أماكن تقع منها البركة:

أولها: جبل سيناء حيث كلم الله عز وجل موسى.

وثانيها: ساعير، وهو جبل يقع في أرض يهوذا (٣).

وثالثها: هو جبل فاران وتنبئ المواضع التي ورد فيها ذكر (فاران) في الكتاب المقدس أنها تقع في صحراء فلسطين في جنوبها لكن تذكر التوراة أيضًا أن إسماعيل

---

(١) سفر دانيال (٧-١٠).

(٢) سفر العدد (٣٦-١٠)

(٣) سفر يشوع (١٥-١٠).





قد نشأ في برية فاران(١)، ومن المعلوم تاريخيًّا أنه نشأ في مكة المكرمة في الحجاز.

ويرى اليهود والنصارى في هذا النص أنه يتحدث عن أمر قد مضى يخص بني إسرائيل، وأنه يتحدث عن إضاءة مجد الله عز وجل وامتداده لمسافات بعيدة شملت فاران وسعير وسيناء.

ويرى المسلمون أن النص نبوءة عن ظهور عيسى عليه السلام في سعير في فلسطين، ثم محمد ﷺ في جبل فاران، حيث يأتي ومعه الآلاف من الأطهار مؤيدين بالشريعة من الله عز وجل وذلك متحقق في رسول الله ﷺ لأمور:

أولاً: أن جبل فاران هو جبل مكة، حيث سكن إسماعيل، تقول التوراة عن إسماعيل: «كان اللّه مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر»(٢).

وقد انتشر أبناؤه في هذه المنطقة، فتقول التوراة: «هؤلاء هم بنو إسماعيل... وسكنوا من حويلة إلى شور»(٣)، وحويلة كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقة في أرض اليمن، بينما شور في جنوب فلسطين. وعليه فإن إسماعيل عليه السلام وأبناءه سكنوا هذه البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله، وهو يشمل أرض فاران التى سكنها إسماعيل.

ثانيًا: أن وجود منطقة اسمها فاران في جنوب فلسطين لا يمنع من وجود فاران أخرى هى تلك التى سكنها إسماعيل عليه السلام، وقامت الأدلة التاريخية على أنها الحجاز، حيث بنى إسماعيل وأبوه عليهما السلام الكعبة. وحيث تفجر زمزم تحت قدميه، وهو ما اعترف به عدد من المؤرخين منهم المؤرخ (جيروم) واللاهوتي (يوسبيوس) فقالا بأن فاران هي مكة.

ثالثًا: لا يقبل قول القائل بأن النص يحكي عن أمر ماضٍ، إذ التعبير عن الأمور المستقبلة بصيغة الماضي معهود في لغة الكتاب المقدس يقول (اسبينوزا): أقدم الكُتّاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر، وعلى الماضي بلا تميز كما استعملوا

---

(١) سفر التكوين (٢١-٢١).

(٢) سفر التكوين (٢١-٢٠: ٢١).

(٣) سفر التكوين (٢٣-١٦: ١٨).





الماضي للدلالة على المستقبل؛ فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات.

رابعًا: نسأل فنقول: لِمَ خص جبل فاران بالذكر دون سائر الجبال لو كان الأمر مجرد إشارة إلى انتشار مجد الله؟

خامسًا: ومما يؤكد أن الأمر متعلق بنبوءة الحديث عن آلاف القديسين، والذين تسميهم بعض التراجم (أطهار الملائكة) أي: أطهار الأتباع، إذ يطلق هذا اللفظ ويراد به: الأتباع، كما جاء في سفر الرؤيا (١٢-١٧) أن: ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، «وحارب التنينُ وملائكتُه» فمتى شهدت فاران مثل هذه الألوف من الأطهار؟ فما ذلك إلا محمد وأصحابه.

سادسًا: وما جاء في سفر حبقوق (٣-٣:٦) يؤيد قول المسلمين حيث يقول: «اللَّه جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سلاه، جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبأ، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم، . . . .» فالنص شاهد على أنه ثمة نبوة قاهرة تلمع كالنور، ويملأ الآفاق دوي أذان هذا النبي بالتسبيح (وتيمان) كما يذكر محررو الكتاب المقدس هي كلمة عبرية معناها: (الجنوب) ومن هذا كله فالقدوس المتلألئ في جبال فاران هو نبي الإسلام، فكل الصفات المذكورة لنبي فاران متحققة فيه، ولا تتحقق في سواه من الأنبياء الكرام.

النبي حبقوق (٣-٢) يقول: «يا رب قد سمعت خبرك فجزعت: اللَّه جاء من تيمان. والقدوس من جبل فاران» وسبب جزع النبي اليهودي أنه علم أن خاتم الأنبياء سوف يأتي من نسل إسماعيل (القدوس) من جبل فاران؛ لأن (فاران) هي أول أرض سكنها إسماعيل(١) و(تيمان) هي أرض ابن إسماعيل(٢) أو هي نسله فلما علم النبي اليهودي بأن خاتم الأنبياء وخاتم الرسالات يكونان من نسل إسماعيل عليه السلام جزع خوفًا على اليهود وحزنًا؛ لأن النبي الخاتم ليس منهم.

---

(١) سفر التكوين (٢١-٢١).

(٢) سفر التكوين (٢٥-١٣).



• للذي ببكة مباركًا:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١)، الآية تتحدث عن بيت الله، وتتحدث عن بكة كمكان لبيت الله، الذي أمر الله الناس أن تحج إليه.

فهل ورد في الكتاب المقدس نص يتحدث عن بيت لله ببكة، يحج الناس إليه؟

ورد في (المزمور) (٨٤-٤): «طوبى للساكنين في بيتك أبدًا يسبحونك، سلاه - سلاه» كلمة تتكرر كثيرًا في الكتاب المقدس ويقول قاموس الكتاب المقدس: إنها تعني صمت أو فترة توقف أو فاصل.

(٨٤-٥): «طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم».

(٨٤-٦): «عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعًا أيضًا ببركات يغطون مورة».

(٨٤-٧): «يذهبون من قوة إلى قوة يرون قدام اللَّه في صهيون».

ولكن ما علاقة (وادي البكاء) الذى ورد في النص ببكة؟!

وإذا كان الله تعالى يقول: يرون قدام الله في صهيون، فما علاقة (صهيون) بالبيت الحرام الموجود في بكة؟!

أما وادي البكاء وعلاقته ببكة: فإن وادي البكاء في النسخة الإنجليزية لنفس النص مكتوبة (وادي بكة) وليس وادي البكاء كما هو في النص العربي، ونلاحظ أنها تبدأ بحرف (بي) كابتال (B)، مما يدل على أنه اسم لعلم لا يمكن ترجمته.

وأما كلمة صهيون: فمعناها الأصلى المكان المقدس، أو المجتمع الديني الخالص، كما ورد في القاموس الإنجليزى للكتاب المقدس. والنص كما ورد في النسخة الإنجليزية هو هكذا:

Blessed are they that dwell in thy house .they will be still praising thee blessed is the man whose strength is in thee in whose heart are ways of them who passing through the valley of Bacamake it awell The rain also filleth the pools they go from strength to strength every one of them in Zion appeareth before God".

---

(١) آل عمران: (٩٦، ٩٧).



وبذلك فإن الترجمة الصحيحة للنص الإنجليزى هي كما يأتي: (طوبى للساكنين في بيتك أبدًا يسبحونك، طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم عابرين في واد بكة يصيرونه ينبوعًا، المطر أيضًا يغطيه بالبركات، يذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في الأرض المقدسة).

وبالمناسبة فإن قاموس الكتاب المقدس لم يستطع تحديد أين توجد بكة!!، وكل ما قاله عن موقعها: (ربما)! يكون هذا مكان يمر به الحجاج!!

فهل هناك بكة غير التي يحج إليها المسلمون؟! ولو كان هناك بكة غيرها، فهل ادعى أحد أن بها بيت الله الذي يحج إليه الناس؟!!

■ البشارة بالنبي محمد ﷺ في العهد الجديد (الإنجيل):

فهو بشارة عيسى عليه السلام: أخبرنا الله تعالى أن عيسى عليه السلام بشر برسولنا محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(١).

- بشارات من الإنجيل:

وفي إنجيل يوحنا (١٤-١٥): «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

وفي اللغات الأجنبية: «فيعطيكم باركليتوس ليمكث معكم إلى الأبد والمعنى الحرفي لكلمة (باركليتوس) اليونانية هو أحمد وهو من أسماء الرسول ﷺ(٢).

وورد في إنجيل يوحنا الإصحاح (١٦-٧:١٣) على لسان المسيح عليه السلام وهو يخاطب تلاميذه قبل أن يرحل: «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي». ثم يواصل المسيح عليه السلام الحديث عن ذلك المعزى قائلاً: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية).

---

(١) الصف: (٦).

(٢) انظر: (نبي أرض الجنوب) - للعميد م. جمال الدين شرقاوي، بحث حول كلمة (بارقليط).





فهو ذا المسيح عليه السلام يخبر تلاميذه قبل أن يرحل مباشرة بأنه لم يقل لهم كل شيء، وأن الذي منعه من ذلك أنهم لا يستطيعون احتمال هذه الأمور في هذا الوقت، وهذا إعلان صريح من المسيح عليه السلام بأن الشريعة لم تكتمل بعد، وأن ذلك المعزي هو الذى سيكملها من بعده عليه السلام، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق. فمن هو هذا المعزي أو روح الحق الذي بشر به المسيح عليه السلام؟

إن المسيح يقول: «إن ذلك المعزي أو روح الحق لا يأتي إلا بعد ذهابه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي».

والمسيح عليه السلام يقر بأن ذلك المعزي هو خير منه، ولذلك قال لتلاميذه: (خير لكم أن أنطلق)، وكلمة (خير) بمعنى أفضل. والمسيح يقول أيضًا عن هذا المعزي: إنه (يخبركم بأمور آتية).

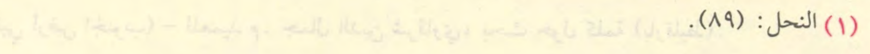
وهذه الصفات تنطبق على النبي ﷺ، فلقد أخبرنا بأمور غيبية كثيرة، سواء عن الدنيا وما سيحدث فيها بعد وفاته، أو عن الآخرة وما بها من بعث وحساب وجنة ونار.

ويقول المسيح عليه السلام عن ذلك المعزي أيضًا: (يرشدكم إلى جميع الحق) وهذا لا ينطبق إلا على رسول الإسلام ﷺ، فهو الذي أرشد الناس إلى جميع الحق؛ فعرَّف الناس بربهم الواحد، وأزال الأوهام التي استعبدت عقول الناس من عبادة غير الله تارة، والإشراك به تارة أخرى.

وعلَّم الإنسان غاية وجوده ودوره في الحياة، وبيَّن العلاقة السليمة بين المخلوق وخالقه، وبين الناس بعضهم بعضًا، ووضَّح أصول التشريعات التى فرضها الله عز وجل لعبيده ليَصلُح بها بنو البشر ويستقيم بها أمرهم في كل زمان ومكان؛ ولذلك يخاطب الله نبيه ﷺ في قرآنه قائلاً: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

والمسيح عليه السلام يقول: «لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به»،

(١) النحل: (٨٩).





وهذا ينطبق على الرسول الكريم ﷺ الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١).

من هو إذن ذلك المعزي الذي بشر به المسيح عليه السلام وهل أتى نبي بعد المسيح إلا محمد ﷺ ؟!

فتعين أن يكون ذلك المعزي أو روح الحق تبشيرًا بمحمد ﷺ ؛ إذ فيه تجتمع كل الأوصاف كما يتحقق فيه معنى الأفضلية؛ إذ هو خاتم النبيين الذي جاء بشريعة عامة خالدة.

وإذا كان المقصود بالمُعزي أنه روح - كما زعم البعض - وليس بشرًا؛ فلماذا اشترط المسيح إتيانها برحيله؟!

وهل هذه الروح أفضل عندهم من المسيح عليه السلام حتى يقول: من الخير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى؟!

وهل هذه الروح تتكلم بما تسمع ولا تتكلم من نفسها؟! وهل تخبر بأمور آتية؟! وكيف تكون الروح القدس لا تتكلم من نفسها، بل تحتاج إلى أن تسمع ما ستتكلم به؟!، أليست إلها كما يدَّعون؟!، كيف يكون إلهًا مَن لا يتكلم من نفسه؟!!.

إننا - نحن المسلمين - نزعم أن المسيح عليه السلام بقوله: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول، لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق هو يرشدكم إلى جميع الحق) إنما يقصد بذلك أنهم غير مهيئين لتلقي جميع الحق واحتمال التشريع الكامل، وأن النبي الذي سيبعث بعده سوف يقوم بتلك المهمة عندما يكون العقل البشري أكثر نضجًا، والبشرية مهيأة لتلقي تعاليم الشريعة الجامعة.

وزعم البعض أن الروح القدس قد جاءت وحلّت في تلاميذ المسيح بعد عشرة أيام من رحيله، فهل كانت هذه مدة كافية حتى يتهيؤوا للأمور التي كان يريد المسيح أن يخبرهم بها ولكن منعه من قولها عدم قدرتهم على احتمالها قبل عشرة أيام؟!!

كما أن الروح القدس التي يدعون أنها المقصودة بالمعزى كانت موجودة قبل أن يرحل المسيح تساعده وتؤيده؟ فلماذا يقول المسيح إذن إن لم أنطلق لا يأتيكم؟!!

هل هناك أدنى شك الآن أن الذى يتحدث عنه المسيح بشرٌ وليس روحًا؟!

---

(١) النجم: (٣ ، ٤).





وإذا كان بشرًا فمن يكون غير محمد ﷺ الذي جاء بعد عيسى عليه السلام ولم يأت بعده نبي غيره!!

والمعلوم أن كلمة الفارقليط هي أصل كلمة المعزى، ولو فتحنا أي قاموس للكتاب المقدس لوجدنا كلمة الفارقليط هي الأصل؛ ففيم الخلاف إذن؟!

والمعلوم أيضًا أن كلمة الفارقليط مشتقة من أحد كلمتين يونانيتين وهما بيركليتوس وباراكليتوس. الكلمة الأولى معناها الذي يحمد أو محمد أو أحمد، والثانية معناها المعزى كما ورد في النص.

وبعيدًا عن الخلاف بين الباراكليتوس والبيركليتوس!!، فإنه يكفينا ما أثبتناه، وهو تبشير المسيح عليه السلام برسول سوف يأتى من بعده، وهو لن يكون أي واحد سوى رسول الإسلام ﷺ.

وإذا كان النبى ﷺ يقول عن نفسه: «أَنَا خَاتَمُ النبِيِّينَ» [(١)]، ويقول: **«لاَ نَبِي بَعْدِي»** [(٢)]، ويقول الله تعالى عنه في قرآنه: ﴿**وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [(٣)]؛ فهل أخبر المسيح عليه السلام عن نفسه أنه قد ختم النبوة؟!

وما جاء في إنجيل متى (٧-١٥): «احترزوا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل يجنى من الشوك عنب أو من العليق تين؟ هكذا كل شجرة جيدة تثمر ثمرًا جيدًا، أما الشجرة الرديئة فإنها تثمر ثمرًا رديئًا، لا يمكن أن تثمر الشجرة الجيدة ثمرًا رديئًا، ولا الشجرة الرديئة ثمرًا جيدًا، وكل شجرة لا تثمر ثمرًا جيدًا تقطع وتطرح في النار، إذن من ثمارهم تعرفونهم».

والمسيح عليه السلام بهذه الكلمات الرائعة يبين لتلاميذه كيف يفرق بين النبي الصادق والنبي الكاذب، ومجرد وضع ذلك المقياس بين النبي الصادق والنبي الكاذب يعتبر دليلاً على إمكانية بعث نبي آخر بعد المسيح عليه السلام، ولو كان المسيح هو آخر الأنبياء لكفاه أن يقول: أنا آخر الأنبياء فلا تتبعوا أحدًا يأتي بعدي.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦ - ٢٢٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، أحمد (٥/ ٣٩٦ - ٢٣٤٠٦) عن ثوبان رضي الله عنه، انظر: صحيح الجامع للألباني (٧٤١٨).

(٣) الأحزاب: (٤٠).



وانظروا إلى الثمرة التي أخرجها محمد ﷺ، لقد أخرج أجيالاً تعبد الله وتوحده، وتسبح بحمده، وتحترم وصاياه، وتؤمن بكتبه، وتوقر جميع أنبيائه وتعلي من قدرهم.

أخرج محمد ﷺ أجيالاً تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتحل الحلال، وتحرم الحرام، وتنهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

فها هم المسلمون يزيدون على ألف مليون من البشر؛ هم أقل أهل الأرض ارتكابًا للزني الذى قبحه الله تعالى، وأقل أهلها شربًا للخمر الذى نهى عنه الله تعالى وجاء بهذا النبي محمد والمسيح عليهما السلام، وأكثر أهل الأرض اتباعًا لوصايا الله عز وجل ثم محمد والمسيح عليهما السلام!!

وهذا أمر لا ينكره إلا جاحد، ولا يستغربه إلا حاقد. وذاك هو حالهم في وقت ضعفهم وذلتهم، فما بالكم بهم في عهد عزهم وقوتهم؟!! تلك هي الثمرة!!

• أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين:

يقول الرسول ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون بالبيت ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللَّبِنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(١). هذا الحديث يجعل النبي في ختامه للرسالات ومكانته بين الأنبياء مثل حجر الزاوية أو اللبنة الأساسية التي لا يكتمل البناء ولا يتم حسنه وجماله إلا بها..

• ما الذي يقوله الكتاب المقدس عن هذه اللبنة أو حجر الزاوية؟

ورد في إنجيل متى الإصحاح (٢١- ٤٢:٤٣): «قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت اللَّه ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه).

وهذه الكلمات قالها المسيح عليه السلام لجماعة من اليهود بعدما وبخهم على قتل الأنبياء عليهم السلام، وإنكار الرسالات..



---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦ - ٢٢٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والنص يوضح إخبار المسيح عليه السلام لليهود باستبدال الله بهم أمة أخرى تحل محلهم في القيام بأمر الدين وأداء رسالته «لذلك أقول لكم، إن ملكوت اللّه ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره».. ويخبرهم المسيح عليه السلام أيضًا عن ذلك الحجر الذي سيصير رأس الزاوية «الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية».

ويواصل المسيح عليه السلام كلامه عن ذلك الحجر الذي سيصير رأس الزاوية فيقول: «ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه»، واستخدام لفظي (يترضض) و(يسحقه) يؤكد أن الكلام يشير إلى النبي ﷺ الذي أيده الله بالقوة المادية وخاض العديد من الحروب حتى أظهر الله تعالى به الدين وسحق به كل أعدائه..

ولا يمكن حمل هذا الكلام على المسيح وأمته؛ لأن المسيح نفسه من أمة بني إسرائيل، كما أن المسيح عليه السلام يقول: (وهو عجيب في أعيننا)، مما يدل على أنه يتكلم عن شخص آخر غيره.

فمن هو المقصود إذن بحجر الزاوية غير محمد ﷺ الذي قال عن نفسه: «أَنَا اللَّبِنَةَ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيينَ».

وما هي الأمة الأخرى التى أعطاها الله ملكوته بعد أن نزعه من بني إسرائيل سوى أمة محمد ﷺ ؟!!

وجاءت البشارة بمحمد ﷺ في الأناجيل أوضح إشارة منها في التوراة ولنضرب بذلك بعض الأمثال:

جاء في الإصحاح (٢٣) من إنجيل متى على لسان المسيح يخاطب بني إسرائيل: «هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» فهو يدل على أن هناك من يأتي بعده مباركًا باسم الرب، ولم يأت بعده إلا محمد ﷺ.

وفي الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا مع الكهنة في اللاويين إذ سألوه: «من أنت؟ فاعترف ولم ينكر قال: إنى لست أنا المسيح، إذًا ماذا، أأنت إيليا؟ فقال: لا، قالوا:

أأنت النبي؟ فأجاب: لا، فقالوا له: من أنت لنعطي جوابًا لمن أرسلونا، ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية».

فهل يعني ذلك إلا أنه نبوءة عن نبي سيأتي فيما بعد؟ فمن يكون هذا النبي غير محمد ﷺ.

• فلنولينك قبلة ترضاها:

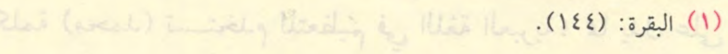
يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(1).

وهناك نصوص موجودة للآن بين نصوص الكتاب المقدس تحتوي على صفات لشخص يأتي بعد المسيح، وتلك الصفات لم تخص أحدًا من العالمين سوى النبى ﷺ.

منها ما جاء في رؤيا يوحنا (١٩-١:١٦): «فخررت أمام رجليه لأسجد له فقال لى: انظر لا تفعل أنا عبد معك ومع أخوتك الذين عندهم شهادة يسوع، اسجد لله فإن شهادة يسوع هي روح النبوة، (ثم) رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا!! وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه لهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو وهو متسربل بقميص مغموس بدم، ويدعى اسمه كلمة اللّه، والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزًّا أبيضا ونقيًا ومن فمه يخرج سيف ماضٍ ليضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب اللّه القادر على كل شيء وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب».

فهل يكون ذلك من قبيل المصادفة أيضًا أن يكون ذلك الذي رآه يوحنا في الرؤيا يلقب بالصادق الأمين!!

ويجلس على فرس أبيض!! وبالعدل يحكم ويحارب!!.. والنص يوضح أن الصادق الأمين ليس مجرد صفة وإنما لقب يدعى به (والجالس عليه يدعى صادقًا وأمينًا).



(١) البقرة: (١٤٤).

وهل من قبيل المصادفة أيضًا أن من صفاته السيف الذي سيضرب به الأمم المتمردة على ربها ويرعاها بعصا من حديد؟!

وأما اسمه الذي لا يعرفه غيره؛ فلأنه ليس من قومهم، ولا لغته هي لغتهم، وأحسب أن المقصود بالتيجان الكثيرة هو ميراثه لأمم الأرض، واستعلاؤه عليها جميعًا، وكذلك المقصود بملك الملوك ورب الأرباب هنا هو إشارة إلى امتداد ملكه وعظمة حكمه، فالأرض لم تشهد قط حاكمًا في عظمة نبى الإسلام ﷺ كما أنها إشارة إلى أنه سيكون النبي الخاتم إمام الأنبياء جميعًا، ولا يمكن أن تشير إلى الله نفسه؛ لأن الكلام من البداية عن شخص يركب فرسًا أبيض، ويُدْعَى صادقًا وأمينًا، وأنه سيحارب ويحاكم بالعدل، وسوف يكون وسيلة الله للتعبير عن سخطه وغضبه على الأمم (وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب اللَّه القادر على كل شيء).

وليخبرنا من عنده علم الكتاب عن شخص أتى بعد المسيح عليه السلام أو حتى قبله كان يلقب بالصادق الأمين، واجتمعت له صفات الحق والعدل، ومحاربة الأمم المتمردة على ربها - غير رسول الإسلام ﷺ !!

ومن بعض الصفات التى وردت في الكتاب المقدس أيضًا والتى تنطبق على الرسول ﷺ ما جاء في سفر نشيد الإنشاد (٥:٩) حيث تصف أنثى لصاحباتها أوصاف من تحبه، وتستفيض في شرح هذه الصفات الذي لا ينطبق الكثير منها إلا على النبى ﷺ ، وهي مما وصف به في كتب الحديث مثل صحيح البخاري وغيره فتقول: (حبيبي أبيض وأحمر معلم بين ربوة - عشرة آلاف في النسخة الإنجليزية - رأسه ذهب إبريز قصصه مسترسلة حالكة كالغراب، يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق، حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبي، وهذا خليلي يا بنات أورشليم).

والملفت للنظر هنا ليس فقط تلك الصفات الواردة في النص، والتي وردت أيضًا في كتب الحديث في وصف الرسول ﷺ ، ولكن الملفت للنظر أيضًا هو أن كلمة (كله مشتهيات)، والتي جاءت قبل عبارة (هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي)، والتي يتوقع أن يذكر اسم الشخص المقصود قبلها - هى في النسخة العبرية (محمديم)، وتلك الزيادة المضافة لكلمة (محمد) تستخدم للتعظيم في اللغة العبرية؛ مما يدل على

أن المقصود اسم وليس صفة. . والجملة كما وردت في النسخة الإنجليزية هكذا:

He is (altogether lovely) (machmadim) this is my beloved and this is my friend o daughters of Jerusalem .

وكلمة (machmad) في العبرية بدون الزيادة التي تستخدم للتعظيم (im) تتألف من حروف ميم حيت ميم داليت، وهي نفس الحروف التي تكون كلمة (محمد) في العربية، وتترجم إلى الحمد أحيانًا، وإلى الاشتهاء كما جاءت في النص أحيانًا، وإلى معان قريبة من ذلك أحيانًا أخرى، إلا أن زيادة التعظيم كما قلنا وموضع الكلمة من الكلام يؤكد أنها اسم لشخص وليست صفة. . وهل الأنسب أن يقال: (إنه المشتهى العظيم هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي) أم أن يقال (إنه محمد العظيم هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي)؟!!

فهل ذلك من المصادفة أيضًا أن تأتي كلمة محمديم تحديدًا في الموضع الذي يتوقع ذكر اسم الشخص المقصود فيه؟!!

ومن النصوص التي لا تزال توجد للآن في الكتاب المقدس وذكر بها اسم النبي ﷺ صريحًا هو ما ورد في سفر حجى (٢-٦:٩): «لأنه هكذا قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجدًا قال رب الجنود، لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود، مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطى السلام قال رب الجنود».

وكلمة مشتهى التي وردت في النص هي ترجمة لكلمة (HEMDA) حمدًا في العبرية، وحروفها أيضًا هي نفس الحروف التي يشتق منه اسم النبي ﷺ بالعربية؛ والعجيب أن النصارى قالوا: إن (HEMDA) هو المسيح عليه السلام وليس محمد ﷺ !!

وأحسب أن أي منصف عندما يقرأ النص السابق لن يجادل في أن البيت المذكور بالنص هو البيت الحرام بمكة وأن السلام الذي ملأ البيت هو الإسلام وأن (HEMDA) ليس أي واحد سوى محمد ﷺ.

ولست أدري من أجل من يعبث بآيات الله عز وجل وكتبه هكذا!!

من أجل من يترجم الإسلام إلى السلام والسلامة، ومحمديم وحمدا إلى المشتهى، والأميين إلى الأمم، وبكة إلى البكاء ؟!!

أمن أجل الله عز وجل؟!

أم محمد ﷺ؟!!.. أم المسيح عليه السلام؟!!!

فليفرح إبليس اللعين إذن، وليسعد قلبه؛ فمن أجل عيونه يعصى الله، وتبدل كتبه، ويكذب رسله!!

وليهنأ الحقد والهوى، وليهنأ التعصب الأعمى؛ فمن أجله تشترى الدنيا بالآخرة، والعذاب بالمغفرة، ونيران الجحيم بجنات النعيم!!

ولله در النجاشي ملك الحبشة زمان بعثة النبي محمد ﷺ والذي كان على عِلم بالكتاب المقدس قال حين سمع القرآن: «إن هذا وما أتى به المسيح ليخرجان من مشكاة واحدة».

كان ما سبق بيانًا لبعض نصوص الكتاب المقدس التى تتحدث عن النبي ﷺ وعن الإسلام بصفته خاتم الرسالات وجامع الوحي الإلهي، ولقد اخترنا النصوص السابقة من بين عشرات النصوص التي لا تزال موجودة إلى الآن في الكتاب المقدس لم يطرأ عليها تحريف ولا تغيير، وقنعنا بما ذكرنا؛ لأن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك ومن أراد المزيد فالمراجع في ذلك كثيرة جدًا ومتوفرة لمن أراد.

إذا نظرنا إلى العالم وأحواله قبل بعثة النبي ﷺ، وما ساد فيه بين البشر من الظلم وسفك الدماء، وانتشار الباطل والفساد نجد الحاجة ماسة إلى النجاة، فكانت بعثة النبى ﷺ من الضروريات الكونية لإفشاء العدل والسلام، ونشر نور الإسلام في ربوع الدنيا.

وإنه من الفائدة أن ننقل هنا في هذا المقام بعضًا من جهد العالم الفاضل اللواء م/ أحمد عبد الوهاب - رحمه الله رحمة واسعة -، وذلك لبيان بعض صور التحريف للكتاب المقدس[1].

(١) اللواء مهندس/ أحمد عبدالوهاب قد أثرى المكتبة العربية بكتاباته القيمة والتي امتازت بالتوثيق ودقة المصادر وبيان المراجع؛ بعيدًا عن العواطف والانفعالات.. ومن مؤلفاته: (العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي - المسيح في مصادر العقائد المسيحية - الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام - النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام - طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون - إسرائيل حرفت الأناجيل)، وغيرها الكثير.. وقد قام - رحمه الله - بالعديد من المناظرات والتي أقام من خلالها الحُجة على مُناظريه، وكان من ثمرات هذه المناظرات أن دخل الكثيرون من المناظرين وغيرهم في الإسلام إثر هذه المناظرات.



• تحريف بشارة محمد ﷺ في الكتاب المقدس في ترجمة إنجليزية:

يقول الكتاب المقدس للبروتستانت على لسان موسى: «قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه»(١).

لكن ترجمة إنجليزية اليوم حرفت عبارة (نبيًّا من وسط إخوتهم) لتكون (نبيًّا من وسطهم) لماذا ؟؟!!

لأن نبيًّا من وسطهم تعني: من بني إسرائيل، أما من وسط إخوتهم فتعني: من أقربائهم، وبالذات أولاد عمومتهم وهم بنو إسماعيل، فلقد شاع استخدام لفظ الإخوة في أسفار العهد القديم ليعني هذا كما في قوله: «أرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم هكذا يقول أخوك إسرائيل قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا»(٢).

فالمقصود بإسرائيل هنا هم الشعب الإسرائيلى الذى كان يقوده موسى وهؤلاء كانوا أحفاد أحفاد إسرائيل (يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم) كما كان ملك أدوم وشعبه أحفاد أحفاد عيسو أخي إسرائيل علاوة على كون الأدوميين من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ذلك أن عيسو بن إسحاق هذا قد ذهب إلى عمه إسماعيل، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له(٣).

وتكرر نفس المعنى في قول الرب لموسى: «أنتم اليوم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير»(٤).

فلغة العهد القديم تقرر أن ذرية الأحفاد يعتبرون إخوة لذرية الأحفاد الذين يشتركون معهم في الجد الأكبر وهو هنا إبراهيم، ومن الواضح أن ترجمة إنجليزية اليوم قد حرفت هذه البشارة التي لا تزال موجودة في تراجم أخرى مثل:

---

(١) سفر التثنية (١٨-١٨:١٩).

(٢) سفر العدد (٢٠-١٤).

(٣) سفر التكوين (٢٨-٩).

(٤) سفر التثنية (٢-٤).



الكتاب المقدس للبروتستانت ترجمة الملك جيمس، والتي تقول: «من وسط إخوتهم».

الترجمة القياسية المراجعة التي تقول: «من وسط إخوتهم».

الترجمة الفرنسية المسكونية التي تقول: «من وسط إخوتهم».

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [(١)].

وفيما يتعلق بقوله (مثلك) في هذه النبوءة فمن المؤكد أنه ينطبق على محمد ﷺ قول هذه النبوءة: (نبيًّا مثلك) ينطبق على محمد ﷺ.

ومن المعلوم أن أول الوحي إلى محمد - خاتم النبيين - قد فاجأه وحيدًا في غار حراء، إذ جاءه الملك جبريل فجلس أمامه قائلاً: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ.

وتكرر ذلك مرتين أخريين، حتى إذا ما أرسله الملك في المرة الأخيرة، بدأ يقرأ عليه القرآن مبتدئًا بقول الحق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [(٢)].

فرجع بها رسول الله يعاني روعًا ورهبة من هول المفاجأة وشدة الوحي، ولقد سبق أن بشر النبي أشعياء بحادثة بدء الوحي إلى محمد ﷺ خاتم النبيين على هذه الصورة فقال: «يدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة ويقال له: اقرأ هذا فيقول: لا أعرف القراءة» [(٣)].

لكن هذا النص نجده في الترجمة العربية حسب الكتاب المقدس للبروتستانت وحسب الكتاب المقدس للكاثوليك قد حُرِّف بالعكس؛ حيث وُضعت كلمة (الكتابة) بدلاً من كلمة (القراءة) وهو ما يجعل هذه العبارة المحرفة تناقض نفسها، فبعد دفع الكتاب لذلك الإنسان (يقال له: اقرأ هذا) ويكون الرد المنطقي (لا أعرف القراءة) وليس (لا أعرف الكتابة) كما تزعم الترجمة العربية المحرفة.

---

(١) هود: (١٨-١٩).

(٢) العلق: (١-٥).

(٣) سفر أشعياء (٢٩-١٢).



ومن هنا جاءت أحدث ترجمة عربية للكاثوليك والمنقولة عن الترجمة الفرنسية المسكونية والتي ظهرت تحت اسم (كتب الشريعة الخمسة) لتصحح ذلك الانحراف، وبمقارنة هذه التراجم العربية المحرفتين والصحيحة يتضح لنا كيف يعبث هؤلاء القوم بكلمة الله!! كما تقدم لنا مقارنة التراجم غير العربية برهانًا أكيداً على تحريف تلكما الترجمتين العربيتين. فالترجمة القياسية المراجعة تذكر (القراءة) وليس الكتابة.

فهى تقول: «ثم يدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة، ويقال له: اقرأ هذا فيقول: لا أعرف هذا»، وكذلك الترجمة الفرنسية المسكونية التي تذكر القراءة وليس الكتابة، وكذلك ترجمة مارتن لوثر كينج التي تذكر القراءة وليس الكتابة.

وبعد ....

فهذا جهد حُرص فيه على الاختصار وعدم التفصيل مع محاولة التبسيط في العرض، وهى إشارات عابرة لبعض الأمثلة من التوراة والإنجيل.

كما أنه يجدر الإشارة الى أن هذه البشارات لم تتوقف على التوراة والإنجيل وحسب، بل وردت فيما بينهما في المزامير، وكذلك عن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء من بني إسرائيل. ليس ذلك فقط، بل إن البشارات بالنبي ﷺ قد وردت قبل ذلك حيث وردت في كتب البراهمة، وكتابهم يعرف بالـ (فيدا)، وكذلك في كتب الزرادشتيه.

والمقام لا يتسع للتفصيل والعرض إلا أن له مراجع متخصصة نذكر منها ما يلي:

١- إثبات نبوة محمد ﷺ (أبو الحسن أحمد بن الحسن الزيدى).

٢- بين الإسلام والمسيحية - (أبو عبيد الخزرجى).

٣- محاضرات في مقارنة الأديان - (إبراهيم خليل أحمد).

٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - (شيخ الإسلام ابن تيمية).

٥ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - (ابن القيم).

٦ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - (ابن القيم).

٧ - البرهان الصحيح في بشائر النبي والمسيح.

٨ - ما يقوله الكتاب المقدس عن محمد - (أحمد ديدات).





٩- نبوءة محمد ﷺ في الكتاب المقدس - (د/ أحمد حجازى السقا).

١٠- النبوة والأنبياء - (لواء مهندس أحمد عبد الوهاب).

١١- إظهار الحق - (رحمة الله الهندي).

١٢- مطلع النور - (العقاد).

١٣- المعجزة العلمية - (عبد المجيد الزنداني).

١٤- خاتم النبيين - (الإمام محمد أبو زهرة).

١٥- محمد في بشارات الأنبياء - (محمد الشرقاوي).

١٦- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - (موريس بوكاى).

١٧- نبي أرض الجنوب - (ع. م جمال الدين الشرقاوي).

١٨- محمد ﷺ بين التوراة والإنجيل- (د. محمد عبد الخالق شريبة).

١٩- البشارات - (عبد المجيد الزنداني).

إلا أن هذا الكلام له تفصيلات واستفاضات طويلة وعديدة، وكلها مستندة للمراجع الرسمية والمعتبرة لدى أهل الكتاب. ومن أراد التفصيل والبيان فليراجع هذه المراجع.

* * *



الباب الثالث

دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم



• تمهيد:

قد تبين مما سبق بما لا يدع مجالاً للشك أن رسولنا محمد ﷺ مرسل من ربه سبحانه برسالة الحق، بالدين الخاتم للناس كافة، بل للجن والأنس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»(٤).

فكانت دعوته في مجملها لتعريف الناس بمصالحهم وبما ينفعهم في معاشهم وبعد مماتهم. ولهذا كان من الأهمية بمكان أن نقف على ملامح هذه الدعوة وثمارها، وحقوق النبى ﷺ ومكانته عند أتباعه.

وسنعيش في هذا الباب مع هذه المعاني، وذلك من خلال ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول: ما الذي يدعو إليه ﷺ ؟.

الفصل الثاني: ثمرات اتباعه ﷺ.

الفصل الثالث: مكانته، وحقوقه على أتباعه ﷺ.

* * *

---

(١) سبأ: (٢٨).

(٢) الأنبياء: (١٠٧).

(٣) الأعراف: (١٥٨).

(٤) رواه البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (٢٢٨٦ - ٢٢٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.





الفصل الأول
ما الذي يدعو إليه ﷺ ؟

سؤال يطرح نفسه. . إذا كنا نتكلم عن النبي ﷺ وعن صفاته وشمائله وأعماله ونبوته ﷺ فلابد أن نتساءل ما الذي يدعو إليه؟ وما هي دعوته ﷺ ؟

فأما دعوته والذي يدعو إليـه فهو الدين كله، الشرع الذي أكمله الله له، ومكارم الأخلاق التي بعثه الله متمماً مكملاً لها، والمقام ليس مقام تفصيل، ولكننا سنشير إلى هذا من خلال بعض المواقف والحـوارات التي ثبتت بالنقل إلينا؛ لنقتبـس منها الإجابة عن هذا السؤال.

• **هناك ثلاثة مواقف:**

أولاً: موقف عظيم نقله التاريخ بين رجل، هو قيصر الروم صاحب العلم بالنجوم والعلم بالمسيحية، وقد علِمَ أن مـحمداً ﷺ هو رسول آخر الزمان، وبين رجل من قـريش كان لم يـدخل في الإسلام بعـد، وكـان من أشد الـناس عداوة لرسـول الله ﷺ؛ فانظر إلى هذا الحوار الذي دار بينهما، وما انتهى إليه.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ من قُرَيْشٍ وكَانُوا تجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِـيهَا أَبَا سُفْيَانَ وكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَـالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَـقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا. فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْـحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَـانِهِ قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ! لَوْلا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْـتُ: لا. قَالَ: فَهَلْ كَـانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لا. قَالَ: فَـأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِـعُونَهُ أَمْ ضُـعَفَاؤُهُمْ؟ فَـقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَـاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُـصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ:

لا . قَالَ: فَـهَلْ كُنتُمْ تَتَّهِـمُـونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُـولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لا . قَـالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لا ، وَنَحْنُ مِنْـهُ فِي مُدَّةٍ لا نَدْرِي مَا هُوَ فَـاعِلٌ فِيهَـا ، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِـتَالُـكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَـيْنَهُ سِجَـالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَـالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُـمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُـدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئًـا ، وَاتْرُكُوا مَـا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَـافِ وَالصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِـهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَـوْمِهَا ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَـالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَـذَكَرْتَ أَنْ لا . فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَـدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَـبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِـيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَـانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَـذَكَـرْتَ أَنْ لا . قُلْتُ فَلَوْ كَـانَ مِـنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْـلُـبُ مُلْكَ أَبِيـهِ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُـولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ، وَسَـأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَـفَاؤُهُمْ فَـذَكَرْتَ أَنَّ ضُـعَفَـاءَهُمْ اتَّبَعُـوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَـأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُـونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْـرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَـأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِـيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لا ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَـالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ هَـلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لا ، وَكَـذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ ، وَسَـأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَـذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُـدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِـبَادَةِ الأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَـافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَـدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَـدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَـارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُـمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَـبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَـإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَـرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ» وَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ



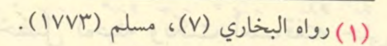
شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا. فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلامَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ، وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِه: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلا الْيَهُودُ فَلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لا، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ. فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ.

فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[1].

ونخلص من هذا الحوار وما انتهى إليه بأن عظيم الروم أقر بنبوة النبي ﷺ لما



---

(١) رواه البخاري (٧)، مسلم (١٧٧٣).

علم من صفاته وشمائله والتي اضطر أبو سفيان أن يقر بها، ومن خلال التوحيد الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ ومكارم الأخلاق، حتى أوشك هرقل أن يدخل في الإسلام لولا غلبة نفسه وهواه عليه فخشي على زوال ملكه في الدنيا، وآثر ملك الدنيا على الآخرة.

ثانيًا: موقف المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، والذي ترويه لنا أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ؛ وذلك بعدما هاجر طائفة من المسلمين إلى الحبشة، وأرادت قريش أن تعيدهم إلى قبضتها؛ لتُنزل بهم العذاب والنكال؛ فاحتالت قريش وأرسلت رجلين إلى النجاشي ملك الحبشة؛ لإحداث فتنة بينه وبين المسلمين المهاجرين عنده، فأرسل النجاشي إلى مَن عنده من المسلمين وسَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِى فَارَقْتُم فِيهِ قَوْمكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِى دِينِي وَلا فِى دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِه الأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَومًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّه لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونه مِن الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحصنَةِ، وَأَمرَنَا أَن نَعبُدَ اللَّهَ وَحدَهُ لا نُشْرِكُ بِه شَيْئًا، وَأَمرَنَا بِالصَّلاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلام فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِه وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِه فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِه شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِث، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِه عَنْ اللَّهِ مِن شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْه صَدْرًا مِنْ كهيعص. قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى

أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ[١].

وفي هذا الموقف العظيم استدل جعفر رضي الله عنه على نبوة النبي ﷺ باصطفاء الله عز وجل له من حيث النسب والصفات والشمائل، ثم دعوة رسول الله ﷺ إلى التوحيد وإلى مكارم الأخلاق، وشتان بين موقف النجاشي الذي آثر الآخرة على الدنيا فسارع بالإيمان برسول الله ﷺ ودعوته، وبين موقف هرقل السابق.

ثالثًا: هذا الموقف العظيم لبدوي بسيط من أتباع النبي محمد ﷺ مع زعيم الفرس رستم في موقعة القادسية، والتي كانت بين الفرس والمسلمين، وقبل بدأ المعركة، نظر رستم ـ قائد الفُرس ـ إلى المسلمين، ثم أرسل إليهم رجلاً: إنَّ رُستم يقول لكم: أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا - أراد أن يصالحهم ويعطيهم مالاً على أن ينصرفوا عنه - وجعل يقول فيما يقول: أنتم جيراننا، وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا، فكنا نحسن جوارهم، ونكف الأذى عنهم، والمرافق الكثيرة في أهل باديتهم من بلادنا، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا، وقد كان لهم في ذلك معاش يعرض لهم بالصلح، ولا يُصرِّح.

فلما وصلت الرسالة إلى سعد رضي الله عنه أرسل سعد إليه ربعي بن عامر.

فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره، فاحتبسه الذين على الباب، وأرسلوا إلى رستم بمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ فأجمع مَلَؤهم على التهاون به، فأظهروا الزبرج[٢]، وبسطوا البسطَ والنمارق[٣]، ولم يتركوا شيئًا، ووضع لرستم سرير الذهب، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي يسير على فرس له، معه سيف له، ورمحه، ومعه حجفة من جلود البقر على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله، فلما غشي الملك، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط قيل له: انزل فحملها على البساط، فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين، وقد شد رأسه أربع ضفائر قد قُمن قيامًا كأنهن قرون الوعل.

---

(١) رواه أحمد (١/٢٠١ - ١٧٤٠)، وإسناده حسن، (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وصححه الألباني في فقه السيرة (١١٥).

(٢) الزبرج: الزينة والذَّهب.

(٣) جمع نمرقة وهي الوسادة.

فقالوا: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت.

فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له، هل هو إلا رجل واحد.

فأقبل يتوكأ على رمحه، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطًا إلا أفسده وتركه مخرقًا، فلما دنا من رُستم جلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط.

فقالوا: ما حملك على هذا؟

قال: إنَّا لا نستحب القعود على زينتكم هذه.

فكلَّمهُ فقال: ما جاء بكم؟

قال: الله.. والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلَنا بدينه إلى خلقه، فمن قبل منّا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أَبَى قاتلناه أبدًا حتى نُفضِي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

ومن جملة ما قال له رستم سأله: أنت قائدهم؟

قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم [(١)].

انظر إلى هذا الفهم واليقين الراقي عبَّر بهما عن دعوته ودعوة نبيه ﷺ.

ثم ننتقل إلى ما أجمله لنا النبي ﷺ في دعوته فيما رواه لنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا اللّه تعالى، فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم أن اللّه فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا؛ فأخبرهم أن اللّه افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك؛ فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس**» [(٢)].

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٠١ - ٤٠٢) والبداية والنهاية (٧/ ٣٩).
(٢) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).



والآن تعالوا معنا لنختتم التعرف على مبادئ وأُصول ما كان يدعو إليه محمد ﷺ من خلال هذا المقال الطيب لفضيلة الشيخ صفوت الشوادفي - رحمه الله - والذى كان يشغل منصب نائب رئيس جمعية أنصار السُّنة بجمهورية مصر العربية. وفيه يقول:

ديننا يقوم على دعائم ثلاث: عقيدة صحيحة، وعبادة مشروعة، وأخلاق فاضلة.

وكل واحدة من هذه الثلاث بحاجة إلى بيان:

فالعقيدة الصحيحة: هي عقيدة السلف الصالح.

والسلف الصالح هم الصحابة الكرام[1] ومن تبعهم بإحسان.

والعبادة المشروعة: هي العبادة التى قام عليها دليل من الكتاب والسُّنة، ولم تكن مبتدعة.

والأخلاق الفاضلة: هي كل خُلق فاضل دعت إليه الشريعة، وحثت عليه وأمرت به.

وهذه المسائل ليست من أمور الثقافة العامة؛ بل هي أسباب النجاة، والطريق الموصل إلى الله عز وجل.

• فأما عقيدتنا فهذا بيانها:

١- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

٢- من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل؛ بل نؤمن بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ولا ننفي عن الله ما وصف به نفسه ولا نُشبهُه بأحد من خلقه.

٣- القرآن كلام الله مُنَزَّل من عنده غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

٤- من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث بعد الموت، والحوض والميزان، والصراط والجنة والنار.

٥- الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٦- لا نحكم بالكُفر على مُسلم إذا ارتكب معصية ولو كبيرة؛ بل نقول: إنه

---

(١) تخصيص الصحابة رضوان الله عليهم من جهة أنهم هم الذين نقلوا دين النبي ﷺ وهم أكثر الناس محبة له واتباعًا.

مؤمن ناقص الإيمـان أو مؤمن فاسق بكـبيرته، ومن تاب تاب الله عليـه، ومن مات بغير توبة مُسلمًا فهو في مشيئة الله: إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

٧- نحب أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيتـه ونترضى عليهم، ونُمسك عـما شجـر من الخلاف بينهم. ونؤمن بأن لهم من الفضـائل والأعمال الصالحـة ما يوجب مغفـرة ما صدر منهم. وكل من صحب رسـول الله ﷺ وآمن به ومات على ذلك فهو أفضل من كل تابعي جاء بعده.

٨- نُصدق بكرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادات، والولي هو كل مـؤمن تقي، ونُحـذر من أولياء الشيطان الذين تجري على أيديهم الخـوارق الشيطانية وهم متبعون لغير سبيل المؤمنين.

٩- نتمسك بالسنة، ونعلمها لعـامة المسلمين، ونحـارب البدعة، ونبينهـا حتى يحذرها المسلمون.

١٠- لا نشهد لأحد بالجنة ولا نحكم على أحدٍ بأنه من أهل النار؛ إلا ما أخبرت به النصوص الشرعية من الشهادة بالجنة أو القطع بالنار.

١١- نرجو للمحسن من المسلمين حُسن الخاتمة، ونخاف على المسيء منهم سوء الخاتمة.

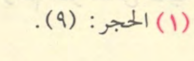
١٢- الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان؛ فالجنة دارلأولياء الله، والنار عقاب لأعداء الله.

١٣- الاستعانة بالأموات ونداؤهم والاستغاثـة بهم شرك بالله، وكذا الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله.

١٤- أفضل هذه الأُمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ.

١٥- نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

١٦- الإيمـان بجميـع الكتب المنزَّلة من عند الله، والقـرآن الكريم أفضلهـا وهو ناسخ لما قبله، ومهـيمن عليه. وكل كتاب قـبل القرآن فقد وقع فيـه تحريف وتبديل، وأمـا القرآن فـقد حـفظه الله لفظًا ومـعنىً، قال تعـالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(١).





(١) الحجر: (٩).



١٧- لا يعلم الغيب إلا الله وحده، وهو سبحانه يطلع بعض رسله على شيء من الغيب.

لقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[١].

١٨- الذهاب إلى الكُهَّان والعرافين والدجالين كبيرة من الكبائر، واعتقاد صِدقهم كُفر بالله تعالى.

١٩- لا يجوز لنا أن نتفرق في الدين ولا نسعى في الفتنة بين المسلمين، ويجب رد ما اختلفنا فيه إلى الكتاب والسُّنة، وما كان عليه سلف الأُمة.

بهذه المواقف التي ذكرناها، وبهذه الأصول الاعتقادية التي نقلناها نعلم أن محمداً ﷺ ما جاء إلا ليخرج العباد من الظلمات إلى النور ويقيم الملة الصحيحة، ويعطي كل ذي قدرٍ قدره، وليُعرِّف المخلوق بخالقه، ويبين له كيف يوحده، وكيف يعبده بالشرع الذي أنزله الخالق، ثم ليقيم لنا منهجًا وسبيلاً من التزمه سعد في الدنيا ونجا وفاز في الآخرة.

وحصاد وثمار ذلك كله أن يتمم لنا مكارم الأخلاق وصالحها ولمَ لا وهو الذي قال عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وفي رواية: «صالح الأخلاق»[٢]، وهو الذي قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣] فصلى الله وسلم على محمد المبعوث رحمة للعالمين.

* * *

---

(١) الجن: (٢٦-٢٧).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٨١ - ٨٩٣٩)، وهو صحيح إسناده قوي (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) القلم: (٤).

الفصل الثاني

ثمرات اتباعه ﷺ

لقد وعد الله تعالى عباده الذين آمنوا به وبرسوله ﷺ، واتبعوا رسوله ﷺ وعدهم بالسعادة في الدنيا والآخرة، وبالهداية والعِزة والنصر والتمكين، والدفاع عنهم، وعدم تسليط الكافرين عليهم.

- ففي الدنيا:

وعدهم بالحياة الطيبة؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣)، ودفاعًا عنهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٧)، وعدم تسليط عدوهم عليهم، وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾(٨)، والأمة موعودة بذلك - ولا تزال - من الله لكل من بقي على عهد الله وميثاقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما من يقول: كيف ذلك وبعض المسلمين يُبتلى في الدنيا؟ والجواب على هذا السؤال من النبي ﷺ في حديث عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٩).

---

(١) النحل: (٩٧). (٢) الحج: (٥٤). (٣) النور: (٥٥). (٤) الحج: (٣٨).
(٥) المنافقون: (٨). (٦) الروم: (٤٧). (٧) غافر: (٥١). (٨) النساء: (١٤١).
(٩) رواه مسلم (٢٩٩٩).



وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: نحن في سعادة، لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف(١).

فالمؤمن بالله المُتبع لرسول الله محمد ﷺ حياته طمأنينة وسكينة وسعادة، وإن كان قليل المال، وإن ابتلي بالمرض وغيره، هذا في الدنيا. وكذلك بالنسبة للأمة إن حكمت شرع ربها، والتزمت باتباع سنة نبيها ﷺ مكن الله لها مهما بلغت قوة أعدائها، فإن حادت عن ذلك عاقبها الله بتسليط الأعداء عليها.

- أما في الآخرة:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ: «لَبِنَةُ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلا يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ وَلا يَمُوتُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ»(٥).

والمِلاطُ: هو ما يجعل بين ساقي البناء كالطين ونحوه.

وأيضًا عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»(٦).

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠). (٢) يونس: (٩).

(٣) الكهف: (١٠٧، ١٠٨).

(٤) رواه البخاري (٣٢٤٤)، مسلم (٢٨٢٤).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٣٠٤ - ٨٠٣٠) صحيح بطرقه وشواهده (تعليق شعيب الأرنؤوط)، والترمذي (٢٥٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٧١١)، وقال: حسن لغيره.

(٦) رواه مسلم (٢٨٣٧).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ رَبِّ: فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً. قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١).

وبيان صورة سعادة المؤمن في الدنيا تحتاج إلى تفصيل لا يسمح المقام به، فنحن في مقام إشارات عابرة، ولمحات سريعة مختصرة بالتعريف بهذا الدين الحنيف من خلال رسوله الأمين محمد ﷺ، وأما بيان فوز الآخرة، ونعيمها، ومواقفها، ووصفها وما فيها، فهذا مقام عظيم يحتاج إلى تخصيص وتفصيل، والحمد لله فالمراجع لكلا المقامين كثيرة ومتنوعة.

• إيضاح هام:

إذا كان واقع المسلمين لم يتحقق فيه الوعد بالنصر؛ فإن مرد ذلك إلى ما أصاب إيمانهم من الضعف، وما شاب اعتقاد كثير منهم من الخلل، وإن استمرار هذا الضعف يُنذر بكارثة مروعة، ليس على المسلمين فقط؛ بل على الدنيا بأسرها؛ لأن غياب طائفة الإيمان عن التمكين نذير شؤم بحلول الظلم والطغيان وسفك الدماء، وهذا واقع الحال الذي يحياه البشر الآن بسبب تغييب شرع العزيز الحكيم وتخلي أمة النبي الكريم عن مكانتها ودورها ومسئوليتها، فالله نسألُ أن يردها إلى خيريتها ومكانتها ليحكم بين البشر بشرع خالقهم وبسنة خير الخلق أجمعين وإمام المرسلين، من بعثه الله رحمة للعالمين فصلى الله عليه وآله وسلم ومن اهتدى بهديه واستن بسنته والتزم منهجه إلى يوم الدين.





(١) رواه مسلم (١٨٩).



الفصل الثالث

مكانته وحقوقه على أتباعه ﷺ

إنه هو رسول الله محمد؛ عبد الله ورسوله ومصطفاه وخليله ومُختاره ومُجتباه وهديته في هذه الحياة ورحمته للناس أجمعين..

هو العبد الذى تشرف بكمال العبودية لمولاه، والبشر الذي قرَّبه ربُّه وأدناه، ورفع مقامه على الناس أجمعين، وختم به الأنبياء والمرسلين.

وإذا أردنا أن نقف على مكانة النبي ﷺ فلنقف أولاً مع مكانته عند ربه جل في علاه؛ فالله اصطفاه وزكاه على خلقه أجمعين.

نعم.. زكَّاه في عقله فقال تعالى عنه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾(١).

وزكَّاه في نطقه فقال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾(٢).

وزكَّاه في علمه فقال تعالى عنه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾(٣).

وزكَّاه في بصره فقال تعالى عنه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾(٤).

وزكَّاه في قلبه فقال تعالى عنه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾(٥).

وزكَّاه في صدره فقال تعالى عنه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(٦).

وزكَّاه في ظُهره فقال تعالى عنه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾(٧).

وزكَّاه في ذِكره فقال تعالى عنه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٨).

وزكَّاه كله فقال تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٩).

بل إن الله تعبدنا بالتأدب مع نبيه ﷺ غاية التأدب.

وأعظم وأجلُّ، مثل أن الله تعالى ضرب لنا في ذلك المثل الأعظم والأكرم في إكرامه وتكريمه لنبيه ﷺ.

فإن الله تعالى لم يناده في كتابه الكريم باسمه مُجردًا قط، ولكن ناداه بشرف

---

(١) النجم: (٢). (٢) النجم: (٣).
(٣) النجم: (٥). (٤) النجم: (١٧).
(٥) النجم: (١١). (٦) الشرح: (١).
(٧) الشرح: (٢-٣). (٨) الشرح: (٤). (٩) القلم: (٤).





النبوة والرسالة؛ فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾(٥).

وعندما أخبر الله عنه ﷺ مُعرِّفًا به ذاكرًا اسمه المُجرد ﷺ قرن اسمه بالرسالة فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(٧).

بينما نادى الله تعالى على جميع أنبيائه بأسمائهم المُجردة؛ فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(٨).

وقال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾(٩).

وقال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾(١٠).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾(١١).

وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١٢).

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾(١٣).

وقال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾(١٤).

وقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(١٥).

ثم إن الله تعالى تعبدنا أيضًا بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، وبدأ بنفسه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١٦).

---

(١) الإسراء: (١). (٢) المزمل: (١). (٣) المدثر: (١).
(٤) الأحزاب: (٤٥). (٥) المائدة: (٤١). (٦) الفتح: (٢٩).
(٧) آل عمران: (١٤٤). (٨) البقرة: (٣٥). (٩) هود: (٤٨).
(١٠) الصافات: (١٠٤، ١٠٥). (١١) الأعراف: (١٤٤). (١٢) آل عمران: (٥٥).
(١٣) ص: (٢٦). (١٤) مريم: (٧).
(١٥) مريم: (١٢). (١٦) الأحزاب: (٥٦).





كما أن الله تعالى تكرمة لمُحمد ﷺ لا يوقع العـذاب بقوم قد استحقوا العذاب لوجود النبي ﷺ بينهم؛ قـال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١).

فانظر إلى هذا الاصطفاء، وهذه المنزلة للنبي ﷺ عند ربه جل وعلا.

وجلَّى الله تعـالى هذه المنزلة وهذا الاصطفـاء وبيَّنه أيما بيـان حينمـا أراد الله أن يُكرِّم نبيه ﷺ ويُسري عنه ويواسيه، فاستضافه عنده فوق سبع سماوات، وذلك في رحلة الإسراء والمعراج! فـما أعظمَها من مكانة، وما أسـماها من منزلة، ولكنها حقٌّ من الحقِّ لحبيب الحق محمد ﷺ.

ثم إن الله تعالى قـد اختص نبـيه ﷺ بأمور في ذاته في الدنـيا إضافـة إلى ما ذكر، فالله عز وجل أخذ له العهد والميثاق على النبيين وختم الله به الأنبياء والمرسلين كما أن الله جعل رسـالته للناس كافه وجعله الله رحمة مهـداة. وكما بينا من قبل أن الله أيده بالمعجزة الخالدة الباقية ألا وهى القـرآن الكريم، كما أن الله تعالى قد اختصه بأمـور في ذاته في الآخـرة مثل الوسـيلة والفـضيلـة والشفـاعـات العظمى والكوثر والحوض، وأنه أول من تفتح له أبواب الجنة وغير ذلك.

وكذلك اختص الله أمته بأمـور في الدنيا منها الخيرية؛ فجعلهـا خير أمة أخرجت للناس، وأحل الله لها الغنائم، وتجـاوز لها عن الخطأ والسهو والنسيـان، وحفظها الله من الاستئصـال، واختصها كذلك بيـوم الجمعة وغير ذلك. وكـذلك اختص الله أمته بأمور في الآخرة منها أنها ستكون الأمة الشاهدة على باقي الأمم، وأنها أول من تجتاز الصراط، وأنهـا تتميز بين سـائر الأمم بالغُرِّ المحجلين، وهي أكـثر أهل الجنة، وهي الأمة الآخـرة السابقة في دخول الجـنة إلى غير ذلك؛ فهـذه إشارة عابرة لبـيان مكانة ومنزلة النبي ﷺ عند ربه تعالى.

ولذلك نرى صورة مذهله وعجـيبة لحال صحابته مـعه، ومكانته ﷺ عندهم، ولِمَ العجب وهو رسول الله ﷺ وخير خلقه.

وحقوق النبي ﷺ ومكانته عند اتباعـه تقوم على أصول تشمل الارتباط القلبي المؤثر في كل عمل للجوارح اللازمة له.

---

(١) الأنفال: (٣٣).



- **الأصل الأول الإيمان به ﷺ:**

والإيمان من حيث الأصل في المعنى الشرعي واللغوي هو التصديق مع الاستقرار والأمان والإقرار؛ بمعنى استقرار هذا المعنى في القلب، والأمن إليه مع ما يستلزمه من تفاعل الجوارح.

ثم اعلم أيضًا أن العبد لا يدخل في الإسلام إلا بتحقيق رُكنه الأعظم وهو الشهادة، وأنه يخرج من الإسلام بجحوده وإنكاره.

وهذه الشهادة تشمل شقين لا ينفكان وهُما:

أشهد أن لا إله إلا اللَّه.. وأشهد أن محمداً رسول اللَّه.

فالشق الأول هو: أشهد أن لا إله إلا الله، والذي به يُعرف المعبود سبحانه.

والشق الثاني هو: أشهد أن محمدًا رسول الله والذي به يُعرف كيف يُعبد.

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإسلام مبني على أصلين وهما: أن لا يُعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع[(١)].

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ.

واعلم أنه لن تزول قدما عبد من العباد يوم القيامة حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟[(٢)].

وأن الشق الثاني من الشهادة يقتضي أن رسول الله ﷺ جاء ليقيم شرع الله في صورة منهج متكامل للحياة مما يستلزم الطاعة الكاملة والانقياد التام والإجابة الفورية له ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(٣)].

فهي قضية إيمان أو عدم إيمان، قضية واجب، وليست مجرد استحسان.

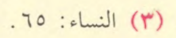
أما أدلة هذا الأصل الذي هو في ذاته أصل لباقي الأصول فهي لا تكاد تُحصى سواء من القرآن أو من السُّنة..

• أما من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٨٩).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (١/ ٣٥).



(٣) النساء: ٦٥.





وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (١).

٢- وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

٣- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٤).

٥- وقال تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٥).

٦- وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (٦).

٧- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧).

٨- وقال تعالى: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨).

• ومن السُّنة المطهرة:

١- عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً»(٩).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١٠).

---

(١) النساء: (١٣٦). (٢) الأعراف: (١٥٧).
(٣) النور: (٦٢). (٤) الحجرات: (١٥).
(٥) الفتح: (٩). (٦) الفتح: (١٣).
(٧) الحديد: (٢٨). (٨) الصف: (١١).
(٩) رواه مسلم (٣٤). (١٠) رواه مسلم (١٥٣).





٣- وعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْد رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «أَنَا زَعِيمٌ - وَالزَّعِيمُ: الْحَمِيلُ - لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْت فِى رَبَضِ الْجَنَّة، وَبِبَيْت فِي وَسَطِ الْجَنَّة، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّه بِبَيْت فِي رَبَضِ الْجَنَّة وَبِبَيْت فِي وَسَطِ الْجَنَّة وَبِبَيْت فِى أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّة، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا وَلا مِنْ الشَّرِّ مَهْرَبًا يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ»[(١)].

فهذا كتاب الله يأمرنا بالإيمان برسول الله ﷺ؛ بل ويقرن ذلك بالإيمان به سبحانه؛ فلا ينفك الإيمان بالله تعالى صحةً وقبولاً وإثابةً عن الإيمان برسول الله ﷺ، وبين لنا كُفر من لم يُحقق ذلك.

وهذا رسول الله ﷺ يبيِّن لنا في سُنته أيضًا أهمية ذلك وما يترتب عليه من ثواب وأجر لمن آمن به، وحُكم وعقوبة من لم يؤمن به ﷺ.

وبعد.. فإن الإيمان برسول الله ﷺ أصل أصيل لا ينفك عن الدين، بهذا الأصل مع الشق الأول الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله، بهما يدخل العبد في الإسلام، وكذلك ترك هذا الأصل الذي هو الإيمان برسول الله ﷺ يُخرج عن الإسلام..

ومما هو معلوم ومسلَّم به أن هذا الإيمان يقتضي التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ؛ فهو مُبلِّغ عن ربه سبحانه، ولم يقل شيئًا من عند نفسه فيما يتعلق بدين الله؛ فليس عليه إلا البلاغ، وما جاء به اجتهادًا فمن باب البيان، وحُكمه حكم الوحي، لأن الله تعالى إما أن يقره عليه فيأخذ حُكم الوحي، وإما أن يراجعه فيه بوحي.

فكل ما جاء به النبى ﷺ فحُكمه أنه وحيٌ من الله عز وجل وهذا فيما يتعلق بالدين.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[(٢)].

---

(١) رواه النسائي فى المجتبي (٣١٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٠٠).

(٢) الحاقة: (٤٤ - ٤٧).





وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمسكتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: «**اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه! مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلا حَقٌّ**»(١).

فهذا هو الارتباط الأول والأصل لباقي الارتباطات والتي هي بمثابة فروع عنه.

- والأصل الثاني محبته ﷺ:

فإن محبة رسول الله ﷺ حقٌّ وأصل عظيم من أصول الدين.

وبواعث هذه المحبة تنبثق مما يلي:

١ - أن محبته ﷺ تابعة لمحبة الله تعالى.

ولنستمع إلى هذا الكلام النفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قال: وليس للخلق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود ما يستحق أن يُحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يُحَبُّ سواه فمحبتُه تبع لحبه؛ فإن الرسول ﷺ إنما يُحَبُّ لأجل الله، ويُطاع لأجل الله، ويُتبع لأجل الله كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾(٢).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسوله ﷺ وتعظيمه؛ فإنها من تمام محبة مُرسِله وتعظيمه سبحانه؛ فإن أمته يحبونه لحب الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له؛ فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة رضوان الله عليهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ(٣).

٢ - أن محبته وتعظيمه ﷺ من شروط إيمان العبد؛ بل الأمر كما قال ابن تيمية: قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له ﷺ قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله(٤).

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٢-٦٥١٠)، وأبو داود (٣٦٤٦) بإسناد حسن (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٤٩).

(٣) جلاء الأفهام - لابن القيم (١/ ١٨٧).

(٤) الصارم المسلول - لابن تيمية (١/ ٢١٩).



٣- أن محبته ﷺ تنبعث من شدة محبته لأُمته ﷺ وشفقته عليها ورحمته بها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١). وكم كان يَسأل الخيرَ لأُمته ويفرح بفضل الله عليها، وكم تحمَّل من مشاق نشر الدعوة وأذى المشركين بالقول والفعل حتى أتم الله تعالى به الدين، وأكمل به النعمة. فقد صح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»(٢).

وقد قال له الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٣).

أي: أنه يكاد يقتل نفسه ﷺ حرصًا عليهم حتى يؤمنوا بالله تعالى.

وكما ذكَرنا أن محبة رسول الله ﷺ هي دليل الإيمان الصادق مصداقًا فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٤).

ولقد حبا الله تبارك وتعالى نبينا محمد ﷺ من الخصائص الجليلة والصفات النبيلة والأخلاق الفضيلة ما كان داعيًا لكل مسلم أن يُجِلَّه ويُعظِّمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد اختار الله تعالى لنبيه اسم (محمد) المشتمل على الحمد والثناء فهو ﷺ محمود عند الله تعالى، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه من المرسلين عليهم السلام، ومحمود عند الناس، وعند أهل الأرض كلهم، وإن كفر به بعضهم؛ لأن صفاته محمودةٌ عند كل ذي عقل، وإن كابر وجحد، فصدق عليه وصفه لنفسه

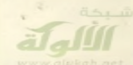
(١) التوبة: (١٢٨).

(٢) رواه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) الشعراء: (٣).

(٤) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).





حين قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[(١)].

وقد أغاث الله تعالى به البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والجهل والخرافة، فكشف به الظلمة، وأذهب الغمة، وأصلح الأمة.

ومما يُحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم - وقد أوردنا بعضها في الكتاب - فإن من نظر في أخلاقه وشيمه علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الناس.

ومحبة النبي ﷺ منها الواجب ومنها الفضل:

ذكر ابن رجب الحنبلي أن محبة رسول الله ﷺ على درجتين:

الدرجة الأولى: فرضٌ؛ وهي المحبة التى تقتضى قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حُسن الاتباع له فيما بلَّغه عن ربه؛ من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته ﷺ فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضلٌ؛ وهي المحبة التي تقتضي حُسن التأسي به ﷺ، وتحقيق الاقتداء بسُنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشُربه، ولباسه، وحُسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة[(٢)].

وعلى هذا فمحبة النبى ﷺ فرض من حيث الأصل، وأصل عظيم من أصول الدين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس - لابن رجب الحنبلي (٣٤، ٣٥).

(٣) التوبة: (٢٤).





قال القاضي عياض في شرح الآية: فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحُجة على إلزام محبته ﷺ، ووجوب فرضها، وعِظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله (١).

وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٢)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِى ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ» (٤).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٥).

وعن عبد الله بن هشام ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» (٦).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» (٧).

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض (٢/ ١٧).

(٢) الأحزاب: (٦).

(٣) رواه البخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩).

(٤) رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر ﷺ.

(٥) رواه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤).

(٦) رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٧) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).





نماذج سامية في التعبير عن محبة النبي ﷺ :

١- سُئِل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان حبُّكُم لرسول اللَّه ﷺ ؟ قال: كان واللَّه أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ(١) .

٢- وسأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حين ذاك- واحدًا من أصحاب النبى ﷺ وهو زيد بن الدَّثِنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه - وقد كان أسيرًا عندهم-: أنشدك باللَّه يا زيد! أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟، قال: واللَّه! ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا (٢) .

٣- ويوم بدر قال سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا نبي اللَّه! ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا؛ فإن أعزنا اللَّه وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك اللَّه بهم، ويناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول اللَّه ﷺ خيرًا، ودعا له بخير (٣) .

٤- وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يومُ أُحد حاص أهل المدينة حيصة، قالوا: قُتل محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة؛ فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة، فاستُقبِلت بابنها، وأبيها، وزوجها، وأخيها ـ أي ماتوا جميعًا في القتال ـ لا أدرى أيهم استُقبلت به أول، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك، أخوك، زوجك، ابنك، وهى تقول: ما فعل رسول اللَّه ﷺ ؟ يقولون: أمامك. حتى دُفعت إلى رسول اللَّه ﷺ فأخذتْ بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبى

---

(١) ذكره القاضي عياض في كتابه الشفا (٢/ ٢٥ - ١٢١٨) وقال: ذكره السيوطي في المناهل (١٣٨) ولم يخرجه.

(٢) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/ ٢٦ - ١٢٢٤)، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٢٦).

(٣) انظر: أسد الغابة (١/ ٦٤٣) والبداية والنهاية (٣/ ٢٦٨).



أنت وأمي يا رسـول الله! لا أُبالي إذ سلمتَ من عطب [(١)]. وفي رواية قـالت: كل مصيبة بعدك جلل [(٢)].

٥- ولقد حكَّم الصحـابةُ رسولَ الله ﷺ في أنفسهم وأمـوالهم، فقالوا: هذه أموالنا بين يديك فـاحكم فيها بما شـئت، وهذه نفوسنا بين يديك لو استـعرضت بنا البحر لخضناه نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك [(٣)].

٦- وها هو عروة بن مسـعود الثقفي ﷺ يصف محـبةَ أصحاب محمـد لمحمد ﷺ -وكان ذلك قبل إسلامه- قال: فَـوَاللَّه! مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَـدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَـرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَـتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِـنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ [(٤)].

٧- وقال عمرو بن العاص ﷺ: وَمَـا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَـا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْـلالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ ﷺ [(٥)].

٨- ولما نزل قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**﴾. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ [(٦)].

٩- وهذا مشهـد وموقف سام وعظيم وجامع يرويه لنا البخـاري عن عبد الله بن مسعود؛ ذلكم المشهـد الذي اجتمع فيه المسلمون بقيادة نبـيهم وهم مقبلون على غزوة ومعركة بدر الكبرى، وحيث تحول الموقف من لقاء صغيـر إلى معركة كبيرة لم يستعد لهـا المسلمون بما يجب، فـإذا رسول الله ﷺ القـائد الأعظم يجمع صـحابتـه من المهاجرين والأنصار للـتشاور ويقول لهم: «أشيروا عَلَيَّ» فقام أبو بكر فـقال وأحسن،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٩٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٧١).

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٢)، والطبري في التاريخ (٢/ ٧٤) مرسلاً.

(٣) رواه البخاري (٣٩٥٢) بنحوه مختـصراً عن المقداد ﷺ، والفقرة بتمامهـا ذكرها ابن القيم في روضة المحبين (٢٣٨، ٢٣٩) طبعة ابن رجب.

(٤) رواه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢).

(٥) رواه مسلم (١٢١).

(٦) رواه البخاري (٤٨٤٥) عن أبي مليكة.





وقام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول اللَّه! امض لما أراك اللَّه فنحن معك، واللَّه! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه؛ فقال له رسول اللَّه ﷺ خيرًا ودعا له(١).

وهؤلاء الثلاثة من المهاجرين، والمهاجرون قلة في الجيش والكثرة من الأنصار، ثم إن الأنصار قد بايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه في ديارهم - أى في المدينة - ولم يبايعوا على الخروج معه خارجها.

ولذلك كرر رسول الله ﷺ السؤال ليتعرف على قادة الأنصار، فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس» ففطن سعد بن معاذ ﷺ قائد الأنصار وحامل لوائهم فقال: واللَّه! لكأنك تريدنا يا رسول اللَّه؟. قال: «أجل». قال: فقد آمنا بك فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق! وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول اللَّه! لما أردت فوالذى بعثك بالحق! لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوًا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل اللَّه يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة اللَّه(٢).

وفي رواية أخرى قال سعد بن معاذ: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ماشئت، وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فواللَّه! لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسير معك، واللَّه! لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك(٣). فهذا مشهد ومثل يجسد مدى الحب والفداء والإقدام من قبل الصحابه لرسول الله ﷺ.

والخلاصة: إن ما ينتج عن اعتقاد تفضيله ﷺ، واستشعار هيبته ﷺ،

---

(١) رواه البخاري مختصرًا (٣٩٥٢)، وبنحوه مسلم (١٧٧٩) من قول سعد بن معاذ ﷺ.

(٢) البداية والنهاية (١/ ٢٧٩)، وسيرة ابن كثير (٢/ ٣٩٢)، وسيرة ابن هشام (٣/ ١٦٢).

(٣) ذكره بنحوه ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٢٦٤).





وجلالة قدره ﷺ ، وعظيم شأنه ﷺ ، واستحضار محاسنه ومكانته ومنزلته ﷺ ، يجعل القلبَ ذاكرًا لحقه ممتلئًا بحبُه، والجوارح منفعلة بأتباعه.

- والأصل الثالث هو اتباعه ﷺ .

والاتباع هو المحك الحقيقي، والدليل الصحيح القوي لادعاء الإيمان والمحبة بل إن الله عز وجل جل في علاه امتحن المؤمنين بهذا المحك في آية في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) . وهذا المحكُ يتضمن الطاعة والانقياد والاتباع.

الطاعة في كل ما أمر به ﷺ ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، والانقياد لهذه الأوامر، والاتباع لمسلكه وطريقه وسُنته وشريعته ﷺ .

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

---

(١) آل عمران: (٣١). (٢) الحشر: (٧).

(٣) البقرة: (١٤٣). (٤) آل عمران: (١٩ ، ٢٠).

(٥) آل عمران: (٦٨).



عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وأما من ادعى الإيمان كذبًا وادعى المحبة زورًا، فإن الله عز وجل قد كشف سره وهتك ستره، وفضحه عدمُ اتباعه لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٢).

من هذه الآيات يتضح ويرسخ الأصل العظيم وهو أن صِدق الإيمان في السمع والطاعة لرسول الله ﷺ بلا تردد، وبلا انحراف، وبلا جدال.

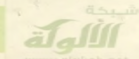
أما الادعاء والالتزام باللسان فقط فهذا شأن المنافقين وحال الكاذبين.

وانظر إلى هذا الأنموذج العظيم الذي كرَّم الله به الأُمة، وامتن عليهم بعظيم فضله، الأنموذج الذي أحسن الطاعة والانقياد والاتباع؛ إنهم الرعيل الأول أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم؛ الذين كان شعارهم قولاً وعملاً: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا).

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؛ بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا

---

(١) الأعراف: (١٥٧).
(٢) النور: (٤٧ - ٥٢).



نفرِّقُ بين أحدٍ من رُسُلِه وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ فلمَّا فعلُوا ذلك نَسخَهَا اللَّهُ تعالَى فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لا يُكلِّفُ اللَّهُ نفسًا إلاَّ وسْعهَا لها ما كسبت وعليها ما اكْتسبت ربَّنا لا تؤاخذْنَا إن نَّسينا أو أخطأْنا﴾، قالَ: «نعمْ» ﴿ربَّنا ولا تحمِلْ علَيْنَا إصرًا كما حملْتَه على الَّذين من قبلِنَا﴾، قالَ: «نعمْ» ﴿ربَّنا ولا تُحمِّلْنا ما لا طاقةَ لَنَا به﴾ قالَ: «نعمْ» ﴿واعفُ عنَّا واغفرْ لنا وارحمْنا أنت مولانا فانصرُنا على القومِ الكافرين﴾»[(١)].

وقد جاء الأمر بطاعة الله ورسوله في كتاب الله في ثلاثة وثلاثين موضعًا لأهميته، ولذا فيجب على كل مسلم الاتباعُ الكاملُ لرسول الله ﷺ.

فيجب أن يوحَّد رسول الله ﷺ في التحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحِّد المُرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المُرسِل سبحانه، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ، فلا يُحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحُكم غيره.

وقد بين لنا رسول الله ﷺ هذا في أحاديث عدة نذكر منها:

١ - عن أبي موسى الأشعري وعبد الله بْنِ مَسْعُود رضي الله عنهما قالا: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ خطًا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّه ثُمَّ خطَّ خُطُوطًا عَنْ يمينه وَعَنْ شِمَاله ثُمَّ قَالَ: هَذه سُبُلٌ قَالَ يَزِيدُ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ منْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْه ثُمَّ قَرَأَ ﴿وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه﴾»[(٢)].

٢ - وكذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه وَمَنْ يَأْبَى، قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[(٣)].

٣ - وكذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٢٥).

(٢) رواه أحمد (١/ ٤٣٥ - ٤١٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد حسن (تعليق شعيب الأرنؤوط)، ابن ماجه (١١) عن جابر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٧)، وقال: صحيح لغيره.

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٤) رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠١).





ومما سبق من الآيات والأحاديث يتضح لنا وجوبُ اتباع النبي ﷺ وأن الإسلام لا يتم إلا باتباع هديه ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ولذلك أُطلق على هذه الآية الكريمة آية المحبة.

فالحاصل أن النبي ﷺ إذا فعل حكمًا أو ترك حكمًا فهو عبادة في حقنا؛ إلا أن يقوم الدليل على اختصاصه ﷺ بذلك الحكم.

والأصل الرابع النصرة والتعزير والتوقير.

«وهي إجمالاً تعني التعظيم».

والتعظيم أعلى منزلة من المحبة؛ لأن المحبوب لا يلزم أن يكون مُعظَّمًا؛ كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه؛ فإنها تدعوه إلى تعظيمه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⁽٨⁾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١).

فذكر الله تعالى حقًا مُشتركًا بينه وبين رسوله ﷺ وهو الإيمان، وحقًّا خاصًا به سبحانه وهو التسبيح، وحقًّا خاصًا بالنبى ﷺ وهو التعزير والتوقير.

وحاصل ما قيل في معناهما إن التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حدِّ الوقار (٢).

وهذه المعاني هي المرادة بلفظ التعظيم عند إطلاقه؛ فإن معناه في اللغة: التبجيل، فلفظ التعظيم يؤدي المعنى المراد من التعزير والتوقير.

بل إن الله تعالى خاطب كليمه موسى عليه السلام فقال له مُخبرًا ومُبشرًا برسول الله ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ

---

(١) الفتح: (٨، ٩).

(٢) انظر: الصارم المسلول (١٤٢) لابن تيمية.



معه أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١)] ، وقد مرَّت معنا هذه الآية في الحديث عن الإتباع.

والتعزير والتوقير؛ والذي هو التعظيم أيضًا يشتمل على معانٍ منها:

١- ألا يُتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهي، ويأذن كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)]. وهذا باقٍ إلى يوم القيامة، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يدي سنته في حياته، ولا فرق بينهما.

٢- ألا تُرفع الأصوات فوق صوته، فما الظنُّ برفع الآراء ونواتج الأفكار على سنته وما جاء به؟!

٣- ألا يُنادى باسمه كسائر الناس؛ إنما يُقال له: يا رسول الله أو يا نبى الله! قال تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[(٣)].

٤- الأدب في مسجده وكذا عند قبره، وترك اللغط ورفع الصوت.

٥- توقير حديثه، والتأدب عند سماعه، وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عمومًا والمحدثين خصوصًا منهجٌ رصين ورصيدٌ ثري وإسهامٌ قوي في إجلال حديث رسول الله ﷺ وتوقير مجلس الحديث، والتحفز لاستباق العمل به تعظيمًا له.

٦- الدفاع عنه ﷺ ونصرته مع أعظم دلائل المحبة والإجلال فقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[(٤)].

ولقد ضرب الصحابةُ أروعَ الأمثلة وأصدقَ الأعمال في الدفاع عن رسول الله ﷺ وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره وفي العسر واليسر، وكُتبُ السِّير عامرة بقصصهم وأخبارهم التى تدل على غاية المحبة والإيثار والتعظيم ومن ذلك ما جاء عن عمر رضي الله عنه قال: لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل

---

(١) الأعراف: (١٥٧).

(٢) الحجرات: (١).

(٣) النور: (٦٣).

(٤) الحشر: (٨).



يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ، فقال: «يا أبا بكر! ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي»، فقال: يا رسول الله! أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال: «يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني»، قال: نعم، والذي بعثك بالحق! ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله! حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله! حتى أستبرئ الحجرة، فدخل واستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله(١).

وعن أبي طلحة الأنصارى أنه كان يحمي رسول الله ﷺ في غزوة أحد ويقول: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ(٢).

وعن مخرمة بن بكير عن أبيه رضي الله عنهما قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك»، قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد! إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «خبرني كيف تجدك»، قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله! أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه(٣).

رجل في الرمق الأخير من حياته ومع ذلك يشغله نبيه ﷺ أكثر من نفسه أو أبنائه أو أي أحد!!!.

ومن الدفاع عن النبي ﷺ الدفاع عن أصحابه رضي الله عنهم فقد أجمعت الأمة على أن جميع الصحابة رضي الله عنهم ثقات عدول، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة في بيان ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٤).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٦٨)، وهو صحيح مرسل (تعليق الذهبي في التلخيص).
(٢) رواه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) مطولاً.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤٩٠٦) والحديث مع إرساله فهو صحيح الإسناد (تعليق الذهبي في التلخيص).
(٤) الفتح: (١٨).



وقال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[(١)].

ومن حقوقهم علينا محبتهم، وتوقيرهم، والترضى عنهم، ومعرفة سابقتهم وفضلهم، واصطفاء الله تعالى لهم لصحبة خير خلقه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)].

وأيضًا الاهتداء بهديهم والاقتداء بسنتهم؛ فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[(٣)].

والقدح في الصحابة رضي الله عنهم قدح في النبي ﷺ فهم خاصته وبطانته، ولهذا فإن محبتهم من محبة النبي ﷺ.

والخلاصة أن التهاون في الذبِّ عن رسول الله ﷺ وشريعته من الخذلان الذى يدل على ضعف الإيمان، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته فهو كاذب في دعواه.

وأخيرًا الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، الذى أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(٤)]. ومن صلى عليه ﷺ نالته شفاعته ﷺ.

وبعد فليعلم أن ما ذكر نزر يسير من بحر عميق، وبستان فسيح حول حق النبي ﷺ ومكانته، فمن علم ذلك وضيع هذه المكانة فهو في غفلة عظيمة، وإن لم يستدرك أمره فسيؤول به الحال إلى خسران مبين.

---

(١) الفتح: (٢٩). (٢) الحشر: (١٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد في المسند (٤/١٢٦ - ١٧١٨٢)، وغيرهما وإسناده صحيح (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٤) الأحزاب: (٥٦).



الباب الرابع

قطوف من سيرته صلى الله عليه وسلم

• تمهيد:

إنه من الأهمية قبل أن نختم هذه الرحلة، مع هذه الرسالة ومع صاحبها بأن نشير إلى سيرته العطرة.

ولو مجرد إشارات لوقفات عابرة على أهم ملامح ومحطات هذه السيرة العطرة.

ولكن وقبل أن نخوض في ذلك سنقدم بين يديها أقوالاً لبعض من حاولوا الإنصاف ممن لم يتبعوه ولم يرتدوا عباءة الإسلام، ولكنهم قالوا شهادة حق سطروها في كتبهم أو من خلال أحاديث لهم.

ولذلك نعقد هذا الباب وهو خاتمة المطاف وعلى فصلين:

أحدهما بمثابة المقدمة: شهادة بين يدي القطوف.

والآخر: مع القطوف.



الفصل الأول
شهادة بين يدى القطوف

إنه لمن المسلَّم به أن النبي ﷺ ليس بحاجة لشهادة أحد من البشر أيًّا ما كان، فيكفيه شهادة الله له حيث قال تعالى: ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾(١).

إلا أنه من باب قول القائل: (الحق ما شهدت به الأعداء) نسوق بين يديك جملة من أقوال بعض المستشرقين الذين أُعجبوا بشخصية الرسول العظيم ﷺ. ومع كونهم لم يرتدُوا عباءة الإسلام فإنهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم. وهذا جزء من كل ما قالوا في عظيم شخصه وصفاته الجليلة ﷺ.

١- فهذا غاندى يقول في حديث لجريدة (يونج إنديا): أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته.

٢- المفكر الفرنسى لامارتين في كتابه (تاريخ تركيا)(٢) يقول: لو أن عِظَم الغاية وصِغَر الوسائل وقلة الموارد والنتائج المدهشة هي ثلاثة معايير لعبقرية الإنسان، فمن يجرؤ على مقارنة أي رجل عظيم في التاريخ الحديث بمحمد(٣)؟

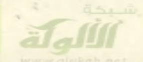
إن أشهر الرجال صنعوا الأسلحة وشرعوا القوانين ووضعوا النظريات وأسسوا الإمبراطوريات فقط، فهم لم يؤسسوا - لو اعتبرنا أنهم أسسوا شيئًا يذكر - أكثرَ من قُوًى مادية أو سلطات مادية كثيراً ما انهارت وزالت أمام أعينهم.

---

(١) النساء: (١٦٦).

(٢) انظر: تاريخ تركيا (٢/ ٢٦٧، ٢٧٧) - طبعة باريس ١٨٥٣م.

(٣) من حيث النقل فهؤلاء يذكرون النبي ﷺ باسمه مجرد ونحن نتأدب معه بما أمرنا الله به بإضافة النبوة أو الرسالة لاسمه وكذلك بالصلاة عليه ﷺ.



أما هذا الرجل محمد فإنه لم يحرك ويؤثر في الجيوش والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة فقط، ولكنه حرك وأثر في ملايين الرجال، بل الأكثر من ذلك أنه أزاح الأنصاب(١) والمذابح والآلهة الزائفة، وأثر في الأديان، وغير الأفكار، والاعتقادات، والأنفس.

ويقول: إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذى يجرؤ أن يقارن أيًا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته. انتهى.

فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادًا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيهم. لكن هذا الرجل (محمدًا) لم يقُد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.

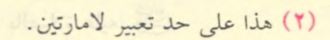
لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر من الله، وكان طموح النبي ﷺ موجهًا بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته ﷺ وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع، بل يدل على اليقين الصادق الذى أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث.

فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لابد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

- **ويستطرد لامارتين فيقول:**

هذا هو محمد ﷺ الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقَة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة(٢). هذا هو

(١) الأنصاب أي: الأصنام.


(٢) هذا على حد تعبير لامارتين.





محمد ﷺ. بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ ؟!

٣- بينما نظر إليه المستشرق السويسرى **إدوار مونتيه** (١٨١٠-١٨٨٢م) مدير جامعة جنيف ومدرس اللغات الشرقية - في مؤلفه (المدنية الشرقية) نظرته إلى الأنبياء التوراتيين القدماء بقوله: كان محمد نبيًا بالمعنى الذى كان يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية، وأخذ يسعى لانتشال قومه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرة، وليخرجهم من حالة الأخلاق المنحطة كل الانحطاط، ولا يمكن أن يُشَكَّ في إخلاصه، ولا في الحمية الدينية التى كان قلبه مفعمًا بها.

ويقول مونتيه نفسه في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن: كان محمد نبيًا صادقًا، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتَى رؤيا ويوحَى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين به كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه، فتُحدِثان فيه كما كانتا تحدثان فيهم ذلك الإلهامَ النفسيَّ، وهذا التضاعف في الشخصية، اللذين يُحدثان في العقل البشري المَرائي والتجليات والوحي والأحوال الروحية.

وقال: عُرِف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره[(١)]، وأشدهم حفاظًا على الزمام، فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم.

٤- **برناردشو[(٢)] في كتابه (محمد):** إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال؛ فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعنى أوروبا). إنَّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكننى اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل

(١) ذلك على حد قوله- والحق أنه ﷺ خير البشر أجمعين (المؤلف).

(٢) The Genuine islam, vol.1, no.81936 .



يجب أنْ يسمَّى منقذ البشرية! وفي رأيي أنَّه لو تولَّى أمر العالم اليوم، لوفق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

٥- مايكل هارت في كتابه (الخالدون مائة) يقول: إن اختيارى محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذى نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته.

ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوى أيضًا وَحَّدَ القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضًا في حياته فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها[1].

٦- ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) يقول: يبدو أن أحداً لم يعن بتعليم محمد القراءة والكتابة، ولم يعرف عنه أنه كتب شيئًا بنفسه، ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شئون الناس تعرفًا قلَّما يصل إليه أرقى الناس تعليمًا.

وقال: كان النبي من مهرة القواد، ولكنه كان إلى هذا سياسيًّا محنكًا، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم.

وقال: إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا: إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارةُ الجو وجدبُ الصحراء.

وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يُدانِه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلَّ أن نجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى؛ بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذى سلكوه، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء

(١) مايكل هارت في كتابه (مائة رجل في التاريخ) أو (الخالدون مائة).
.New york: hart publishing company inc 1978. P 33

جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم، دينًا سهلاً واضحًا قويًّا، وصرحًا خلقيًّا قوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم.

وقال: لسنا نجد في التاريخ كله مُصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب[١] ما فرضه عليهم محمد لإعانة الفقراء.

وقال: تدل الأحاديث النبوية على أن النبي كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين[٢].

٧- هنري دي كاستري يقول: إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي؛ ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية، علّني أجد في هذا البحث دليلاً جديدًا على صدقه وأمانته المتفق (تقريبًا) عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحى. وقال: ثبت إذن أن محمدًا لم يقرأ كتابًا مقدسًا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه.

وقال: ولقد نعلم أن محمدًا مرّ بمتاعب كثيرة، وقاسى آلامًا نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمحّضت للدين؛ ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس؛ لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون، وكان بغضهما متمكنًا من قلبه، وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه. وليت شعري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيّل وقوة الإدراك.. إلا أن يقول مرارًا ويعيد تكرارًا هذه الكلمات: (الله أحد، الله أحد). كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها؛ لبعدنا عن فكرة التوحيد.

وقال: لو رجعنا إلى ما وضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين، لأمكننا الوقوف على حالة مشيِّد دعائم الإسلام، وجزمنا بأنه لم يكن من

(١) يقصد الكاتب: الزكاة التي فرضها الله تعالى.

(٢) انظر: قصة الحضارة (١٣، ٢٢، ٢١، ٣٨، ٤٧، ٥٩، ١٦٧).



المبتدعين، ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل، إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسألة؛ لأن الصدق حاصل في كل حال.

وقال: لا يمكن أن ننكر على محمد في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلن يتزعزع مثقال ذرة من قلبه.

وفي الدور الثاني ـ الدور المدني ـ وما أُوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان، لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغًا لا محل للزيادة فيه، وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحًا، وكان قنوعًا خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته، تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيرًا ولا حشمًا، وقد احتقر المال[١].

٨- سبربت وآرنولد يقولان: لعله من المتوقع بطبيعة الحال أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية، هى الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين. وإذا كانت حياة النبي هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئًا عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي يُنتظر أن يتخذوها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجئ في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها.

وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك، وكيف كان النبي محمد يعد نموذجًا للداعي إلى الإسلام.

وقال: وقبيل وفاة محمد نرى جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريبًا تدين له بالطاعة، وإذا ببلاد العرب التي لم تخضع إطلاقًا لأمير من قبل تظهر في وحدة سياسية وتخضع لإرادة حاكم مطلق. ومن تلك القبائل المتنوعة، صغيرها وكبيرها، ذات العناصر المختلفة التي قد تبلغ المائة والتي لم تنقطع عن التنازع والتناحر خلقت رسالة محمد أمة واحدة، وقد جمعت فكرةُ الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسى واحد، ذلك النظام الذي سرت مزاياه في سرعة تبعث على الدهشة والإعجاب. وإن فكرة واحدة كبرى هي التي حققت هذه النتيجة، تلك هي مبدأ

(١) انظر: الإسلام خواطر وسوانح (٦ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٤)



الحياة القـومية في جزيرة الـعرب الوثنية، وهكذا كان النظام القـبلي لأول مرة وإن لم يقض عليه نهائيًّا؛ إذ كان ذلك مستحيلاً شيئًا ثانويًا بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية. وتكللت المهمة الضخـمة بالنجاح، فعندما انتقل محـمد إلى جوار ربه كانت السكينة ترفرف على أكـبر مساحة من شـبه الجزيرة العربيـة، بصورة لم تكن القبائل الـعربية تعرفها من قبل، مع شدة تعلقها بالتدمير وأخذ الثأر. وكان الدين الإسلامى هو الذى مهد السبيل إلى هذا الأئتلاف.

وقال: من الخطأ أن نفـترض أن مـحمـدًا في المدينة قد طرح مـهمـة الداعى إلى الإسلام والمبلغ لتعاليـمه، أو أنه عندما سيطر على جيش كبـير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى اعتناق الدين.

وقال: إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمـة التى كـان يصلح بها ذات بينـهم، والسيـاسة التي أوحت إليـه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكـل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفًا لديهم، كما جعل صيته ذائعًا في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيـدًا عظيمًا ورجلاً كريمًا. وكثيرًا ما كان يـفد أحد أفراد القبيلة على النبي بالمدينة ثم يعود إلى قومه داعيًا إلى الإسلام جادًّا في تحويل إخوانه إليه[١].

٩- يقول أستاذ اللغات الشرقية ورئيس مـجمع البحوث والآداب في باريس المستشرق الفرنسي كليمان هوار (١٨٥٤ -١٩٢٧م) في الجزء الأول من كتابه (تاريخ العرب): اتفقت الأخبار على أن محمدًا كان في الـدرجة العليا من شرف النفس، وكان يلقب بالأمين، أي بالرجل الثقة المعتمد عليه إلى أقصى درجة، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة.

١٠- ويتحدث الباحث الأرجنتيني دون بايرون (١٨٣٩-١٩٠٠م) في مؤلفه (أتح لنفسك فرصة) فيقول: اتفق المؤرخون على أن مـحمد بن عبد الله كان ممتازًا بين قومه بأخلاق حميدة، من صدق الحديث والأمانة والكرم وحسن الشمائل والتواضع، حتى سمـاه أهل بلده (الأمين)، وكان من شـدة ثقتهم به وبـأمانته يودعـون عنده ودائعهم وأماناتهم، وكان لا يشـرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيـدًا ولا احتفالاً،

(١) الدعوة إلى الإسلام (٣٤، ٥٤، ٥٥) عن: Muir (Sir Wiliam): Life of Mahomet, PP. 107-8 (London, 1858-1) .





وكان يعيش مما يدره عليه عمله من خير.

١١- ويقول المستشرق والمؤرخ الفرنسى رينيه غروسيه صاحب كتابَىْ (الحروب الصليبية) و(مدنيات من الشرق) في مؤلفه الأخير: كان محمد لما قام بهذه الدعوة شابًا كريمًا نجدًا، ملآن حماسة لكل قضية شريفة، وكان أرفع جدًّا من الوسط الذى يعيش فيه، وقد كان العرب يوم دعاهم إلى الله منغمسين في الوثنية وعبادة الحجارة، فعزم على نقلهم من تلك الوثنية إلى التوحيد الخالص البحت، وكانوا يهتفون بالفوضى وقتال بعضهم بعضًا، فأراد أن تُؤسَّس لهم حكومة ديموقراطية موحدة، وكانت لهم عادات وحشية همجية صرفة، فأراد أن يلطف أخلاقهم ويهذب من خشونتهم.

١٢- ويقول المستشرق الإيطالي **ميخائيل إيماري** في كتابه **(تاريخ المسلمين)**: وحسب محمد ثناءً عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات واشتداد المحن، وهو القائل: **«لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته»**. عقيدة راسخة، وثبات لا يقاس بنظير، وهمة تركت العرب مدينين لمحمد بن عبد الله؛ إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر.

١٣- وعقد المستشرق **ميشون** مقارنة بين تسامح الإسلام وتعصب الصليبيين، في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) قائلاً: إن الإسلام الذى أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو الذي أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرم قتل الرهبان - على الخصوص - لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها.

ويزيد الباحث نفسه في كتابه **(سياحة دينية في الشرق)** متحدثًا عن تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، وكيف أن المسيحيين تعلموا الكثير من المسلمين في التسامح وحسن المعاملة، فيقول: وإنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد.

١٤- يقول إدوارد جيبسون أوكلي في كتاب (تاريخ إمبراطورية الشرق - لندن ١٨٧٠، ص ٥٤): **«لا إله إلا الله محمد رسول الله»** هي عقيدة الإسلام البسيطة



والثابتة، إن التصور الفكرى للإله في الإسلام، لم ينحدر أبدًا إلى وثن مرئى أو منظور، ولم يتجاوز توقير المسلمين للرسول أبدًا حد اعتباره بشرًا، وقيدت أفكاره النابضة بالحياة شعور الصحابة بالامتنان والعرفان تجاهه، داخل حدود العقل والدين.

١٥- يقول ديوان شند شرمة في كتابه (أنبياء الشرق): لقد كان محمد روح الرأفة والرحمة، وكان الذين حوله يلمسون تأثيره ولم يغب عنهم أبدًا.

١٦- يقول جون وليام دريبر الحاصل على دكتوراه في الطب والحقوق في كتابه (تاريخ التطور الفكرى الأوروبي): ولد في مكة بجزيرة العرب عام (٥٦٩م)، بعد أربع سنوات من موت (جوستنيان الأول)[١] الرجلُ الذي كان له - من دون جميع الرجال - أعظم تأثير على الجنس البشري، وهو محمد.

١٧- يقول ر. ف. س. بودلي في كتاب (الرسول): إنني أشك أن أي إنسان لا يتغير لكي يلائم ويوافق التغيرات الكثيرة جدًا في ظروفه الخارجية، كما لم يتغير محمد.

١٨- يقول هـ. أ. ر. جب في كتاب (المحمدية): إنه من المسلَّم به عالميًّا بصفة عامة أن إصلاحاته رفعت من قدر المرأة ومنزلتها ووضعها الاجتماعي والشرعي[٢].

لقد كان محمد غير متباه وغير متفاخر إلى أبعد الحدود، وكان منكرًا لذاته إلى أقصى درجة. وما الألقاب التي اتخذها لنفسه؟ إنهما لقبان فقط: عبد الله ورسوله. عبده أولاً ثم رسوله، رسول نبي مثل كثير من الأنبياء في كل مكان من هذا العالم بعضهم معروف لنا وكثيرٌ منهم لا نعرفهم.

وبعد، فلا يسعنا إلا أن نقول بعد ما عرضنا بعض أقوال الغرب عن رسولنا الكريم ﷺ: يكفي شريعةَ الإسلام فخرًا وفضلاً أن شهد الخصوم لرسول الله ﷺ. وكما يُقال: الحق ما شهدت به الأعداء.

* * *

---

(١) جوستنيان - انويوثنيانوس الأول (٤٨٣-٥٦٥م): إمبراطور بيزنطة جمع شرائع الرومانية ودونها (المورد ١٩٩٠م).

(٢) لقد أعطى الإسلام المرأة الحق في الحياة والحرية وقد كانت توئد من قبل وتُورَّث، وأعطاها الحق في أن ترث وتشهد وتبيع وتشتري وتمتلك، وسمح لها بالمشاركة في البناء الروحي والفكري والمادي للمجتمع، وهي جميعها حقوق ومجالات كانت محرومة منها ومحظورة عليها من قبل أن يقررها الإسلام (المترجم).

الفصل الثاني
مع القطوف

إذا علمنا عن رسول الله ﷺ ماذكرنا من قبل فلا شك أن القلوب قبل العقول تسارع شوقًا إلى معرفة المزيد عن الرسول ﷺ، كيف كان ؟ وكيف عاش؟ وكيف تعامل مع ربه؟ وكيف تعامل مع من حوله؟ كيف كان يمشي؟ كيف كان يأكل؟ كيف كان يشرب؟ كيف كان يدعو؟ كيف أوذِيَ؟ وكيف صبر؟ وكيف جاهد؟ وكيف عَبد؟ كل هذه وغيرها أسئلة تحتاج إلى إجابة، والإجابة التي نجعلها مسك الختام هي تطوافة في روضة الحبيب المصطفي ﷺ مع سيرته، نعيش مع سيرته من خلال هذه السطور، والحقيقة أننا لا نملك أن نوفي هذه السيرة بعض ما يجب ولكنها رءُوس موضوعات وجمل يسيرة، قُصد بها فتح الطريق أمام ناشئة المسلمين وشبيبتهم لدراسات أعمق لهذه السيرة النبوية الخالدة.

• نسبه:

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن عبد مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا هو المتفق عليه في نسبه واتفقوا أيضًا أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.

• أسماؤه:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ لي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ الذي ليس بعده أحد»[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»[٢].

(١) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤).
(٢) رواه مسلم (٢٣٥٥).



• طهارة نسبه:

اعلم - رحمني الله وإياك - أن نبينا المصطفى على الخلق كله ﷺ، قد صانه الله من زلة الزنى، فولد من نكاح صحيح ولم يولد من سفاح، فعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (١).

وحينما سأل هرقل أبا سفيان عن نسب رسول الله ﷺ فقال: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا (٢).

• ولادته:

ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، وقيل: في الثاني منه، وقيل: في الثامن، وقيل: في العاشر، وقيل: في الثاني عشر.

قال ابن كثير: والصحيح أنه ولد عام الفيل، وقد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري، وخليفة بن خياط وغيرهما إجماعًا.

قال علماء السير: لما حملت به آمنة قالت: ما وجدت له ثقلاً، فلما ظهر خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب.

وفي حديث العرباض بن سارية قال: سمعت رسول اللَّه يقول: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ تَأْوِيلَ ذَلِكَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، دُعَاءُ ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، وَبِشَارَةُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وَرُؤْيَا أُمِّي رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّهَا وَضَعَتْ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورَ الشَّامِ» (٣).

وتوفي أبوه وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد ولادته بأشهر، وقيل: بسنة، والمشهور الأول.

• رضاعه:

أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أيامًا، ثم استرضع له في بني سعد، فأرضعته حليمة السعدية، وأقام عندها في بني سعد نحوًا من أربع سنين، وَشُقَّ عن فؤاده

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦). (٢) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) بنحوه.

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٢٧ - ١٧١٩٠) وهو صحيح لغيره (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٧٥٩).

هناك، واستخرج منه حظ النفس والشيطان، فردته حليمة إلى أمه إثر ذلك.

ثم ماتت أمه بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة وهو ابن ست سنين، ولما مرَّ رسول الله ﷺ بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة عام الفتح، زار قبر أمه.

كما يروي لنا ذلك أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه حيث قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: **«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»**[١].

فلما ماتت أمه حضنته أم أيمن وهي مولاته ورثها من أبيه، وكفله جده عبد المطلب، فلما بلغ رسول الله ﷺ من العمر ثماني سنين توفي جده، وأوصى به إلى عمه أبي طالب فكفله، وحاطه أتم حياطة، ونصره وآزره حين بعثه الله أعز نصر وأتم مؤازرة مع أنه كان مستمرًا على شركه إلى أن مات.

• صيانة الله تعالى له من دنس الجاهلية:

وكان الله سبحانه وتعالى قد صانه وحماه من صغره، وطهره من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل خلق جميل، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوه من طهارته وصدق حديثه وأمانته، حتى أنه لما أرادت قريش تجديد بناء الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره، فوصلوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضعه ثم اتفقوا أن يكون أول داخل عليهم، فكان رسول الله ﷺ فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه[٢].

• زواجه:

تزوج خديجة وله خمس وعشرون سنة، وكان قد خرج إلى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، وما كان يتحلى به من الصدق والأمانة، فلما رجع أخبر سيدته بما رأى، فرغبت إليه أن يتزوجها.

وماتت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت،

---

(١) رواه مسلم (٩٧٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٥-١٥٥٤٣) بإسناد صحيح (تعليق شعيب الأرنؤوط)، والحاكم في المستدرك (١٦٨٣) وله طرق يتقوى بها، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (١/ ٤٤).





فلما ماتت خديجة رضي الله عنها تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة، ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ولم يتزوج بكرًا غيرها، ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث رضي الله عنها، وتزوج أم سلمة واسمها هند بنت أمية رضي الله عنها، وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها، ثم تزوج رسول الله جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، ثم تزوج أم حبيبة رضي الله عنها واسمها رملة، وقيل: هند بنت أبي سفيان. وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، وهي آخر من تزوج رسول الله ﷺ.

• أولاده:

كل أولاده من ذكر وأنثى من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم، فإنه من مارية القبطْية التي أهداها له المقوقس.

فالذكور من ولده: القاسم وبه كان يكنى، وعاش أيامًا يسيرة، والطاهر والطيب.

وقيل: ولدت له عبد الله في الإسلام فلقب بالطاهر والطيب. أما إبراهيم فولد بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ومات قبله بثلاثة أشهر.

• بناته:

زينب وهي أكبر بناته، وتزوجها أبو العاص بن الربيع وهو ابن خالتها، ورقية تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفاطمة تزوجها على بن أبى طالب رضي الله عنه فأنجبت له الحسن والحسين رضي الله عنهما سيدا شباب أهل الجنة، وأم كلثوم تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد رقية، رضى الله عنهن جميعًا.

قال النووي: فالبنات أربع بلا خلاف، والبنون ثلاثة على الصحيح.

• مبعثه:

بعث لأربعين سنة، فنزل عليه الملك بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وكان إذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه وتغير وجهه وعرق جبينه.

فلما نزل عليه الملك قال له: اقرأ. قال: لست بقارئ، فغطه الملك حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له: اقرأ. فقال: لست بقارئ ثلاثًا.

ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)



﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١).

فرجع رسول الله إلى خديجة رضي الله عنها يرتجف، فأخبرها بما حدث له، فثبتته وقالت: أبشر، كلا والله! لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتعين على نوائب الدهر، وتكرم الضيف (٢).

ثم فتر الوحي، فمكث رسول الله ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئًا، فاغتم لذلك واشتاق إلى نزول الوحي، ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسي، وثبته، وبشره بأنه رسول الله حقًّا، فلما رآه رسول الله خاف منه، وذهب إلى خديجة وقال: زملوني دثروني، فأنزل الله عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (٣).

فأمر الله تعالى في هذه الآيات أن ينذر قومه، ويدعوهم إلى الله، فشمر عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله أتم قيام، يدعو إلى الله تعالى الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة ممن أراد الله تعالى فوزهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فدخلوا في الإسلام على نور وبصيرة، فأخذهم سفهاء مكة بالأذى والعقوبة، وصان الله رسوله ﷺ وحماه بعمه أبي طالب، فقد كان شريفًا مطاعا فيهم، نبيلاً بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول الله ﷺ لما يعلمون من محبته له.

قال ابن الجوزي: وبقي ثلاث سنين يتستر بالنبوة، ثم نزل عليه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (٤). فأعلن الدعوة.

فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (٥)، خرج رسول الله حتى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهْ»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ». قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا

---

(١) العلق: (١ - ٥).

(٢) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أصله في البخاري (٤)، ومسلم (١٦١) مطولاً عن جابر رضي الله عنه.

(٤) الحجر: (٩٤). (٥) الشعراء: (٢١٤).



ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(١).

• صبره على الأذى:

ولقي الشدائد من قومه وهو صابر محتسب، وأمر أصحابه أن يخرجوا إلى أرض الحبشة فرارًا من الظلم والاضطهاد فخرجوا.

قال ابن إسحاق: فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تطمع فيه حياته.

وعن عَبْد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: بَيْنمَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْط بِسَلَى جَزُور فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ»(٢).

وفي رواية أخرى: أن عقبة بن أبي معيط أخذ يومًا بمنكبه، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبوبكر فدفعه عنه وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي اللّه؟(٣).

• رحمته بقومه:

فلما اشتد الأذى على رسول الله بعد وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، خرج رسول الله إلى الطائف فدعا قبائل ثقيف إلى الإسلام، فلم يجد منهم إلا العناد والسخرية والأذى، ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، فقرر الرجوع إلى مكة.

وتروى لنا أمنا عائشةُ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُد قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْد يَالِيل بْن عَبْد كُلال فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَة قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا

(١) رواه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٨).



شئت إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين، فقال النبي: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[(١)].

وكان رسول الله يخرج في كل موسم، فيعرض نفسه على القبائل ويقول: «من يؤويني؟ من ينصرني؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[(٢)].

ثم إن رسول الله لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر فدعاهم فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا قومهم، حتى فشا الإسلام فيهم، ثم كانت بيعة العقبة الأولى والثانية، وكانت سرًا فلما تمت أمر رسول الله من كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالاً.

• هجرته إلى المدينة:

كانت هجرته ﷺ درسًا عظيمًا في الأخذ بالأسباب ثم حسن التوكل على الله تعالى حيث خرج هو وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ في رحلة الهجرة، والتي شهدت أحداثًا كثيرة سجلتها لنا كتب السير والتاريخ، حتى دخل المدينة فتلقاه أهلها بالرحب والسعة، فبنى فيها مسجده ومنزله.

• غزواته:

بعد أن أسس النبي ﷺ المجتمع المسلم بالمدينة والذي بدأه بالمسجد، أخذ في إرسال الرسائل والسرايا لمن حوله ﷺ وكانت غزواته التي شارك فيها النبي ﷺ حافلة بالدروس والعبر والتشريعات، ونقل لنا الصحابة من خلالها الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ.

وقد شارك رسول الله ﷺ في سبع وعشرين غزاة كما يروي لنا ذلك ابن عباس ﷺ قال: لما خرج رسول الله من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فأنزل الله عز وجل: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا**﴾[(٣)]. وهي أول آية نزلت في القتال[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم(١٧٩٥).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٣٩-١٤٤٩٦) بسند صحيح على شرط مسلم (تعليق شعيب الأرنؤوط)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٤٧).

(٣) الحج: (٣٩).

(٤) رواه الترمذي (٣١٧١، ٣١٧٢)، والنسائي (٣٠٨٥)، وصححه الالباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٥).





وغزا رسول الله سبعًا وعشرين غزاة، قاتل منها في تسع: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وبعث ستًا وخمسين سرية.

• حج النبي واعتماره:

لم يحج النبي بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة، وهي حجة الوداع وفيها نزل عليه قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[1]، وفيها أشهد رسول الله ﷺ الله على أمته أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة. وكانت هذه الحجة بمثابة الموسوعة التشريعية للأمة حيث بيَّن فيها رسول الله ﷺ الكثير من التشريعات لصحابته الذين تجاوزوا المائة ألف يسألونه ويجيبهم.

أما بالنسبة للعمرة؛ فالأولى عمرة الحديبية التي صدَّه المشركون عنها، والثانية عمرة القضاء، والثالثة عمرة الجعرانة، والرابعة عمرته مع حجته.

• صفته:

كان رسول الله ﷺ ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون - أي: أبيض بياضًا مشربًا بحمرة - أشعر، أدعج العينين - أي: شديد سوادهما - أجرد - أي: لا يغطى الشعر صدره وبطنه - ذو مسربة - أي: له شعر يكون في وسط الصدر والبطن.

• أخلاقه:

كان أجود الناس، وأصدقهم لهجة، وألينهم طبعًا، وأكرمهم عشرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وكان أشجع الناس وأعفَّ الناس وأكثرهم تواضعًا، وكان أشدَّ حياء من العذراء في خدرها، يقبل الهدية ويكافئ عليها، ولا يقبل الصدقة ولا يأكلها، ولا يغضب لنفسه، وإنما يغضب لربه، وكان يأكل ما وجد، ولا يدخر ما حضر، ولا يتكلف ما لم يحضره، وكان لا يأكل متكئًا ولا على خوان، وكان يمر به الهلال ثم الهلال ثم الهلال، وما يوقد في أبياته نار، وكان يجالس الفقراء والمساكين، ويعود المرضى، ويمشي في الجنائز.

---

(١) المائدة: (٣).





وكان يمزح ولا يقول إلا حقًّا، ويضحك من غير قهقهة، وكان في مهنة أهله، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»(١).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ وَاللَّهِ! مَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَلا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلا فَعَلْتَ كَذَا(٢).

وما زال يلطف بالخلق ويريهم المعجزات، فانشق له القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وحنَّ إليه الجذع، وشكا إليه الجمل، وأخبر بالغيوب فكانت كما قال.

• فضله:

فَضلَه اللَّه تعالى على سائر خلقه بفضائل كثيرة منها:

ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(٣).

وفي أفراد مسلم من حديث أنس عن النبي أنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»(٤).

وفي أفراده من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٥).

• عبادته ومعيشته:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!. قَالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»(٦).

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨)، مسلم (٢٣٠٩).

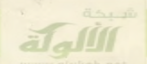
(٣) رواه البخاري (٤٣٨)، مسلم (٥٢١).

(٤) رواه مسلم (١٩٦).

(٥) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٦) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).





وقالت: وكان مضجعه الذي ينام عليه في الليل من أدم محشواً ليفًا!!

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول اللَّه يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً[١] يملأ بطنه[٢].

ما ضره من الدنيا ما فات وهو سيد الأحياء والأموات، فالحمد لله الذي جعلنا من أمته، ووفقنا الله لطاعته، وحشرنا على كتابه وسنته آمين، آمين.

• من أهم الأحداث:

١- حادثة شق الصدر:

كانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوي أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، وقد استرضع لرسول الله ﷺ امرأة من بني سعد بن بكر- وهي حليمة بنت أبي ذؤيب - وزوجها الحارث بن عبدالعزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة.

وإخوته هناك من الرضاعة عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة أو جذامة بنت الحارث- وهي الشيماء- وكانت تحضن رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ.

وكان عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعًا في بنى سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يومًا وهو عند أمه حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله ﷺ من وجهين: من جهة ثويبة، ومن جهة السعدية.

ورأت حليمة من بركته ﷺ العجب العجاب والتي ظهرت في نسمات البركة التي استشعرتها مع إرضاعها له، والبركات التي حلت على المرعى والمكان وما يملكون. وقد سعدت به سعادة كبيرة حتى بقي معهم إلى أن بلغ السنة الرابعة أو الخامسة من مولده ﷺ فوقع حادث شق صدره.

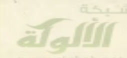
يروي لنا ذلك أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ

---

(١) الدقل: رديء التمر.

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٨).





فِي مَكَانِه وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أُرِئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ(١).

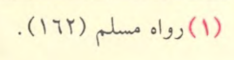
وخشيت عليه حليمة بعد هذه الوقعة حتى ردته إلى أمه فكان عند أمه إلى أن بلغ ستَّ سنين ﷺ.

٢- أحداث مؤلمة وعام الحزن:

وقعت أربع حوادث ضخمة - بالنسبة للمشركين - خلال أربعة أسابيع، أو في أقل، منها: إسلام حمزة ثم إسلام عمر، ثم رَفْض رسول الله ﷺ مساومتهم، ثم تواثق بنو المطلب وبنو هاشم كلهم مسلمهم وكافرهم على حياطة محمد ﷺ ومنعه، فاجتمع صناديد قريش وتعاهدوا على ظلم عظيم، وهو ضرب حصار اقتصادي على بني هاشم وبني المطلب على ألا يناكحوهم،ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق، وقد دعا رسول الله ﷺ على كاتب الصحيفة فشلت يده وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة.

فَحُصِرَ بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم - إلا أبا لهب - وحبسوا في شعب أبي طالب، واشتد الحصار واستمر ثلاثة أعوام يعانون فيها أشد المعاناة.

وما أن مرت الثلاثة أعوام حتى تعاهد كل من هشام بن عمر، وزهير بن أبي أمية المخزومي، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، تعاهدوا على أن ينقضوا هذه الصحيفة الجائرة، فذهبوا إلى مجلس قريش في ناديهم ونادوا بنقض هذه الصحيفة، وقد جاء أبو طالب وجلس في ناحية من المسجد ليتابع الأمر حيث أخبره رسول الله ﷺ أن الوحي قد أخبره أن الله أرسل الأرضة على هذه الصحيفة، فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله تعالى، وقد جاءهم أبو طالب ليخبرهم بذلك، فإن كان محمد كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فقام المطعم بن عدي إلى



(١) رواه مسلم (١٦٢).



الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا - باسمك اللهم -، وما كان فيها من اسم الله لم تأكله.

وتم نقض الصحيفة، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشِّعب [١]، وقد رأى المشركون آية عظيمة من آيات نبوته، ولكنهم كما أخبر الله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [٢]، أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرا إلى كفرهم.

وجاء عام الحزن وهو العام العاشر من النبوة، بعد الخروج من الشِّعب بستة أشهر حيث توفي عمه أبو طالب، ثم توفيت زوجه خديجة رضي الله عنها إلى رحمة الله تعالى بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو ثلاثة، وقيل: بعد أيام قلائل.

وقد وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله ﷺ، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه فازداد غمًا على غمٍّ، حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه فلم ير من يؤوه ولم ير ناصرًا، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه فحق أن يسمى هذا العام بعام الحزن.

وهنا يقف الحليم حيران، ويتساءل عقلاء الرجال فيما بينهم: ما هى الأسباب والعوامل التى بلغت بالمسلمين إلى هذه الغاية القصوى، والحد المعجز من الثبات؟ كيف صبروا على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود وترجف لها الأفئدة ؟ إنه التثبيت من الله عز وجل، والتربية، والتأسيس، والتمحيص ثم التهيئة.

وقدر الله أن يلتقى رسول الله ﷺ بستة نفر من شباب يثرب في موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، وهم من الخزرج، ومن بينهم: أسعد بن زرارة، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام؛ فأسلموا ورجعوا إلى أهلهم بهذه الدعوة.

٣- رحلة الإسراء والمعراج:

وسط هذه الأحزان والآلام أراد ربُّ الأنام أن يسري عن عبده وحبيبه محمد ﷺ فأكرمه أيما إكرام فلم يقف كرمه على أن يُنزل عليه وعلى قلبه السكينة والتثبيت، بل

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٧-٢٩٠) طبعة دار الحديث محققة، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦٥).
(٢) القمر: (٢).



تفضل وتكرم عليه بما لم يسبق لنبي من قبله حيث استضافه الله ﷺ عنده فوق سبع سماوات في رحلة عظيمة هي رحلة الإسراء والمعراج، ومن أهم ملامحها أن صدر رسول الله ﷺ قد شق قبلها - كما في الصحيح -، وأن رسول الله ﷺ أسرى به من مكة إلى بيت المقدس - طهره الله ورده إلى المسلمين رداً جميلاً -، ثم عرج به إلى السماء فمرَّ على الأنبياء في السماوات حتى بلغ السماء السابعة ومن بعدها سدرة المنتهى، وهناك فرضت عليه الصلاة ثم عاد إلى مكة مرة أخرى(١).

وقد عاين آيات كثيرة في هذه الرحلة العظيمة حتى مكنه الله من وصف بيت المقدس لقومه بعد عودته بأن كشفه الله له فطفق يصفه لهم.

ويروي لنا ذلك عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا اللَّه لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»(٢).

٤- بيعة العقبة الأولى:

وكانت في موسم الحج السنة الثانية عشرة من النبوة، وكانوا اثني عشر رجلاً فيهم خمسة من الستة الأوائل الذين أسلموا في العام السابق، والسادس تخلف وهو جابر بن عبد الله لرعاية أهله، وسبعة سواهم فيهم عبادة بن الصامت، وأربعة آخرون من الخزرج أيضًا، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة من الأوس رضي الله عنهم جميعًا.

وكانت عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء - أي: وفق بيعتهن التي نزلت عند فتح مكة -؛ فعن عبادة بن الصامت: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ(٣). ثم أرسل معهم رسول الله ﷺ أول سفير للإسلام إلى المدينة، وهو مصعب بن عمير العبدري.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥) طبعة دار الحديث محققة.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٠)، مسلم (١٧٠).

(٣) رواه البخاري (١٨)، مسلم (١٧٠٩).



٥- بيعة العقبة الثانية:

وكانت في الموسم التالى للحج في الثالثة عشرة من النبوة، وكان عددهم بضعًا وسبعين نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، وقد واعدوا رسول الله ﷺ من أوسط أيام التشريق، وقد روى لنا الأمام أحمد بنود هذه البيعة عن جابر رضي الله عنه مفصلاً.

قال جابر: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! نُبَايِعُكَ. قَالَ: «تُبَايِعُونى عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِى النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ»(١).

وقد قام أبو الهيثم بن التيهان أثناء البيعة، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟. قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ»(٢).

٦- الهجرة:

أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وكان هذا حدثًا عظيمًا، تغيرت معه ملامح وصورة الدعوة حيث بدأ معه تأسيس المجتمع المسلم بكامل مقوماته، وضرب رسول الله ﷺ في قصة هجرته المثل الأعلى في الأخذ بالأسباب، وحسن التوكل على الله مع ذلك وبعد ذلك، وقد اصطحب معه صاحبه الصديق أبا بكر الصديق رضي الله عنه. وقد حدث في طريق الهجرة أحداث عظيمة سجلها التاريخ، وأوردها المؤرخون في كتب السير والتاريخ والمجال لا يتسع لإيرادها.

وبعد أن وصل رسول الله ﷺ وأضاءت المدينة بحلوله بها، وانتقلت الدعوة إلى مرحلة تكوين المجتمع المسلم ببنيته المتكاملة، ومرت الدعوة بمراحل متعددة نجملها فيما يلي:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٣٩-١٤٦٩٤) بسند حسن مطولاً (تعليق شعيب الأرنؤوط، وقال: حديث صحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٦٠-١٥٨٣٦)، بسند حسن مطولاً عن كعب بن مالك رضي الله عنه (تعليق شعيب الأرنؤوط، وقال: حديث قوي)، وصححه الألباني في فقه السيرة (١/ ١٤٦).



- مرحلة تأسيس المسجد والتأليف بين المسلمين والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

- إثارة القلاقل والفتن من الداخل والخارج من اليهود والمنافقين إضافة إلى قريش وغيرها من الخارج، وانتهت هذه المرحلة بصلح الحديبية سنة ست من الهجرة.

- مرحلة الهدنة مع قريش بعد صلح الحديبية والتي انتهت بفتح مكة سنة ثمان من الهجرة.

- مرحلة دخول الناس في دين الله أفواجًا.

٧- غزوة بدر الكبرى:

وقعت في السنة الثانية من الهجرة، وكانت بحق موقعة الفرقان بين الحق والباطل؛ أيَّد فيها الله نبيه وأصحابه، وأنزل معهم الملائكة ونصرهم نصرًا عزيزًا مؤزرًا، وأخزى الكفار وأطاح بصناديدهم، وقد أبلى النبي ﷺ بلاءً عظيمًا من حيث الأخذ بالأسباب، وإرساء قاعدة الشورى، وحسن التوكل على ربه ﷺ، كما أبلى صحابته بلاءً حسنًا.

وكانت بذلك هذه الغزوة بداية لانطلاق النور الدعوى في أرجاء الجزيرة العربية(١).

٨- موقعة أحد:

كانت في السنة الثالثة للهجرة، وكانت محكًّا وتهيئة عظيمة للأمة لتتقلد ريادة العالم حيث محص الله عز وجل فيها المؤمنين ورباهم ولقنهم درسًا عظيمًا في تقدير نبيهم ﷺ حق قدره، وفي انكسارهم بخشوع لربهم، وتحقيق اليقين في أن النصرة من عند الله عز وجل وبيده، وقد انتفع المؤمنون بهذا الدرس أيما انتفاع، وترجموا ذلك عمليًّا بعد المعركة مباشرة بمتابعتهم مع رسول الله ﷺ لجيش قريش والذي عاد إلى مكة، ولم يسع إلى المدينة مرة أخرى كما توعد.

وفضح الله تعالى فيها المنافقين واليهود شر فضيحة، وعرى خيانتهم وحقدهم وكراهيتهم لهذا الدين أيما تعرية.

فكانت هذه الموقعة مدرسة تربوية تأديبية تأسيسية عظيمة للأمة(٢).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١١) طبعة دار الحديث محققة.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠) طبعة دار الحديث محققة.





وتلاحقت بعد ذلك أحداث وغزوات نجمل بعضها فيما يلي:

في السنة الرابعة: للهجرة كان من أهم أحداثها غزوة بني النضير، وفيها أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير عن المدينة؛ لأنهم نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين.

في السنة الخامسة: كانت غزوة بني المصطلق، وغزوة الأحزاب، وغزوة بني قريظة.

في السنة السادسة: كان صلح الحديبية، والذي يعد فتحًا عظيمًا ودليلاً دامغًا على صدق ونبوة محمد ﷺ حيث أبدى رسول الله ﷺ تساهلاً مع قريش إلى الدرجة التي كادت أن تفتن كثيرًا من المسلمين حتى أنها تعد دليلاً كبيرًا على صديقية أبي بكر رضي الله عنه الذي لم يتململ في تصديق نبيه، وقال قولته المشهورة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: الزم غرزك يا عمر إنه رسول الله ﷺ(١).

وفي هذه السنة حُرِّمت الخمر تحريمًا قاطعًا.

في السنة السابعة وقعت غزوة خيبر، وفيها دخل رسول الله ﷺ والمسلمون مكة واعتمروا، وتزوج رسول الله ﷺ فيها صفية بنت حيي بن أخطب.

في السنة الثامنة كانت غزوة مؤتة بين المسلمين والروم، وكان الفتح العظيم لمكة حيث ردَّ الله رسوله إلى بلده فدخلها ﷺ ظافرًا منصورًا، متواضعًا منكسرًا لربه.

وقال قولته الشهيرة حينما سأل أهل مكة: «**ماذا تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: إن تعفو فهذا ظننا بك، وإن تعاقب فقد أساءنا - وفي لفظ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ــ فقال ﷺ: «**لا أقول لكم إلا ما قال يوسف لإخوته؛ لا تثريب عليكم اليوم**»، وفي رواية قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(٢).

وكذلك وقعت غزوة حنين التى كانت ضد قبائل هوازن وثقيف، وكانت درسًا عظيمًا للمسلمين، وبيانًا عمليًا لشجاعة وثبات رسول الله ﷺ حيث كاد المسلمون أن ينهزموا لولا فضل الله ثم ثبات النبي ﷺ الذي وقف ثابتًا يقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»(٣). فأيده الله ونصره نصرًا مؤزرًا، وعنها قال الله تعالى:

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض (١/ ١٢٣ - ٢١١) وقال: إسناده حسن، سنن البيهقي (٩/ ١١٨)، تاريخ الطبري (٢/ ١٦١)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٠١).

(٣) رواه البخاري (٢٩٣٠)، مسلم (١٧٧٦).





﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (١).

في السنة التاسعة: كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزواته ﷺ، وكان فيها تشريعات ودروس كثيرة للمسلمين، وفي هذه السنة قدمت الوفود على رسول الله ﷺ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وسمي هذا العام بعام الوفود.

السنة العاشرة: حجة الوداع، وحج فيها مع النبي أكثر من مائة ألف مسلم.

في السنة الحادية عشرة:

• وفاة الرسول ﷺ:

- بداية المرض:

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ وكان يوم الاثنين؛ شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه واتقدت الحرارة، حتى أنهم يجدون سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه.

وقد صلى النبي ﷺ بالناس وهو مريض أحد عشر يومًا، وجميع أيام المرض كانت ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا.

- الأسبوع الأخير:

وثقل برسول الله ﷺ المرض، فجعل يسأل أزواجه: «**يَقُولُ: أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا**» (٢).

وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية التى حفظتها من رسول الله ﷺ فكانت تنفث على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة.

- قبل الوفاة بخمسة أيام:

ويوم الأربعاء قبل أيام من الوفاة، اتقدت حرارة العلة في بدنه، فاشتد به الوجع وغمي، فقال ﷺ: «**صُبُّوا عَلَيَّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ سَبْعِ آبَارٍ شَتَّى حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ**»، قَالَتْ: **فَأَقْعَدْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ فَصَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَاءَ صَبًّا** (٣).

(١) التوبة: (٢٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٤٤٤٢)، ومسلم (٤١٨) عن عائشة رضي الله عنها.





وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد - وهو معصوب الرأس - حتى جلس على المنبر وخطب الناس - والناس مجتمعون حوله - فقال: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»(٢).

ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها، ثم أوصى بالأنصار قائلاً: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»، وفي رواية أنه قال: «إِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ». قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ إِلا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»(٤).

- قبل أربعة أيام:

ويوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام قال - وقد اشتد به الوجع -: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالاخْتِلافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُومُوا عَنِّي»، وأوصى ذلك اليوم

---

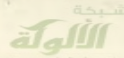
(١) رواه البخاري (٤٤٤٣)، ومسلم (٥٢٩)، وليس فيه أنه خرج اليهم معصوب الرأس ولا خطب علي المنبر والناس مجتمعون.

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك (٤١٤) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وصححه الالباني في فقه السيرة (١/ ٥٣).

(٣) رواه البخاري (٢٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠).

(٤) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).





بثلاث، قال: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ» وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ (١)، ولعله الوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة، أو تنفيذ جيش أسامة، أو هي (الصلاة وما ملكت أيمانكم).

والنبي ﷺ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلى بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - فعَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقْرأُ فِى الْمَغرِبِ بِالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا، ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ (٢).

ثم ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد، وتروي لنا أمنا عائشة ذلك حيث قالت: ثَقُلَ النَّبِىُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَصلَّى النَّاسُ؟»، قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ. قَالَ: «ضَعُوا لِى مَاءً فِي الْمِخْضَبِ»، قَالَتْ: فَفَعَلْنَا. فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟»، قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِى الْمِخْضَبِ». قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟». قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «ضَعُوا لِى مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» فَقُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِى الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ لِصَلاةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا: يَا عُمَرُ! صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ. ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لا يَتَأَخَّرَ قَالَ: «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ» فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسُ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ (٣).

(١) رواه البخاري (٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧) بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٣) رواه البخاري (٦٨٧) ومسلم (٤١٨) بنحوه.





وجاء في بعض ألفاظ الرواية أن أمنا عائشة رضي الله عنها راجعته فقالت: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي فَلا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَة، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ**»، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ**» فَصَلَّى(١) .

- قبل يوم:

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي ﷺ غلمانه، وتصدَّق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين، أسلحته وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح، من جارتها، تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ(٢) .

- آخر يوم من الحياة:

يروي لنا ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: إن الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِى صُفُوفِ الصَّلاة، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاة، فَقَالَ أَنَسٌ: وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاتِهِم فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ(٣). ثم لم يأت على رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرى.

ولما ارتفع الضحى، دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِى قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنَّه يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ، وبشر النبي ﷺ فاطمة قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ! أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(٤) .

ولما ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاه، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: وَاكَرْبَ أَبَتَاه، فَقَالَ:

---

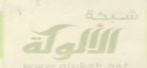
(١) رواه البخاري (٧١٣)، ومسلم (٤١٨) .

(٢) رواه البخاري (٢٩١٦).

(٣) رواه البخاري (٤٤٤٨)، ومسلم (٤١٩).

(٤) رواه البخاري (٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠) بنحوه.





«لَهَا لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»(١). ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وطفق الوجع يشتد ويزيد وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حتى كان يقول: «يا عائشة! إنى أجد ألم الطعام الذى أكلته بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم»(٢).

- **الاحتضار:**

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم اللَّه على أن رسول اللَّه ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن اللَّه جمع بين ريقي وريقه عند موته. دخل عليَّ عبد الرحمن بن أبى بكر وبيده السواك، وأنا مسندة رسول اللَّه ﷺ فرأيته ينظر إليَّ، وعرفت أن يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أُلَيِّنَهُ لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليَّنْتُه فأَمَرَه وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجه، يقول: «**لا إله إلا اللَّه إن للموت سكرات**»، **ثم نصب يدَه فجعلَ يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبِضَ ومالت**(٣).

وفي رواية: وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو إصبعه، وشخص بصره نحو السقف وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة ﵂ وهو يقول: «**مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**»(٤).

وفي رواية: «**اللَّهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى**»(٥). كرر الكلمة الأخيرة ثلاثًا، ومالت يده، ولحق بالرفيق الأعلى؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقالت ابنته فاطمة ﵂: يَا أَبَتَاهُ! أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاه! مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ: يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ(٦).

---

(١) رواه البخاري (٤٤٦٢) عن أنس ﵁.
(٢) رواه البخاري (٤٤٢٨).
(٣) رواه البخاري(٤٤٤٩)، ومسلم (٢٤٤٣) بنحوه.
(٤) رواه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (٢٤٤٤) واللفظ لمسلم.
(٥) رواه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤) بنحوه.
(٦) رواه البخاري (٤٤٦٢) بنحوه مطولاً.





ووالله! إن لمصاب الأمة في رسول الله ﷺ لا يعادله مصاب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذه أمنا عائشة رضي الله عنها تروي لنا موقف التثبيت من الله تعالى للصديق رضي الله عنه في مقابل انخلاع القلب للفاروق عمر رضي الله عنه، والموقف عصيب والمصاب عظيم كادت القلوب أن تنخلع والعقول أن تذهل له.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا فَخَرَجَ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَأَبَى، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ. فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (١).

ثم نحن نُشهد الله أن رسوله ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وتركنا على البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ما ترك باب خير إلا ودلنا عليه، ولا باب شرٍّ إلا وحذرنا منه، فاللَّهم اجزه عنا خيرما جزيت نبيًّا عن أمته ورسولاً عن منهجه ورسالته، اللَّهم واحشرنا في زمرته ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله... آمين.. آمين.



---

(١) رواه البخاري (١٢٤١، ١٢٤٢).



خاتمة

حاجة الإنسانية إلى منهج النبي محمد ﷺ:

ما أحوج العالم اليوم إلى منهج حق وعدل ليسود السلام والأمان ربوع العالم كله.. نعم.. فعالمنا اليوم يموج في بحر من الظلمات.. ظلم وطغيان، وسفك دماء، وشعوب تباد وأخلاق تدمر، وقيم ومثاليات تهدم، وأحوال تبدل، حتى أصبح الباطل حقًّا، والحق باطلاً، وقام الهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والكذب مقام الصدق، والخيانة مقام الأمانة، فأدى ذلك إلى انحراف في الفطر، وظلمة في القلوب، وكدر في الأفهام، وربى في ذلك الصغير، وهرم فيه الكبير، وأصبح باطن الأرض خيراً من ظاهرها، ومعاشرة الوحوش أهون من معاشرة البشر، وكأن الدنيا أصبحت تحكم بمنهج الغابة؛ بل هي كذلك.

ويذكرنا هذا الحال بحال الدنيا قبل بعثة الرحمة المهداة والنعمة المسداة النبي محمد ﷺ حيث كانت تئن بظلم الظالمين، وغياب قانون الحق، وسيادة قانون الباطل، فأرسله الله عز وجل رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأذن الله عز وجل بانجلاء الليل، وبزوغ الفجر، ليسود العدل وتعلو القيم والمبادئ والأخلاق في ربوع الدنيا وذلك في سنوات معدودات.

فلنقرأ التاريخ.. فهو خير شاهد على ذلك لنتعرف كيف أسس رسول الله ﷺ أمة، وكيف ربَّى رجالاً سادوا، ونشروا النور والحق والعدل في مشارق الأرض ومغاربها.

ثم عاد الظلام ليبسط يده على الدنيا مرة أخرى، وذلك حينما تخلت أمة الحق عن رسالتها، وأخفقت في بث منهج نبيها محمد ﷺ، وتوارت واحتجبت عن دورها وأمانتها فتركت كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

وتداولتها الأيام بين إخفاق وانزواء عندما تبتعد عن منهج نبيها ﷺ وبين تمكين واستعلاء حينما تعود إليه.

فهلا اشتاقت الإنسانية إلى عدل النبي محمد ﷺ وصحابته؟!

وهلا طالب العالم بحكمة مثل حكمته في سياسة أمور من حوله وأمته والدنيا بأسرها؟!

وهلا نادت الدنيا على حق يسود فيها مثل الحق البين الذي جاء به النبي محمد ﷺ؟!



وهلا نقب البشر عن أخلاق مثل الأخلاق التي عاش بها رسول الله ﷺ وربى عليها صحابته، وتركها كنزًا لأمته وللدنيا من بعده؟!

ثم هلا تساءل وبحث العالم عمن يحل له معضلاته ومشاكله مثلما فعل النبي محمد ﷺ؟!

هلا.. وهلا.. وهلا؟!

وبعد؛ فهذا نداء إلى كل مسلم: يا من شرفك الله بهدايتك إلى طريق التوحيد ومعرفة رب العرش العظيم، يا من أعزك الله تعالى بهذا الدين الحنيف وهذا الشرع القويم؛ أما آن لك أن تقوم برسالتك التي كلفك الله تعالى بها بتبليغ هذا النور، وهذا الحق إلى البشر أجمعين، وأعظم ما تؤدي به هذه الرسالة أن تكون في ذاتك قدوة للآخرين تجسد من خلالها عظيم أخلاق نبيك الكريم ﷺ لتعيد للبشرية هذا الميراث العظيم من أعظم قدوة وأسوة أخرجت للعالمين.

أما آن لك أن تقوم بالدعوة إلى دين ربك الذي اختاره للعالمين وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمرك رب العرش العظيم وعلمك نبيك الكريم ﷺ؟!

أما آن لك أن تقوم لتذب عمن بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وذلك باتباع سنته ونصرته وتوقيره وتعزيز امتثالاً لأمر ربك العزيز الحكيم؟!

ثم هذا نداء إلى كل صاحب قلب حي... وضمير يبحث عن الحق نقول له بكل إخلاص وحب: ضالتك هنا في هذا الدين القيم، ومن خلال هذا المنهج القويم.

فهيا أسرع وأقبل قبل أن يفوت الأوان ونصبح نادمين، ونردد ما قاله ربنا جل جلاله على لسان النادمين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

وكتبه

محمد بن عبد السلام معاطي

(أبو أحمد)

عفا الله عنه

٦ شعبان ١٤٢٨هـ/ ١٩ أغسطس ٢٠٠٧م

(١) المؤمنون: (٩٩، ١٠٠).



المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير ابن كثير.
٣- تفسير القرطبي.
٤- روح المعاني للألوسي.
٥- أضواء البيان للشنقيطي.
٦- فتح القدير للشوكاني.
٧- الإتقان للسيوطي.
٨- مناهل العرفان للزرقاني.
٩- إعجاز القرآن أبو بكر فخر الطيب.
١٠- فضائل القرآن لابن كثير.
١١- جوهر القرآن أبو حامد الغزالي.
١٢- أصول السنة للإمام أحمد.
١٣- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.
١٤- أعلام النبوة للماوردي.
١٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي.
١٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.
١٧- دلائل النبوة للبيهقي.
١٨- تميهد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني.
١٩- معارج القبول لحافظ بن أحمد حكمي.
٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
٢١- شرح صحيح مسلم للنووي.
٢٢- مسند الإمام أحمد.
٢٣- مسند أبي داود.
٢٤- مسند الترمذي.
٢٥- مسند النسائي.
٢٦- مسند ابن ماجه.
٢٧- المستدرك للحاكم.
٢٨- المعجم الكبير للطبراني.
٢٩- المعجم الأوسط للطبراني.
٣٠- شعب الإيمان للبيهقي.
٣١- حلية الأولياء للأصبهاني.
٣٢- الإرواء للألباني.
٣٣- السلسلة الصحيحة للألباني.
٣٤- صحيح الجامع للألباني.
٣٥- مشكاة المصابيح للألباني.
٣٦- صحيح السيرة النبوية للألباني،



٣٧- إرشاد الفحول للشوكاني.
٣٨- الإحكام لابن حزم.
٣٩- المستصفى لأبي حامد الغزالي.
٤٠- الموافقات للشاطبي.
٤١- مجموع الفتاوى لابن تيمية.
٤٢- الصارم المسلول لابن تيمية.
٤٣- النبوات لابن تيمية.
٤٤- زاد المعاد لابن القيم.
٤٥- هداية الحيارى لابن القيم.
٤٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.
٤٧- الصواعق المرسلة لابن القيم.
٤٨- الجواب الكافي لابن القيم.
٤٩- جلاء الأفهام. لابن القيم.
٥٠-استنشاق نسيم الانس من نفحات رياح القدس لابن رجب الحنبلي.
٥١- جامع العلوم والحكم لابن رجب.
٥٢-الترغيب والترهيب للمنذري.
٥٣- البداية والنهاية لابن كثير.
٥٤-السيرة النبوية لابن هشام.
٥٥-سيرة ابن كثير.
٥٦-الرحيق المختوم للمباركفوري.
٥٧-فقه السيرة للغزالي.
٥٨-فقه السيرة لمنير الغضبان.
٥٩-هذا الحبيب يا محب للجزائري.
٦٠-خاتم النبيين للإمام محمد أبي زهرة.
٦١-الشفا في تعريف حقوق المصطفى. للقاضي عياض.
٦٢-موسوعة نضرة النعيم.
٦٣-إظهار الحق رحمة الله هندي.
٦٤-لسان العرب لابن منظور.
٦٥-حجية السنة.

* * *



الفهرس









* * *

